من أدب المناظرات

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ

«الجزار السرقسطي»

وفصول من كتابه

بادرة العصر وفائدة المصر

صنعة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي

المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

تحقيق ودراسة واستدراك

الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

عالم الكتب الحديث

جدارا للكتاب العالمي

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ

الجزار السرقسطي

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٣٤٠/ ٥/ ٢٠٠٧)

تحقيق: بهجت، منجد مصطفى

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن/ تأليف أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مطروح السرقسطي؛ تحقيق: منجد مصطفى بهجت.- إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧.

(   ) ص.

ر. إ.: (١٣٤٠/ ٥/ ٢٠٠٧)

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

ردمك: ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٠-٠١٨-٨ ISBN

عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع

إربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي

تلفون: 00962-27272272 خلوي: 079/5264363

فاكس: 00962-27269909

صندوق بريد (3469) الرمزي البريدي (21110)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع

عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس

خلوي: 079/5264363

من أدب المناظرات

روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ
"الجزار السرقسطي"

وفصول من كتابه

بادرة العصر وفائدة المصر

صنعة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي
المتوفى سنة 606هـ

تحقيق ودراسة واستدراك

الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت
الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

٢٠٠٨

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

فهرس المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ومن ولاه إلى يوم الدين .. وبعد:

فقد وقع ديوان الجزر السرقسطي، أو "روضة المحاسن". موقعاً طيباً من جمهور القراء، ومحبي الأدب العربي في الفردوس المفقود (الأندلس) ووصلت المحقق رسائل من بعضهم تشد من أزره، وتبين له ما بدا لها من آراء فيها.

الكتاب الذي بين أيدينا يقدم صورة مشرقة عن فنين من فنون الأدب ازدهرا في الأندلس، الشعر والنثر إذ نجد ديواناً شعرياً وآخر نثرياً وهما يمثلان عصر الطوائف والمرابطين... تجد الشعر في أغراض متعددة وفنون متنوعة، والنثر في الرسائل والمناظرات.. وقد أفدت في هذه الطبعة من أكبر قاعدة معلومات متاحة في الشعر "الموسوعة الشعرية"[1] في قرصها الإلكتروني المدمج في تخريج بعض الآيات الشعرية التي أعضل علي تخريجها من قبل.

نسأل الله أن يقع عملنا هذا موقع القبول منه، ويثبتنا على الحق، ويعيننا على فهم لغة القرآن وحذقها لغة وأدباً، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لمؤسسة عالم الكتب الحديث ومديرها العام الأخ الأستاذ بلال عبيدات الذي أبدى رغبة في إعادة طبعه بعد أن نفذت طبعته الأولى[2].

الدكتور منجد مصطفى بهجت
الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا
محرم الحرام 1427هـ
فبراير 2007م

---

(1) يمكن الرجوع إلى موقع هذه الموسوعة على الشبكة العنكبوتية:
www.cultural.org.ae

(2) من الدراسات التي نشرت حول هذا الكتاب دراسة الدكتور محمد القاضي في مجلة الدعوة، العدد 9، ص 484 ـ 492، كلية الدعوة ـ طرابلس. ورسالة وصلت من أخي الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، عام 1992 .. جزاهما الله عني خيراً.

وصف مخطوطة الديوان ومنهجنا في التحقيق

المخطوطة التي اعتمدناها هي نسخة فريدة في الخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 2679/ 1 ك وفي الورقة الأولى لمصورة المخطوطة التي بين أيدينا، وصف للمخطوطة لفهرس الخزانة، أو لعله لفهرس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الذي صورنا نسختنا عن طريقه على النحو الآتي:

ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي.

أوله: الحمد لله الذي بَرأ الإنسان وخلق، وأجرى اللسانَ بالبيان وأطلق، وآخره، مبتور ينتهي بأثناء قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا الإصبع ابن الإمام وآخر بيت موجود:

تقاسي ساعة فيها كيوم ... ومن طول السُّرى شهراً كعامِ

نسخة بقلم أندلسي حديث، ضمن مجموعة، وتقع في أولها.

حوالي 60 ورقة 10 أسطر 17×22 سم.

ويتفق أول ما بين أيدينا من الديوان، وآخره، مع أول ما ذكره المفهرس وآخره.

وفي فهرس معهد المخطوطات فضلاً عما تقدم[1].

كتبها أبو عبد الله محمد المفضل غريط، ضمن مجموعة من ورقة 1 - 60، تلي الديوان مجموعة كبيرة من القصائد لشعراء مختلفين منهم ابن عبدون، وابن التعاويذي وغيرهم والمجموعة تتألف من 84 ورقة.

وفي الورقة الأولى، الزاوية العليا اليسرى سبعة أسطر كتبت بخط يختلف عن خط الديوان في كل سطر حوالي خمس كلمات تقرأ كالآتي:

الحمد لله

هذه مجموعة بخط الوزير الصدر، الفقيه

---

(1) فهرس المخطوطات المصورة 2/ 166 ـ 167.

الأديب الداعية سليل المجد أبي عبد الله
محمد المفضل نمريط (كذا) الفاسي أهدانيه
ولده الشاعر الأديب الكاتب القراني[1]
عبد الله محمد نمريط أبقاه الله مصباحا
كتبه محمد عبد الحي الكتاني الحسنى.

ومن دراستنا للمخطوطة، تبين لنا أنها كتبت بخط مغربي مشكول، وتضمنت تعليقات نفيسة في هوامشها في تفسير الكلمات الغامضة، وذكر روايات لأبيات الديوان، وقد كان الشارح يذيل أكثر شروحاته بعلامتين:

الأولى: (ف) القاف المغربية، ذات النقطة الواحدة من فوق، وهو بذلك يحيل إلى القاموس المحيط للفيروزأبادي- كما تبين لنا- إذ تأتي شروحه مطابقة لشروح تلك المادة في القاموس المذكور.

والثانية: (ط)، ونرجح أن تكون رمزاً لاسم ناسخ الديوان الوزير أبي عبد الله محمد المفضل نمريط.

ومن إحدى هذه التعليقات نتبين ثقافة الشارح، إذ يخطِّئ ناسخ النسخة التي ينسخ عنها، فيقول: "ويمكن أن يقال: إن هذا غلط من الناسخ، وأن نسخة المؤلف فيها .."[2].

ولا جرم أن تكون هذه الشروح والتعليقات ذات فائدة، ولا سيما أن صاحبها الوزير الصدر الفقيه الأديب محمد[3]، ولذلك حرصنا على إثباتها في مواضعها من الديوان، مستهلة بالكلمات المشروحة، على الرغم من وضوح معاني بعض الكلمات، وأما الكلمات التي لم تشرح وهي بحاجة لذلك فقد جعلناها بين عضادتين [ ] تمييزاً لها عن شروح المخطوط.

---

(1) لعلها تحريف "القيرواني".
(2) الديوان ورقة 2/أ الحاشية.
(3) جزى الله خيراً الدكتور عبد السلام الهراس الذي أفادني وعرفني بهذا العلم حين كتب لي بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب، والترجمة جاءت ص1 من الجزء الأول من كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد العباس القباج، ط1، الرباط، 1979. فهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري، ولد سنة 1298 بفاس، وهو من البيوتات المغربية التي يتسلسل منها الأدب منذ ثلاثة قرون، عيّن مستشاراً لخليفة السلطان مولاي عرفة ثم وزيراً لخليفة مولاي علي، وبقى إلى سنة تأليف الكتاب الذي أخذنا الترجمة منه 1979 م.

قمت بترقيم النصوص الشعرية للشاعر بأرقام متسلسلة تعين على فهرستها في آخر الديوان كذلك قمت بضبط النصوص الشعرية والنثرية، وإصلاح ما دخل عليها من تصحيف وتحريف والإشارة إلى ذلك، وأما الاختلافات التي تكررت في الرسم وتبعها بعض النسّاخ، مثل إثبات الألف من كلمة "لاكن" و"هاذي" وكتابة "المدا" و"أعلا" و"المنا" و"القذا" بالألف الطويلة وكتابة "العلى" بالألف المقصورة، فقد أغفلت الإشارة إليها، كذلك كان الشأن في الاختلافات في رسم الكلمات المهموزة.

وكان ضرورياً القيام بتخريج النصوص الشعرية التي تمثل بها الشاعر في مناظرته للبرجي، أو نصوص نثرية، من قرآن كريم أو حديث شريف، أو مثل سائر وما إلى ذلك، وكذلك الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في الديوان، فقد تم لي ذلك في هوامش الديوان.

وبعد أن تم لي تحقيق مخطوطة الديوان، رجعت إلى المظان والمصادر- في توثيقها- ثم وجدت لزاماً أن أصنع مستدركاً يضم ما لم يرد في الديوان من أشعاره، ضم اثني عشر نصاً شعرياً وعشر موشحات.

قيمة المخطوطة:

تعد المخطوطة نسخة فريدة في العالم، وذلك من خلال مراجعتنا لفهارس المخطوطات التي توفرت بين أيدينا، والمصادر التي وقفت عند الشاعر وعصره.

تكمن قيمة المخطوطة، في الصورة التي وصلت إلينا فيها، حيث جاءت الأبيات مشكولة قليلة التصحيف والتحريف، وتضمنت تعليقات للشارح مفيدة في هوامش الكتاب.. نتبين من خلالها أنها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف[1].

ومما يؤسف عليه، أن الديوان الذي بين أيدينا، غير كامل، إلا أن النقص فيه قليل- كما يبدو- إذ آخر ورقة منه تنتهي بالقصيدة الميمية، وهي في خمسين بيتاً، ذكرنا آخر بيت منها في وصف المخطوطة آنفاً ولا نستطيع تقدير الأبيات التي سقطت، ولكنَّ ما يلي آخر ورقة هو من الديوان، بقرينة الكلمة التي ذيلت بها الصفحة الأخيرة، التعقيبة "وتَنصَّبَ" وهي تصلح أن تكون في أول البيت، من القصيدة الميمية التي جاءت على وزن الوافر، وفي الورقة التالية

---

(1) ينظر: الديوان، ص 4 هـ 2.

تأتي أرجوزه فقهية مجهولة المؤلف.

ومما يؤكد نقص الديوان، أن صانع الديوان- ابن مطروح- يشير معتذراً، إلى أنه أثبت أشعاراً لابن الجزار في المجون والخمريات، ليطلع على ما له من باع في الفصاحة والبلاغة ولكن واقع الديوان الذي بين أيدينا، لا يشتمل إلا على نزر يسير في الموضوعين السابقين[1].

وفضلاً عما تقدم، إن وقوفنا على قصائد أخرى للشاعر في المصادر الأندلسية- هو أيضاً- دليل على نقص الديوان كذلك.

إن ما وصل من الديوان، احتجن عدداً لا بأس به من قصائده، يبلغ اثنتين وخمسين قصيدة اجتمع فيها سبعمائة وخمسة وسبعون بيتاً، ولم يرد منها في المصادر الأندلسية وفي غيرها، إلا خمسة عشر بيتاً من قصيدته البائية التي مطلعها:

تعيبُ عليَّ مألوف القصابة ومن لم يدرِ قدر الشيء عابه

مما يصح أن نستنتج معه أنّ ديوان الشاعر ظل قليل التداول بين أيدي الناس، محجوباً عن الأدباء، والنقاد الأندلسيين والمشارقة ولذلك لم ترد فيها أشعار ديوانه، وما نقلته المصادر- مما لم يرد في الديوان- يبلغ حوالي خمسين بيتاً فقط تفرقت على ستة مصادر[2] ألحقتها في مستدرك الديوان استكمالاً له.

إن نسخة المخطوطة، زيادة على ما تقدم من عناصر أهميتها، احتوت على فصول من كتاب للشاعر، مفقود سماه: "بادرة العصر، وفائدة المصر" ولم أقف على ذكره فيما توفر بين يديّ من مصادر، كما لم يرد ذكره في كتب فهارس المخطوطات.

جامع الديوان ومنهجه:

لم ترد أية إشارة في النسخة المخطوطة إلى اسم جامع الديوان وصانعه، ولكن المخطوطة ذاتها تضمنت معلومات عنه، من خلال حديثه عن الشاعر في مقدمة الديوان، ولدى البحث ودراسة الديوان وقفت على إشارتين توثقان نسبة جمع شعره إليه.

---

(1) تنظر القصائد/ 40، 41، 42.

(2) تنظر هذه المصادر في مواضعها من مستدرك ا لديوان.

الأولى: في كتاب التكملة لكتاب الصلة: لابن الأبار البلنسي (ت659هـ)، والثانية في مخطوطة لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر، لابن ليون التجيبي (ت750هـ).

أما أولى الإشارتين فتنصّ على أنه: "محمد بن عبد الله بن أبي يحيى ابن محمد بن مطروح التجيبي" من أهل بلنسية، وأهله من سرقسطة يكنى أبا عبد الله، كان وراقاً يبيع الكتب، أخبارياً أديباً، حلو النادرة، فكيهاً، جمع شعر أبي بكر يحيى بن محمد الجزّار السرقسطي، وسمّاه: "روضة المَحاسن وعُمدة المُحاسن" ثم يذكر ابن الأبار شيوخه وتلامذته ويقول: "توفي سنة ست وستمائة، ومولده الأربعين وخمسمائة"[1].

وثانية الإشارتين ترد في سياق بيتين له في زلل اللسان بروي العين[2]، وردا في مخطوطة "لمح السحر" يستهلهما ابن ليون بقوله: "ولأبي بكر يحيى بن محمد الجزار السَّرقسطي، وجمع شعره أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مطروح السرقسطي"[3].

ونعلم من كتب التراجم أن ابن مطروح أنجب ابناً أصبح عالماً، صاحب مؤلفات هو عبد الله بن محمد (ت سنة 635هـ)[4] روى الصفدي قصيدة في رثاء أبيه.

جرى ابن مطروح في جمعه الديوان، مجرى المصنفين الأندلسيين، أمثال ابن بسام (ت 456هـ) والشقندي (ت 629هـ) وابن سعيد (ت 685هـ) وغيرهم، الذين كانوا يسعون لإثبات شخصية الأندلسيين، في الفنون والآداب، وإظهار محاسنهم وتفوقهم على أدباء المشرق "مفتخراً بمحاسن مصره على سائر الأمصار"[5].

ولقد بذل في جمع أبيات الديوان جهداً ووقتاً، وتحرّى في ذلك الدقة، مما يجعل الديوان على درجة من التوثيق العلمي، فهو يذكر أنه جمع أشعار الجزار عن رجال ثقاة، وبذل في ذلك مدداً وأوقاتاً، حتى اجتمع لديه هذا العدد الكبير من أشعار الشاعر، مما جعله

---

(1) التكملة 2/ 579 رقم 1546.

(2) المستدرك على الديوان رقم (4).

(3) لمح السحر (مخطوط) ورقة 23/ ب.

(4) الوافي بالوفيات، 17/ 554، صلة الصلة (مخطوط)، 72، شجرة النور الزكية، رقم 589.

(5) الديوان، 2/ ب.

ينكـر على ابن بسام أن يجعله من المقلين في ذخيرته[1]. ووجد في ذلك غلطاً وشططاً، ثم عاد فاعـتذر عـن حكـم ابن بسام في الشاعر- على سبيل الاحتياط وتواضع العلماء- بأدب جم فقـال: "ولعـل ابـن بـسام لم يـبلغه من شعره إلا ما أورد"[2] وربما كان سبب قلة ما وصل من أشـعار الـشاعر إلى ابـن بـسام أنه ألّف ذخيرته في وقت مبكر من حياته وانتهى منه بعد عام 510هـ[3]، ولم يتح له الاطلاع على أشعاره.

ولكن متى جمع ابن مطروح ديوان الشاعر؟

ليـست لديـنا إشـارة واضـحة إلى ذلـك، وفي الديوان دلالة واضحة على أن الجمع حـصل بعـد وفـاة الجزار وليس في حياته، وذلك من عبارات الترحم التي يعطفها على اسمه من قوله: "رحمه الله" و"عفا الله عنه"، ولكن وفاة الجزار ذاتها مجهولة لدينا!

وبإمكاننا أن نقدر بأن ابن مطروح جمع الديوان بعد سنة 570هـ، وذلك مما نجده من آراء نقديـة تـنم عـن نـضج وعمـق لا يدركهما قبل بلوغ الثلاثين من عمره في تقديرنا، وقد تقدمت الإشارة إلى أنه ولد سنة 540هـ.

إن جامع الديوان أديب ناقد، له ذوقه في الانتقاء، ومذهبه في جمع الديوان يقوم على أساس اختيار محاسن أشعاره في البلاغة والفصاحة، ولم يبال لموضوعات الشعر، أن يقع تحت طائلـة إيـراد أشـعار خمـرية ماجـنة، لأنه يذهب في ذلك مذهب الحاكي، دون أن تكون لديه رغبة في تلك الموصوفات من شعره. ومع أن ذلك جائز عند المتأخرين من الأدباء، فإنه يشعر بخطورته، فيسأل الله الغفران في ذلك[4].

إن ابـن مطـروح، يجمـع في ذلـك إلى الأدب والفكاهة شيئاً من الأناة والاتزان، هما من أخلاق العلماء المسلمين إلى عهد قريب .. وواقع الديوان يدل على أنه لم يخض في ذلك، وكل ما ساقه من تلك الأشعار كان قليلاً جداً، كما تقدم بنا آنفاً.

---

(1) مقدمة الديوان، ورقة 2/أ.

(2) نفسه، 2/أ.

(3) ابن بسام الشنتريني، ص 67.

(4) مقدمة الديوان، 2/أ.

ونلاحظ أنه في انتقائه من كتاب الجزار "بادرة العصر .." الذي تضمن أشعاره في الهجاء، يتجنب الشعر الفاضح ففي قصيدة يقول: "أوردت منها ما غدا من الذمّ القبيح عارياً واضحى على طريق العتاب جارياً"[1]. ويصرح في موضع آخر بأنه طرح كثيراً من أشعاره لقبائح ذكرها فيه وضمنها في أكثر قوافيه[2].

وجامع الديوان يظهر إعجابه في أكثر من موضع بأشعار الشاعر فهو يرى أنه: "لو أنشد الصم لشق أسماعها، وفتّق، ولو تناولته البكم، لأجرى لسانها بالتكلم به وأنطق، أو لو افتخرت به الرواة لكفاها فخراً، أو سمعته الخنساء، لأنساها صخراً .. الخ"[3] ويقول في موضع آخر يصف قصيدته الهمزية[4]: "لم يسبق إلى مثلها في طريق الذم والهجاء، ولا خلد نظيرها في جميع النواحي والأرجاء".

وعلى الرغم من المكانة التي أدركها الشاعر بجودة أشعاره، فإن لابن مطروح فضلاً كبيراً في جمع شتاتها، وتهذيبها من خطأ الرواية "ولما ظهرت بدائعه وغرره، وانتظمت بجيد الزمان درره ... التمستها في كل محفل وناد، فما ألفيت لها رواية صحيحة الإنشاد ولا ديواناً مجموعاً، ولا تأليفاً مروياً عنه ولا مسموعاً"[5].

حياة الشاعر وشاعريته:

وردت إشارات سريعة، عن حياة الشاعر، تناثرت في المصادر الأندلسية، نخلص منها إلى أنه: أبو بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي[6]، وهو تارة يلقب بالجزار[7]، وأخرى بابن الجزار[8]، والراجح أن يكون اللقب له لا لأبيه، لما صح من أنه كانت مهنته الجزارة فانتسب لها[9].

(1) مقدمة القصيدة رقم (34).
(2) الديوان، ورقة 41/أ.
(3) الديوان 1/ب.
(4) ق رقم 34.
(5) الديوان 1/ب.
(6) التكملة، 2/ 579، رقم 1546، لمح السحر ورقة 23/ ب.
(7) الذخيرة، 3/ 2/ 905، النفح، 3/ 404.
(8) النفح، 3/ 464، 598.
(9) ينظر قصيدته رقم 36، المستدرك (6).

لم نجد معلومات عن حياته الأولى، ونشأته وأسرته[1]، فنحن نجهل تاريخ وفاته، فضلاً عن ولادته، وقد اكتفى ابن سعيد بأن جعله من شعراء المائة الخامسة للهجرة[2].

ونستطيع أن نقول بأن أباه كان فلاحاً، مغموراً، فقير الحال في الأخبار التي أوردها ابن بسام مقترنة بشعر الجزار، أن والده تقبل أرضاً للأحباس، فضاع واجتمع عليه خراج الأرض، فكتب الجزار إلى العامل أبياتاً يستشفع فيها لأبيه، وفيها يعتذر عن تقصيره، وكتب أن الحظ لم يحالفه فيها، وفيها إشارة إلا أنه ورث عن أبيه سوء الطالع ومن أبياتها قوله[3]:

يا أبا جعفر لعاً من عثار ... وغياثاً فما يقرّ قراري
كان لي والد وكان لعمري ... من بني العصر بالفلاحة داري
اكتراها ولم يكن مستخيراً ... وقت شؤم بطالع الأدبار

ولا نعلم متى عمل بالجزارة، ومتى عدل عنها، ثم عاد إليها ثانية، ولكن الإشارة تعددت لذلك في عدد من المصادر حيث أمر الحاجب ابن هود وزيره أبا الفضل بن حسداي أن يوبخه على رجوعه إلى الجزارة[4]، ويبدو أن دولة الشعر أدبرت عنه، فلم يحظ بمهنته ما كان يرجو لنفسه من عيشة كريمة، كما لم يدرك آماله بالشعر، وهو يسوق لنا اضطرابه في ذلك ويصور محنته بأسلوب حزين فيقول[5]:

في قصتي عجب فاسمع إليّ فما ... أتت بمثل حديثي الأعصرُ الأولُ
رأيت قوماً بنظم الشعر قد وصلوا ... إلى المنى وأنيلوا فوق ما سألوا
فقلت: ما لي لم أسلك سبيلهم؟ ... أليس بي في القوافي يضرب المثل؟
كم بالقصابة لا أنفك في سغب! ... وفي المدائح عنها للفتى حولُ

(1) ترجم ابن سعيد في المغرب 2/ 355 لأحد أدباء بلنسية، أبو جعفر احمد بن الجزار، ونستبعد أن تكون له صلة نسب بشاعرنا.
(2) رايات المبرزين، 123.
(3) المستدرك رقم 3.
(4) الذخيرة، 3/ 2/ 905، المغرب، 2/ 445، النفح، 4/ 152.
(5) قصيدته رقم 43.

ويصور لنا الشاعر الدنيا، وقد قلبت له ظهر المجن، فيراها خداعة متلونة، ولذلك يجاريها ويحتال لها، ولكن دون جدوى إذ فارقه سعده إلى حيث النحسّ والشؤم[1]:

إنّي تلونت للدنيا تلوّنها واحتلت دهري فما أجدتنيَ الحيل

وليس يحظى بسعد المشترى أبداً من ليس منتقلاً عن برجه زُحل

لكنه سرعان ما يثوب إلى رشده، ويعود إلى صوابه، فيقرر في حكمة بالغة، أن لا مناص من المثابرة والجد، وعدم الركون إلى التواكل، واللجوء إلى الغش والخداع.

ولا تنال بغير العزّ مأربة لا يقطع السّيف ما لا يسبق الأجل

ولم يكن أثر الفقر والإملاق الذي لازمه شطراً من حياته، سلبياً، إذ أنه لا يبالي .. وهو في موقف الخصومة والمهاجاة- أن يعترف بهما، فيحاور خصمه أبا الحسن البرجي ويرد على تعييره إياه بقوله[2]:

ولو ابتليت- وعلّ ذلك كائنٌ- بالفقر ما عيرت ذا استجداء

والأنبياء المرسلون استطعموا وبلوا بداء الفقر كل بلاء

أو ليس موسى قد توخى قرية مستطعماً فأبت بكل إباء

وتبقى أشعاره، خير ما نستعين به على حياته وخلاله، تعكس لنا حدة مزاج وغليان طبع فقد أنف الخنا وترفع عن الذل والهوان، وكان من أجلهما يغضب للحق، وينتصر لنفسه، بحجة قوية وبرهان ناصع، لا سيما إذا كان القصد انتقاص شأنه والتجريح في علمه، فقد جره انتقاد بيت شعري واحد إلى تأليف كتابه "بادرة العصر وفائدة المصر" كما هو واضح.

وثقافة الجزار كانت رصينة ومتينة بدليل احتجاجه اللغوي على مسألة الخلاف التي جرّته إلى تأليف كتابه "بادرة العصر" حيث ساق شواهد شعرية كثيرة لتأييد حجته.

---

(1) تنظر قصيدته 43/ 2 - 3.

(2) قصيدته 34/ 64 - 66.

وعلى الرغم من أن الشاعر كان يتجنب الاقتباس المباشر من القرآن الكريم على نحو ما يذهب إليه الأندلسيون[1]، فإنّا نلمح آثار ثقافته الدينية على نحو ما تقدم آنفاً في قصة موسى والخضر، وكذلك في قوله:

يشيب لهوله الولدان ذعراً ويحسد حيُّه من في الضريح

ففي صدر البيت اقتباس إشاري من القرآن الكريم، وفي عجزه اقتباس إشاري كذلك من الحديث الشريف، وكذلك يضمن أشعاره بعض الأمثال من مثل قوله:

يا مفتياً بانتقاض الشرع أعصاراً إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

ففي عجز البيت اقتباس من أحد الأمثال المشهورة.

بادرة العصر:

تقدم خلال حديثنا عن قيمة المخطوطة، أنها احتفظت بفصول من كتاب الجزار الموسوم: "بادرة العصر، وفائدة المصر" ولم أقف على ذكره في كتب الفهارس والمخطوطات، كذلك لم ترد الإشارة إليه في المصادر الأندلسية، ويؤلف ما وصل من الكتاب حوالي ثلثي المخطوطة.

والكتاب- كما يتبين- رسالة أجراها الجزار مجرى رسالة السيف والقلم، ذكر فيه مثالب الفرائين وضمّنه كثيراً من أشعاره، ومناظراته التي جرت بينه وبين أبي الحسن علي بن عبد البرجي نسبة إلى برجة من أعمال سرقسطة، وكان البرجي لغوياً وأديباً، راوية للحديث، تصدر للاقراء بمدينة الشاعر- سرقسطة، وتوفي بوادي آشي بحدود سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[2].

لقد ذكر فيه الجزار، مثالب الفرائين، لأن أبا أبي الحسن البرجي كان فراءً يتجر في الفراء ولمّا يجانب الإنصاف مع خصمه، إذ ساق حججه وأقواله، والرسالة ثمينة في مضمونها

---

(1) الاتجاه الإسلامي، 481.

(2) تنظر ترجمته في التكملة (مخطوط)، 3/ 59، الذيل والتكملة، 5/ 1/ 237، صلة الصلة، 88.

وأسلوبها، وذلك من خلال ما جاء فيها من قيم حضارية واجتماعية، في الإشارة إلى المهن الشائعة آنذاك، وطرق البيع والشراء، والأساليب المحرمة منها ... كذلك يستطيع الدارس أن يجد منهجاً نقدياً أدبياً يعتمده الشاعر هو المنهج اللُغوي الذي كان الأساس في استحسان أو استهجان الشعر.

ومن أسلوب الجزار في كتابه، يتجلى لنا أنه كان من ذوي المواهب المزدوجة متمكناً من ناصيتي الشعر والنثر، وأنه بلغ في ذلك شأواً بعيداً، وهو في ذلك لا يختلف في كثير عن أدباء عصره المتفرغين للأدب، والذين زاوجوا بين الشعر والنثر أمثال ابن دراج (ت421 هـ)، وابن شهيد (ت426هـ)، وابن زيدون (ت463هـ)، وابن خفاجة (ت533هـ) وغيرهم.

ولكن كيف أقحم ابن مطروح السرقسطي، صانع الديوان فصول هذا الكتاب على الديوان؟

إن النظرة المتأنية للديوان تنفي أن يكون هناك إقحام في الموضوع، والذي حصل أن صانع الديوان، الذي أعرب عن إعجابه بشعر الجزار، حرص على إيراد أكثر ما يتسنى له من أشعار الشاعر، وكان لا بد له أن يذكر مناسبة تلك القصائد فجرَّه الحديث عنها إلى الاستطراد إلى كتاب "بادرة العصر" لأن عدداً من تلك الأشعار جاء فيه .. وبعد أول قصيدتين يسوقهما في الديوان، الهمزية والبائية يقول: "قال أبو بكر الجزار في كتابه الذي ترجمه بـ"بادرة العصر وفائدة المصر" وهو كتاب ضمن فيه هذا القصيد، والذي تقدم .." ويمضي في نقوله عن الكتاب حتى يبلغ قوله: "انتهى القصيد المجاوب به، وتركت أكثره .. وهذا آخر ما في الكتاب بادرة العصر من شعره"[1].

وأصل الخصومة بين الرجلين، وأول حلقاتها، بدأت حين بلغ الجزار أن الفقيه أبا الحسن على البرجي انتقد عليه قوله:

لم تسمع الأذان قبل هِدائها　　　بحمامةٍ زفت إلى فتخاء

---

[1] أول إشارة ترد إلى الكتاب في ورقة 10/ ب، يذكر فيها أن أول الكتاب يبدأ بقصيدته الهمزية (في آخر الورقة 2/ ب) وأما آخر النقول من الكتاب فيأتي في الورقة 41/ أ.

والبيت هو الرابع من قصيدة نظمها الجزار في واحد وستين بيتاً، كان قد أرسلها بمناسبة احتفال الخليفة زهير الصقلبي العامري بالزواج، ومطلعها[1]:

اليوم حُليٌّ عاطل العلياء   اليومِ جرَّ الدهر ذيل بهاءِ

وأما وجه الانتقاد فيتمثل في قوله: "إن الفتخاء مؤنثة، ولا يوصف بها مذكر" فما كان من أبي بكر الجزار إلا أن امتشق يراعه، ووجه إليه قصيدة فيها اللوم والعتاب والتقريع والانتقاد، في تسعة وثمانين بيتاً، ومطلعها[2]:

تُريك مضاء المرهفات المضارب   وتكشف أسرار الأنام التجارب

وتأتي قصيدته معرضاً حفلاً، بالحكمة والموعظة، فينكر عليه إقباله على جمع المال وكنزه إياه، ويسخر ويتهكم ممن هذا شأنه، فكأنّ القيم انقلبت لديه[3]:

وبالأصغرين المرء كان معظماً   وما أصغراه اليوم إلا المكاسب

وينتقل بعد ذلك إلى قرناء السوء الذين يبدو أنهم أحاطوا بالبرجي، من كل جانب، وينعى عليه تغيره وتبدله، ونسيانه عهود المودة والصّفاء، ولكأنّما عناه بقوله[4]:

أخ كان لي قد كنتُ أحسب أنه   دلاصي وسيفي إن نحاني المطالب
قررت به عيناً فلمّا بلوته   إذا هو ينعى عثرتي ويراقب
وقد كان حقاً أن يراعي ودنا   ولكن إخوان الزمان عقارب
"أبا حسن" إن الحديث مساقه   إليك، فما هذي الأمور العجائب

---

(1) قصيدته رقم (1).
(2) قصيدته رقم (2).
(3) ق 2/ 6.
(4) ق 2/ 17، 18، 26، 27.

وللوشاية والنميمة دور في إذكاء الأحقاد، ووري نيرانها، وكان النقد الذي بلغه عن بيته المتقدم آنفاً، إنما جاء عن طريق أحد هؤلاء في مجلس أحد الأدباء، باق ابن باق، إلى ذلك يشير في قوله[1]:

أتنقد أشعاري وترقب عثرتي	وأقرب من هذا إليك الكواكب؟
وتطلق في نادِ "ابن باق" بنقضها	كأن "ابن باق" في حبالك حاطب

لقد فصلت القصيدة حديثها عن المودة والأخوة التي كانت بينهما، ولا بد أن تكون هناك جملة أمور أرثت نار العداوة والبغضاء بينهما، وإن وصفه المذكر بالفتخاء، لا يعقل أن يكون السبب الحقيقي لتلك الخصومة التي استمرت طويلاً، بل كان القشة التي قصمت ظهر البعير.

لذلك نجد قصيدته البائية، متشعبة المسالك والطرائق تنم عن أبعاد الجفوة التي حلّت بينهما، بحيث جعلت البرجي يترصد الأخطاء ويسعى في القطيعة والنزاع، ولا يبالي بالغيبة وأكل لحم أخيه، دون أن يجاهر بهذه الصفات أمامه، بل يظهر العفة والدماثة وصفو الوداد[2].

وينتهي الجزار في آخر شوط من أشواط قصيدته الطويلة، إلى الفخر ببأسه في الخصومة وتمكنه من خصومه، ويأتي هذا الفخر مشوباً بالنقد اللاذع، والتهكم الموجع فيتهمه في عقله إذ يجعله "أخيرقاً" ثم ينعته تارة "بصيرفي الشعر" وأخرى بابن العميد- فيمن يشبه بضده- وثالثة باسم مخترع "جعسويه"، وسرعان ما ينتقل إلى بيت القصيد، فيسوق دليله الواضح، وبرهانه الفاضح، فيما جاء من كلام العرب الفصحاء[3]:

أما قال للنعمان شاعر قومه	لأنك شمس والملوك كواكب؟

---

(1) ق 2/ 31 - 32.

(2) ق 2/ 45 - 48.

(3) ق 2/ 71 ـ 72.

فـشبهه بالـشمس وهـي لديهم مؤنـثة، هـل عـاب ذلك عائب

وأما الحجة العقلية في جواز وصف المذكر بالمؤنث، فيعبر عنها بقوله[1]:

وهـل تنسب الأشياء إلا لفعلها وتعـرف إلا بالمـضاء القواضب

ويسترسل في قصيدته متحدياً، طالباً الحجة والدليل فيما يزعم ويدعي:

فـرد علـى مـن قـال هذا بحجةٍ ليعلم كل أن خطرك خاضب[2]

ثـم يعـود ليخـتم قصيدته بالإشفاق على أبي الحسن البرجي، وأنه لولا الخلال التي يتحلى بها، من حياء ورباطة جأش لأرسل إليه صواعقه[3]:

لأرسـلت من شؤبوب نطقي صواعقاً علـيك بأفكـاري لهـن سـحائب
ولكـنني أغـضي حـياء مـن العـلا وأصـفو وإن لم تـصف مـنك المشارب

ويـرى نفـسه محمـولاً علـى هذه الخصومة، مقحماً فيها، فمن حقه الدفاع عن نفسه وردّ التهم[4]:

وإنـي لـمصدور فـإن كـنت نافـثاً فعـذري بـادٍ والظلـوم المطالـب
زرعـتَ وهـذا ما حصدت فلا تلم ولا تحـسبني أنـي لـك غالـب

ولذلك فأولى به الإقرار بالذنب والتوبة عنه.

وبعـد أن تصل القصيدة إلى أبي الحسن البرجي، تثور ثائرته وينكر ما نسب إليه، ثم يـسعى للوصـول والـوداد، حـيث يـصلح ذات البين بعض إخوان الشاعر، وإخوان الجزار،

---

(1) ق 2/ 73.
(2) ق 2/ 76 والخطر نبات يختضب به.
(3) ق 2/ 83، 85.
(4) ق 2/ 86، 87.

ولكـن يبدو أن ما بينهما لم يكن ليزول بهذه السرعة والعجالة. فقد أخبره خبير، بأن البرجي عـاد إلى نقـده إيـاه، فأنكر ذلك بعد العهد والعقد اللذين قطعهما، فاطلع على رقعة بهجائه، بخطه ومطه ونقطه وضبطه[1]، وانتهى الشك إلى يقين، والظن إلى الحق .. ويسوق لنا أبو بكر الجـزار- متحليـاً بخلـق العلمـاء- تلـك الرقعة، بأبياتها الستة والأربعين دون حذف أو خلل ومطلعها[2]:

أعلـيٌّ تعـتب شـاعر الغـوغاء   متعرضـاً جهـلاً لوسـم هجـاء

ويمكـننا أن نلخـص مـنهجه في نقـض الجـزار، فقـد اخـتار بحر القصيدة المعابة ذاته "الكامـل" كما التزم رويها، وهو ينكر عليه سبيل الهجاء الذي يجره إلى السفه، ويلمزه في نسبه، ثـم يفخـر بـشاعريته، ورمـيه بالطـيش وعـدم الـتعقل، وذلـك لاستماعه إلى أقوال المشائين الـنمامين، الـذين اسـتغفلوه وجروه إلى هجائه. فينكر عليه احتجاجه ببيت النابغة، ذلك لأن "الشمس" المشبه به مؤنث مجازي لكن "اللقوة الفتخاء" مؤنث حقيقي وبون بينهما! يقول[3]:

وحـسب أن "ذكـاء" في مـدح بها   في اللفـظ مـثل اللقـوة الفتخاء
هـل أنثت شمس النهار حقيقة   بالطبع قل، إن كنت خدن ذكاء

وإذا كـان البرجـي يـزعم أنـه يترفـع عـن هجاء الجزار، فإن الجزار هو الآخر يزعم ذلـك، وكلاهمـا خالـف قـوله دعـواه[4]، ويمـضي الجزار في "بادرة العصر" مقارضاً أبا حسن البرجـي، في مقطـوعات أخرى[5]، وفيها ما فيها من ضروب التفنن في الهجاء، وهو في بعض يسلك سبيل الحوار والمناظرة[6]، ويتهم صاحبه بالفدم والغباء، والحمق والعماية، فهل هو

---

(1) الديوان ورقة 11/أ ـ 11/ب.
(2) الدويان، ورقة 11/ب.
(3) البيتان 38، 39.
(4) تنظر الأبيات 42 ـ 46.
(5) تنظر المقطوعات 3 ـ 9.
(6) تنظر المقطوعات 10 ـ 17.

إلا كـواو عمرو، أقحمت للفرق أو كفأس نحاس، يلمع ولا يقطع[1]، ومن نماذج مقطعاته في ذلك[2]:

فلمـــــا أن تلاقيـــــنا	لتأنـــــيب وإغــــضاء
بــدت في العــين منّــته	إلــيّ سمـــات بغــضاء
فقلـت لـه وقـد غـضت	بــه نفـسي وأعــضائي
ســلامٌ يـا أبـا حـسنْ	علـيك سـلام إرضـاء
ســـلامٌ مــبدل المـــيم	علــى فــوديك بالحـــاء

فازور جانبه إليَّ، ولم يرد السلام علي، فقلت:

أعلــيُّ مــا هـذا الـذي	قـد غـار مـنك والجـدا؟

ويستطرد في ذلك فيسوق لنا أشعاراً كثيرة، فيها مناظرات منطقية جليلة، حتى يجتمع فيها ستة وعشرون، ما بين مقطوعة وقصيدة، لكنه لا يلبث أن يعود إلى القصيدة الهمزية التي أرسـلها أبـو الحسن البرجي، فيدير حديثه حولها، على هيئة حوار علمي هادئ، دون تسابب أو قذف ومن ذلك قوله:

"فلمـا سمعـت مقالـه راعـني مـا قالـه وقلـت: لا شـك أنـك عـزمت على المناظرة، واستعددت بالتمثل والمحاضرة.

فقال: أجل.

فقلت: فأقول؟

قال: قل.

قلت: بأي شيء تعترض علينا في قولنا:

---

(1) الورقة 21/ب.

(2) الديوان رقم 10.

لم تسمع الآذان قبل هدائها بحمامة زفت إلى فتخاء[1]

ويمضي في ذلك مورداً حجة صاحبه في الاعتراض عليه: تشبيهك المذكر الناطق بالمؤنث الصامت، وتشبيه المذكر بالمؤنث فيه ما فيه ..

ثم تتشعب بالجزار الطرائق وتتفرغ المسالك، وهو يسوق الدليل تلو الدليل، معتمداً على الابراه والتمحيص، من خلال الشواهد الشعرية، من كلام العرب، ثم ينتقل إلى تزييف بهجره في رسالة طويلة[2]، يوجهها إليه، وهي في أكثر من خمسين سطراً، يبدي فيها ضروب البراعة، والألمعية في الرد عليه، وانتقاص ملكته، بلغةٍ عالية وأسلوب متين مقتبساً من القرآن الكريم، مستشهداً بالحديث الشريف، والأمثال والحكم، وكأنه متورط معه في هذا السبيل، ويعمد إلى الأسلوب المتندر الساخر الأسلوب (الكاركتيري) بلغة العصر، خذ مثلاً ما جاء في بعض سطورها[3].

"فإذا خرجت من دارك فانفث ثلاثاً عن يسارك، فبذلك تفرق منك الجن، وينجلي الغم والحزن، فاجعل وصيتي نصب عينيك، ودع من يقول: هون عليك فإني أخاف، أن ترشقك سهام العيون، فترديَك، وتضيقَ عليك الأوطان والأعطان، وتنبتَ بك الأسباب والأشطان، وخليفتي عليك الشيطان، واعلم أني دبرت لك (بختجاً) يشفيك من داء الجنون، ويقيك من سهام العيون، وهو من أفضل ما تداوى به المتلخنون، وأفيد به الموسوسون، وقد أثنى عليه الأطباء المتقدمون، فقالوا: إنه ينقى بطون الدماغ من فضول الفراغ ..." إلى آخر الرسالة.

وتأتي بعد الرسالة قصيدة في اثنين وعشرين بيتاً، في سخرية لاذعة وتهكم مريع ويتوقف بعدها عند مطلع قصيدته الهمزية ليضعه على مشرحة الجراح، ويجري فيه مبضعه القاسي، فلا يدع كلمة إلا ويكشف عن الخلل فيها، والشين في معانيها، في أكثر من ثلاثين

---

(1) الديوان 24/أ.

(2) الديوان 26/أ.

(3) الديوان 29/ ب.

سطراً، وينتقل بعدها إلى الشعر ثانية، فيسوق ثلاث قطع شعرية[1]، ليعود إلى بيت من أبيات قصيدة البرجي فيرد عليه بالشعر مباشرة في قصيدة عدة أبياتها أحد عشر بيتاً[2]، ويبدو أنه عاد إلى النثر، إلا أن الجامع قد اعتذاره عنه لأنه يخالف منهجه في جمع الشعر دون النثر.

ومنهج الجزار الذي يعتمده في النقد يتمثل في أنه يأخذ كل بيت من أبيات قصيدة البرجي، فيبين الخلل اللغوي، والتهافت المعنوي فيه .. نستدل على ذلك، من قول جامع الديوان (ابن مطروح): "وهكذا نقد قصيدته بيتاً بيتاً، وغادر ذكره في حلبة الشعراء ميتاً، ولم أورد من انتقاده إلا هذا البيت الأول لأن الغرض جمع شعره"[3].

ولنا أن نتصور حجم الكتاب، إذا كان الجزار قد وقف عند أبياته بهذه الأناة والتؤدة لا سيما إذا كان نقد بيت واحد، يكشف عن سوء أدب البرجي، وقلة احتراسه من الزلل، وركاكة النسج، ودناءة الحشو، ودمامة اللفظ، وانقلاب ذمه إلى المدح[4].

وأطول قصيدة في الديوان همزيته في الموضوع ذاته، هجاء أبي الحسن البرجي، وأورد منها ابن مطروح- جامع الديوان- سبعة وتسعين بيتاً .. وهي أطول من ذلك .. إلا أن جامع الديوان ترك أكثره لقبائح ذكرها فيه، وضمنها أكثر قوافيه، عفا الله عنا وعنه، ثم يختم عبارته بقوله: "وهذا آخر ما في كتابه (بادرة العصر)"[5].

ولا شك أن خصائص النقائض الشعرية تتجلى عند الشاعرين الجزار والبرجي، في أنهما يلتزمان القافية والبحر، ولا يخرجان عليهما، يتضح هذا في ثلاث قصائد طويلة للجزار ومقطوعتين، وأما ما جاء للبرجي ففي قصيدة واحدة فقط[6].

وشاعرنا في أشعاره قاضٍ عادل، ينتصف لنفسه بالحق والبينة، فهو يورد لقضيته شهوداً منهم أبو محمد:

---

(1) القطع هي 30 ـ 32.

(2) القصيدة رقم 33.

(3) الديوان 35/ب.

(4) الديوان 31/ب.

(5) الديوان 41/أ.

(6) تنظر القصائد (1، 32، 34، 5، 10)، وتنظر قصيدة البرجي في الورقة 11/ب.

ولـئن دفعـت مقالتي وجحدتها فأبـو محمـد أعـدل الـشهداء[1]

ويحـار المـرء- لأول وهلـة- في الحكـم لأحـدهما، ودفـع الـتهمة عـن الآخر، لقوة حجتـيهما- فـيما يدعـيانه- من التحلي بالخلق الكريم، والتخلق بالمودة والمحبة، ونأيهما عن العداوة والبغضاء، واتهام كل منهما الآخر بذلك ... ولا جرم فإن الجزار ساق بأمانة حجج خـصمه، وذلـك علـى هيئة مناظرة يجريها بينه وبين البرجي، لكن الأمر يختلف فيما بعد، إذ يكتفي جامع الديوان بإيراد أشعار الشاعر، لكي لا يخرج عن غرضه وهدفه في جمع الشعر.

إن الرسـالة تلتقـي في موضـوعها برسائل الهجاء من ناحية، ورسائل العتاب والاعتذار مـن ناحـية أخـرى وهمـا موضـوعان يـندرجان ضـمن الرسـائل الأخوية، وقد شاعا في عصر الطوائـف والمـرابطين شـيوعاً كبيراً، وصور العلاقات الاجتماعية في جانب من جوانبها السلبية كمـا يرى الدكتور حازم عبد الله خضر[2]، ولقد تجاوزت النصوص في موضوع الهجاء ـ عنده ـ خمسين نصاً، فضلاً عما جاء في العتاب والاعتذار.

ومن الرسائل النثرية التي ذاعت رسالة ابن زيدون الهزلية، وحظيت باهتمام الباحثين والدارسـين في هـذا الـباب، وقـد تـضمنت عـبارات عديـدة ومعانـي كـثيرة، في الـسخرية والاستهزاء، بناها على قواعد وفرضيات مستمدة من علوم مختلفة[3].

لقـد وصـلت رسـائل أخـرى- لأبي عبد الله بن شرف (ت460هـ)، ولأبي الحسن الحـصري القيرواني (ت488هـ)، وأبي المغيرة بن حزم (ت438هـ)، وأبي مروان ابن حيان الأندلـسي (ت456هــ)، وأبـي مـروان بـن أبـي الخصال، إلا أن رسالة شاعرنا تختلف عن الرسائل المتقدمة آنفاً، من حيث بواعث التأليف من ناحية، والأسلوب من ناحية أخرى.

فأما باعثه على التأليف، فالخلاف الذي نشأ بين الشاعر والفقيه أبي الحسن البرجي، بسبب نقده لبيت من أبيات قصيدته البائية، وقد فصلنا فيه القول آنفاً.

---

(1) الديوان ورقة 38/أ.

(2) النثر الأندلسي، 176.

(3) نفسه، 185.

وأما أسلوبها، فهي تسلك سبيل النقد اللغوي، كما ذهب إليه النقاد اللغويون إذ جوهر الرسالة قائم على الخلاف الذي قام بين الجزار والبرجي في جواز تشبيه المذكر بالمؤنث أو عدم جوازه.

وفي دراسة علمية متخصصة عن النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين[1]، حدد الدكتور حازم عبد الله خضر، أبرز الخصائص التي تميز بها النثر من حيث الصياغة والأسلوب، وهي عدم الاستهلال بالحمد والصلاة، واحتواؤها على جُمل الدعاء والاعتراض، والتنويع بين الشعر والنثر، والاقتباس من القرآن والحديث، وميلها إلى السخرية والفكاهة، في معانيها وجنوحها إلى الإطناب، والمناظرة والحوار، وهي سمات يستطيع الدارس أن يلمحها في رسالة الجزار واضحة جلية، ولكن على قدر متفاوت.

موضوعات شعره:

لقد عالج يحيى الجزار أكثر موضوعات الشعر العربي إن لم يكن جميعها يلوح لنا ذلك من خلال ما وصل إلينا من أشعاره، ولكن حظ تلك الموضوعات جاء بقدر متفاوت، وسنتوقف عند هذه الموضوعات، وفق قدرها وحجمها من الديوان على النحو الآتي:

1- الهجاء والعتاب:

لقد رأينا خلال حديثنا عن كتاب (بادرة العصر) كيف كان للموضوع حظه من نثر الأندلسيين، أما في الشعر، فالأمر على النقيض من ذلك إذ لم يأبه به أعلام الشعر في عصري الطوائف والمرابطين، أمثال ابن دراج القسطلي (ت 421هـ)، وابن شهيد (ت 426هـ)، وابن زيدون (ت 463هـ) وابن وهبون المرسي (ت 484هـ)، وابن عبدون (ت 520هـ)، وابن حمديس (ت 527هـ)، وابن خفاجة (ت 533هـ).

وإنما التقت نزعة الجزار الهجائية، بشاعرين من عصر الطوائف هما: خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسميسر (ت 484هـ)، وابن صارة الشنتريني (ت 517هـ)، وقد وصف ابن بسام أشعاره فقال: "ورأيت له عدة مقطوعات في الهجاء، تُربي على حصى الدهناء"[2].

---

(1) النثر الأندلسي، الباب الثالث، الفصل الأول، ص 359 وما بعده.
(2) الذخيرة، 2/ 2/ 835.

كـذلك اتـسق مـنهجه مع شاعرين من شعراء عصر المرابطين هما: أبو بكر محمد بن أحمـد الأنـصاري المعـروف بالأبـيض، المتوفـى بعـد سـنة 225هــ، وأبو بكر يحيى بن سهل المعروف باليكيّ (ت 560هـ) وأشعارهما مبثوثة معروفة في مصادر الأدب الأندلسي[1].

ولعـل الـسبب في هـذا المنـزع عـند الـشاعر، هو الخصومة التي نشأت بينه وبين أبي الحسن البرجي ولذلك اقتصرت أشعاره في الهجاء عليه، ولم تتجاوزه إلى غيره، كما تقدم بنا حـين وقفنا عند رسالته: (بادرة العصر ..)، وهو في ذلك يختلف عن شعراء الهجاء في عصره ومصره، الذين تجاوزوا الأفراد والأشخاص إلى الجماعات، العامة والملوك والسوقة والسادة.

هـذا فـضلاً عـن العـوامل الذووية، وصفاته الشخصية، حيث كانت فيه حدة مزاج ووعـورة خلق إلى جانب حالة الفقر التي كان عليها الشاعر، وتمرد الأيام عليه، وانفلاتها من يديـه، كـل هـذه العوامل جعلته ينساق في هذا المساق، ويذهب هذا المذهب، حتى اجتمع له حوالـي نصف قصائد الديوان في هذا الموضوع فجاءت في إحدى وثلاثين مقطوعة وقصيدة، وعدد كثير من قصائده تقدم آنفاً ضمن كتابه (بادرة العصر ..) وفي مقدمة قصائد بائيته[2]:

تريك مضاء المرهفات المضارب   وتكشف أسرار الأنام التجارب

وهي في تسعة وثمانين بيتاً، تقدمت كذلك، حيث تبيَّنَّا منهجه في الهجاء ونقض الحجج، وهـي ليست الوحيدة في كثرة أبياتها وطول نفسها، إذ يحتفظ الديوان بثلاث أخريات، همزية[3]، هـي أطـول قـصائده في هـذا الموضوع وفي الديوان قاطبة جاءت في سبعة وتسعين بيتاً، على أن جامـع الديـوان أسـقط أكثـر أبـياتها كما يعلق بعد إيراده القصيدة، والقصيدتان الأخريان، على روي القـاف والهمـزة[4]، كل منهما في اثنين وعشرين بيتاً، ويمكننا أن نضيف إلى القصائد الأربع الـسابقة، ثلاثـاً أخرى، ميمية في ثلاثة عشر بيتاً، ولاميتين واحدة في أحد عشر بيتاً، والأخرى في

(1) ينظر في ترجمتيها: المغرب، 2/ 127، 2/ 266.

(2) الديوان رقم 2.

(3) الديوان رقم 34.

(4) الديوان رقم 29/ 32.

ستة أبيات[1]. وأما بقية أشعاره فتأتي في أربع وعشرين مقطوعة، تتراوح أبياتها بين بيتين إلى خمسة أبيات.

والتهمة التي غالباً ما يوجهها لصاحبه، هي تخلفه ونكوصه، وفدمه وغباؤه، إلى حد يدعو إلى الغرابة والعجب، حتى أنه ينسب إليه المتناقضات، ويرى أن مرضه العضال الجنون الذي لا شفاء منه، ويصف له الدواء المصطنع، إمعاناً في التبكيت وإيغالاً في السخرية، وهذا الدواء هو تركيب خاص أعد من صيدلية الجزار، يصفه كما يصف طريقة استعماله من قصيدته التي مطلعها[2]:

فخذ أولاً بسفايج العقل خالصاً ... من النوك واجرد زغبه وتأنق

ويختمها بقوله:

وإياك لا تسأم وخذ بوصيتي ... فإنك إن تأخذ بها لا توفق
فهذا الذي يشفي جنونك عُنوةً ... على أنه صعبٌ معاناة أحمق

وواضح أن الشاعر يعمد في قصائده إلى رسم الصور المضحكة الساخرة، وفي ذلك جاءت مقطعات شعرية كثيرة منها[3]:

نساء ولكن شان أوجهها اللحى ... فلا منة فيكم ولا متعة ترجى
فأنتم خشاش الأرض في كل بلدة ... فليس لمدح تصلحون ولا هجا

وقوله[4]:

لا تطلبن من الفراء معرفة ... إن الدماغ من الفراء مقلوب

---

(1) تنظر قصائده: (21، 33، 24).
(2) ق 29.
(3) ق 16 وتنظر كذلك ق 17.
(4) ق 4.

إن جـئت تسأله في حاجة عرضت ... ظـن الغـبي بـأن الجـص مطلـوب

ومن هذا الوادي قوله[1]:

تـــريد لتطفــــئ أنـــــوارنا ... ومـــا يدفـــع الحـــق بالـــباطل
كأكمـــه يـــسخر مـــن مبـــصرٍ ... وحـــافٍ يـــشير إلى ناعـــل

وقوله[2]:

وإنكـــم في نـــشركم لعيوبـــنا ... وطـــيكم مـــا أنـــتم بـــسبيله
كأعمـى اغتدى مِمنّ به دلّ ساخراً ... فأعجـبْ بأعمـى سـاخر بدلـيله

ومن الأساليب التي اعتمدها في الهجاء، التلاعب بالألفاظ والحروف، وتغيير الأمثال وتحريفها بقصد السخرية فمن النوع الأول قوله[3]:

ســلام مــبدل المــيم ... علـى فـوديك بالحــاء

يريد "السلاح" كأنه يرجو له الموت، ويقول كذلك[4]:

وإنمـا قـيل: "فـراء" لـصانعكم ... علـى المجـاز وكان الأصل "فرار"

وأما النوع الثاني فمنه قوله[5]:

قالوا على جهة الاغباء: أغرب من ... عـنقاء" شـكلاً وهـذا غـير اغـباء
فقلـت: لا تضربوا الأمثال بعد بها ... فـإن أغـرب مـنها عقـل فـراء

---

(1) ق 18.
(2) ق 20.
(3) ق 10.
(4) ق 25.
(5) ق 5.

وتنزع بعض مقطعات الشاعر الهجائية، إلى الفخر بالذات والعجب بالآل والنسب العتيد، وهذه النزعة تمثل الحد الثاني للسيف الذي يستخدمه الشاعر، فمن ذلك قوله[1]:

فإن قليلاً معشرٌ لستَ فيهم وإن كثيراً من أرى فيهم وحدي
وليس بمنكورٍ على الله قدرةً تريك جميعَ الفضلَ في رجل فردِ

ويمضي على هذا المنوال في مقطعات أخرى يضيق المقام بإيرادها.

وتمنحنا قصائده في هذا الباب قيماً ومدلولات اجتماعية جمة، تسلط الضوء على نحو ما سنقف عنده حين الحديث عن شعره الاجتماعي.

2- المديح:

يأتي هذا الموضوع في ديوان الجزار، خافت الضوء، ضعيفاً، خلافاً لما نجده لدى شعراء عصره، من تألق والمعية، إذ كان المديح لديهم ذا منزلة سامية، ومكانة رفيعة، ولا نجد سبباً حقيقياً لانصراف الشاعر عن هذا الموضوع، أكثر من أن الشاعر، أعرب في أكثر من موضع عن تذمره من الحياة، وعدم اعتماده على المديح، وسيلة للتكسب الشعري.

وكل الذي احتجنه الديوان هو ثلاث قصائد فقط، أول هذه القصائد التي تتصدر الديوان همزيته التي ذكر جامع الديوان، أنها مما كتب بها الشاعر إلى الخليفة زهير العامري بمناسبة زواجه، والقصيدة تأخذ طابع قصائد التهنئة والمناسبات، وهي في واحد وستين بيتاً ومطلعها[2]:

اليوم حُلّي عاطل العلياء اليوم جرَّ الدَّهر ذيلَ بَهاء

توحي لنا القصيدة بأن ذلك الزواج كان مناسبة عامة، أظهر الناس فيه معالم الفرح والسرور، بزواج ملكهم، حيث أقيمت الاحتفالات ودعوات الولائم وأنفق فيها مال غزير،

(1) ق 13.
(2) ق 1.

وحضرها خلق كثير[1]:

لما رفَعتَ مؤججاً نار القرى	فيه لـداني وافـدٍ ولـناء
لـبّاك منثالين في عـدد الدبى	زمرٌ يضيق بهن كل فضاء
إن يكثروا عدداً فقد أوسعتُهم	صدراً تضيق له فلا البيداء
فرقت شملَ المالِ مغتبطاً بما	جمّعت من مجد ومن علياء

والراجح أن القصيدة، مما أرسل به الشاعر إلى الممدوح- زهير العامري- وأنه لم يرحل إلى المرية، كما أنه لم يعش في كنف الممدوح، وإلا لجاد ديوانه بقصائد أخرى فيه، فقد خلت المصادر من أية إشارة إلى رحليه إلى المرية، بل اقترنت به مقيماً في سرقسطة، إلا أن آخر القصيدة يوحي برحيله إلى الممدوح، يقول جامع الديوان: "فلما كان بعد إتمام إنشاده هذه القصيدة .."[2]، ولفظة "إنشاده" تحمل دلالة إمكانية أن يكون الإنشاد أمام الممدوح.

وأبيات القصيدة الأخيرة، تتضمن إشارة واضحة إلى أن الخليفة وصل الشاعر بالمال حتى لهج لسانه بالشكر والثناء[3]:

أنت الذي أنعشتني بمكارمٍ	جلّت فواضلها عن الإحصاء
وكسوتني حلل المَّبرة عندما	كشفتني الدنيا فكنتَ غِطائي

لقد أظهر الشاعر تفاؤله، وسروره، بتلك المناسبة، ويبدو أن زوجة الممدوح، كانت ذات محتد كريم، ونسب عريق، ونجر رفيع، ولذلك رأى الشاعر في زواجهما، تناسباً وتآلفاً، حتى جعلهما بدراً وشمساً مرة، وفتخاء وحمامة أخرى، وأن امتزاجهما الروحي، يشبه امتزاج الماء بالصهباء.

وغالباً ما ينطوي زواج الملوك على غرض دبلوماسي، وهو نمط شائع بين ملوك الأندلس، لا سيما في عصر الطوائف، إذ تكون المصاهرة وجهاً من أوجه الوفاق بعد

---

(1) ق 1/ 16، 17، 20، 23.

(2) ديوانه ورقة 5/ ب.

(3) ق 1/ 58 ـ 61.

الصراع، ومن أمثلته، تزويج أبي بكر بن عبد العزيز، حاكم بلنسية، ابنته، لأحمد المستعين بن المؤتمن حاكم الثغر الأعلى (سرقسطة) وكان زواجهما مضرب الأمثال في البذخ والثراء[1].

وأما إشارة الجزار إلى مكانة العروس ونسبها فيأتي في قوله:

لله عُرساً، يا خليفةُ إنها	لمسيرةٌ بمآتم الأعداء
فأمر بما تهوى، تطعك فإنه	كاد العروس يعد في الأمراء
ملك الملوك وسيد الرؤساء	واشكر صنيع المستعين المرتضى

وتبقى الإشارة غامضة مبهمة، إذ لا نعرف في ملوك الأندلس- من كان يحمل هذين اللقبين كليهما!

فأما اللقب الأول (المستعين)، فقد أطلق على اثنين من ملوك سرقسطة، أكبر هو أبو أيوب سليمان بن هود، حكم سرقسطة خلال السنوات (431 - 438هـ)[2] واصغر هو: أبو جعفر أحمد بن يوسف، وقد تولى الحكم بين عامي (478 - 503هـ)[3].

ولا ينسجم أن يكون "الأصغر" مقصوداً، لأن زهيراً الصقلبي، تولى الحكم سنة (419هـ) وقتل سنة (429هـ) أي توفي قبل تولي المستعين بحوالي خمسين عاماً، ومن المحتمل أن يكون الأكبر سليمان بن هود هو المقصود على افتراض أن الزواج حاصل قبيل توليه السلطة سنة (431هـ)، وقبل وفاة زهير بسنوات قلائل.

وأما اللقب الثاني: "المرتضى" فقد اقترن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر، آخر ملوك الأمويين بالأندلس، الذي بويع بالخلافة سنة (407هـ)، ودخل في معركة مع جيوش البربر في غرناطة، بقيادة زاوي بن زيري الصنهاجي، وقتل فيها، وذلك في سنة (409هـ).

---

(1) دول الطوائف، 216.

(2) البيان المغرب، 3/ 222.

(3) دول الطوائف، جدول حكام الأندلس، 437.

ومن المستبعد أن يكون هو المقصود، اللهم إلا إذا افترضنا أن الزواج حصل من ابنته بعد وفاته، والإشارة إليه، في هذه الحالة، تكون غير ذات جدوى أو أهمية[1]، لكن من الواضح أن منزلة المُنكح كانت كبيرة، وأن زواج زهير بها كان ضرباً من التكريم حيث يقول[2]:

أعلاك قدراً واصطفاك مكارماً حتى كأنك واحد الأبناء

ويتوقف الجزار، في ثمانية أبيات عند وصف قصر زهير، الذي يضاهي قصر الجعفري، ويعطينا صورة ماثلة للعيان عن بذخ القصر ورفهه، وتعدد ألوان فرشه، حتى تناهي حسنه إلى حد التوهم في أن يكون قصراً من قصور اليمن[3]:

وكفاك تشريفاً وفخراً أن ترى بالجعفري مؤهلاً لبناء
قصرٌ عدا فيه السرور معرساً يغشى العيون بساطع الآلاء
وترى نمارق صورةٍ مصفوفةٍ موشية الأقطار والأرجاء
من أبيضٍ في أحمرٍ قد أشبَهَا صَلف الغواة وخجلةَ العذراء
لولا تناهي حُسنه لم تختلف أنّا حللنا منه في صنعاء

ولا تعدو القصيدة، قصائد الشعر العربي، في تداولها لمعاني المديح، حيث تذكر النسب العتيد، والكرم والحياء وشجاعة الممدوح، وبأسه، ودهاءه وحسن سياسته لبلاده، وقيادته الحكيمة، وتترجح الخصال المعنوية التي وصفها الشاعر على الحسية، فهو بهجة الدنيا، وزهرة أهلها، وأفعاله كالغرة في جبين الأدهم، وهو ذو بردين، هيبة وعلاء:

---

(1) كذلك من المستبعد أن يكون المقصود، الأمير عبد الله المرتضى (468 ـ 486هـ) الذي استقل بحكم الجزائر الشرقية بعد انقراض الدولة الجاهدية، إذ من البين أنه تولى بعد وفاة زهير بنحو أربعين عاماً.

(2) ق 1/ 34.

(3) ق 1/ 35، 36، 38، 39، 42.

زهرت بوجه "زهير" الدنيا كما راقت بحلي لبَّة الحسناء
ئندى أسِّرةُ وجهه، ويمينه في حالة السرّاء والضرّاء
يا بهجة الدّنيا وزهرةِ أهلها وسواد مقلةِ عينها الحوراء

وأما القصيدتان الأخريان، فقد ذكرهما جامع الديوان متواليتين في آخره، وختم بهما ما وصل من الديوان: في مدح الفقيه المشاور أبي الوليد، ومعلوماتنا عنه شحيحة، فربما كان "سليمان بن عبد الله بن محمد بن حفصيل الأسدي، من آل حفص بن سليمان القاري، صاحب عاصم الكوفي، ولي قضاء بلده بعد تغلب الروم عليه، وكان فقيهاً أديباً شاعراً"[1].

جاءت القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً من بحر الكامل، مردفة بالياء والواو ومطلعها:

يسعى الحريص ورزقُه مَقسومُ والِحرص مَرتعه الخَصيب وخيم

وتستغرق مقدمة القصيدة عشرة أبيات، يدور الحديث فيها- خلافاً لما جرى عليه الشعراء- عن مقادير الله في الرزق، وقضائه في نعمه، وأن الحرص والحزم ليس كل شيء في هذا المجال، وما على المسلم إلا الإذعان والتسليم لله سبحانه، وهو مفهوم إسلامي عقدي، يقره القرآن الكريم والحديث الشريف.

وينتقل بعدها الشاعر إلى نفسه، فنلقاه ساخطاً برماً، بما وصل به الحال، حتى أنه لا يقيم أوده لكنه يواسي نفسه، ويطبب جراحه، لأن شأن الدنيا أن تتقلب بأهلها، فيتأخر الأحرار تارة ويتقدمون أخرى[2]:

ما بالُ دنياي الدّنية لم تُقِمْ أودى أكلُّ مفوّهٌ محروم؟
لا تجزعي يا نفس إن خطبٌ غدا فالحر يعثر تارة ويقوم
فكذا الزمان بأهله متقلبٌ لا البؤس فيه ولا النعيم يدوم

---

(1) الذيل والتكملة، 4/ 71، رقم 172.

(2) ق 51/ 6، 9، 11.

ويجعل الجزار هذا الحديث الشجي، عن تقلب الدنيا بالناس، وتأخرها به مدخلاً لبث همومه عند الممدوح، الذي يبدو سيداً كريماً من سادة قومه، يقصد ويرجى للملمات[1]:

إن الفقيه أبا الوليدْ المتقى ... وزرٌ كفيلٌ بالمراد زعيم
يا أيها المحروم مأمول المنى ... أجهلت أنَّ عطاءه محتوم

والقصيدة توضح لنا كثيراً من خلال الممدوح وخصاله، في الوقت الذي لا نقف على تفصيلات عنه في كتب التراجم، فهو من الخلق بمكان بحيث أن زيارته والسلام عليه أمرٌ لا غنى للمرء عنه، وأبرز صفاته أنه وقور ومتواضع، صاحب ذهن وقاد، وهو كالدهر حلاوة ومرارة، ليس كريماً فحسب بل هو من قوم يؤدون الزكاة، وهو ذو فضل في قوم ذوي فضل، يتسم بالفصاحة في القول نثراً وشعراً، وهو في ذلك يضاهي شأن يعرب وتميم، يحل بفقهه المعضلات والمشكلات[2]:

لا تعدُ لقياه وزره مسلّماً ... فلقاؤه يكفيكَ والتَّسليم
وأنخْ بباب رحابه بُدْنَ الرجا ... ء ولا تخم فالجود فيه خيم
عقِمَ الزّمان عن أن يجيء بمثله ... إن الزمان بمثله لعقيم

وثانية القصديتين: في مدح ذي الوزارتين أبي الإصبع بن الإمام (الذي لم نوفق في الوقوف على ترجمته فيما تيسر بين أيدينا من كتب التراجم) وهي أطول من سابقتها، جاءت (مبتورة) في خمسين بيتاً من بحر الوافر بروي الميم المردفة بالألف ومطلعها[3]:

ألمّ خيالُ ميّة عن لمام ... بنارِ منى فحيّا بالسلام

---

(1) ق 51/ 12، 14.
(2) ق 51/ 15، 16، 32.
(3) 52/ 1.

يبدأ قصيدته على جاري عادة الشعراء، بالغزل بطيف الخيال، مع ذكر الأماكن، منى وذي طلوع، ولوى أريك، ويمضي في وصف زيارة الطيف بعد قطعه الصحارى، في غفلة من أعين الرقباء، والسماء نقية، يهزم جيوش الظلام فيها، بدرٌ تمام، ونجوم مشرقة، ويمضي في وصف الأنواء الجوية إلى الفرقدين، وسهيل والشعرى، وبنات نعش، والسهى والجوزاء، ويجعل البيت الرابع والعشرين حسن التخلص فيقول[1]:

كأن ذرور الشمس حسناً   وإشراقاً محيا ابن الإمام

ثم يذكر ممدوحه مقروناً بكل الصفات الجيدة، فهو ذو همة قعساء، وخلال سنية، فصح بنفسه، ودهره يومان، جود وبأس، حافظ للعهد، ولذلك اختاره المستعين لوزارته وقد ورث المنازل العلية عن آبائه الكرام، الذين عرفوا بالمجد العتيد شيباً وشباناً[2]:

ومن تكن الوزارة فيه ضَلّتْ   هداه سبيلها أهدى إمام
رآه المستعين لها فوافى   به منها على أعلى السَّنام
وملّكه أزمتها والقى   إليه بالمقادر والخطام

ويذكر الجزار أياديه البيض عليه وعلى أمثاله، حتى إنه استعبدهم بنعمائه، وبذل وسعه في حماية قواعد جزيرة الأندلس، بعد أن قلَّ الحماة وشحوا[3]:

وكم لك من يَدٍ بيضاءَ فينا   بها طوّقتنا طوقَ الحمام
أفضت على الجميع بها سَماء   فأضحوا رقّ أنعمك العِظام
حميتَ حِمى الجَزيرة إذ أبيحت   قواعِدها وقلّ بها الحامي

وابن الإمام في ذلك، يقيم عمود الدين، إذ يوشك على الانهدام، وإن أدى به ذلك خوض البحار ومقاساة المتاعب وشظف العيش[4].

وأبيات القصيدة الأخيرة، لا توحي بانتهاء مراد الشاعر، بل من المرجح أن تتمتها سقطت من الديوان[5].

---

(1) 1/ 24.
(2) 51/ 31 ـ 33.
(3) ق 52/ 45 ـ 47.
(4) ق 51/ 49 ـ 50.
(5) ينظر ما ذكرناه بصدد الجزء الساقط من الديوان في ـ قيمة المخطوطة.

3- الشعر الاجتماعي:

أولى الجزار المجتمع الأندلسي، جانباً واضحاً من أشعاره، وذلك يُعزى إلى صلته القوية بمجتمعه، إذ لم يكن بعيداً عنه ولا بد أن ننوه بأن ما يعزز صلة الشاعر بمجتمعه نظمه في الموشحات التي هي- اتجاه شعبي- كما اتفقت عليه الدراسات، وكانت مهنة الجزارة التي بدأ حياته بها، ثم تركها وعاد إليها ثانية، تقوي صلته بمجتمعه وأشعار هذا اللون تنشطر في جذمين:

أحدهما: ما جاء في وصف المجتمع الأندلسي في عصره، والفخر بالعروبة والإسلام ومفاهيمه في ظروف سياسية مضطربة، أوشكت تلك القيم أن تنفلت منه.

فأما أشعار المحور الأول، فتبدو في قصائده التي عرض فيها لمهنة خصمه الفراء، حيث وصفها على لسان صاحبها بقوله[1]:

أنا ابن الذي إن قال صُدِّق قوله ... ولم يك بين الناس فيه خلاف
بأنمله ماضِ الطّعان مثقف ... خُطاه إلى الطُّعن الرُّكين خِفاف
إذا ازداد طعناً لاءم الدّهر سمته ... ويطعنُ قصداً والطعان صِداف

ويعود في قصيدة أخرى يشير إلى إبرة الفراء، وأنها ليست ذات أثر فيقول[2]:

هل رُمحك المهموزُ إلا إبرةٌ ... أمن الطعين بها من الإدماء؟
لو أنها في عين مرمود لما ... منعت ملاحِظه من الإغضاء
أبإبرة مثلَ الهباة كسيرةٍ ... تسطيع قلع الهضبة الصمّاء؟

ولا جرم أن يباهي الجزار بسكينه إزاء إبرة الفراء[3]:

تروي المدى من نجيع قانئ أبداً ... وليس يُدَرِكُ فينا طالبٌ ثارا

---

(1) ق 14.
(2) ق 34/ 29 ـ 31.
(3) ق 25/ 4.

فهـو لا يجـد بأسـاً في مهنـته، بعـد أن عابـه علـيها الوزيـر الكاتـب أبو الفضل ابن حسداي، إذ يَردُّ عليه قائلاً[1]:

تعـيب علـيَّ مألـوف القـصابة ومـن لم يـدر قـدر الشيء عابه
ولـو أحكمـت مـنها بعض فنٍ لمـا اسـتبدلت مـنها بالحجابـه

ويتفـنن شـاعرنا في عـرض محاسـن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف في قصيدته مهنته أجـلَّ وصـف، في معـرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس، بأسلوب بارعٍ ولُغة رشيقة[2].

ويـتجاوز الأمـر لـدى الجزار هذا، حيث يجعل جميع ذوي المهن عالة عليه، وتبع له، فيشير إلى أكثر مهن عصره من قصيدة في تسعة أبيات، يقول في بعضها[3]:

فمـنهم الكـراش والـسلاّخ إلـيهم الـسبار والطـباخ
والـصنَع المألـوف والجـلاد ودابـغ الجلـود والحـداد
إلـيهم الرواسـي والبلاجـي ثـم الفتـى المدعـو بالـسراج
ومـنهم الفـران والـزقاق يلـيهم الـرقاق والمـواق

وغيرهم من أصحاب المهن ...

وإذ تشتد خصومته مع الفراء، ويحتد في الكشف عن عوراته، وترصد معايبه، يتولى ذلك في قـصيدة ميمـية، فيحدثـنا حـديث العـارف الخبير، وهو ليس ببعيد عن مهنة صاحبه، ويتهمه بالتدلـيس في ابتياع الفراء، وأنها ليست ذات جدوى في دفع غائلة البرد، أو شدة الحر، ورائحتها كـريهة لا تطاق، ويفصّل القول في أساليب بيعها وشرائها، وتخرج إلى ضروب محرّمة، تقوم على أساس الاستغلال، يلجأ إليها الفرّاؤون[4]:

---

(1) 36/ 1 ـ 2.

(2) تنظر أبياته 3 ـ 12، 17، 18.

(3) ق 4.

(4) ق 21/ 1، 7، 8، 12، 13.

ألستم بتدليس الفراء عرفتم وذلك ظلم ليس يعدله ظلم
تبيعونها من جاهلين بأمرها مزوقةً محسومة مالها رسم
مزابنة تفضي إلى غاية الرِّبا وذلك ثلمٌ بالديانةِ بل خَرمُ

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن المزابنة، التي هي بيع ما لا يعلم بمعلوم المقدار، ولا يلبث أن يبين حد البيع المباح بقوله[1]:

إن خير البيوع ما كان نقداً ليس ما كان آجلاً بنسيه

ومن صور المجتمع التي وقف عندها السرقسطي، صورة شكوى الناس من العمال، واتهامهم بالظلم مع سوء أعمالهم، فمما وقع به عن المستعين بالله ابن هود قوله[2]:

نسبتم الظلم لعمالكم ونمتم عن قبح أعمالكم
لا تنسبوا الجور إليهم فما عمالكم إلا كأعمالكم

وهو إذ يرد تهم الظلم الموجهة للعمال، يخاطب أبا جعفر العامل، مستشفعاً لأبيه بعد أن اجتمع عليه خراج أرض اكتراها، ويبدو أن صاحب الشرطة كان قد أعانه، فارتكن إليه واستقوى به وقد تهكم من قله خبرة أبيه، وأشار إلى اكترائه الأرض وخسارته فيها[3]:

اكتراها ولم يكن مستخيراً وقت شؤم بطالع الأدبار
جدبةٌ بعضها من الشؤم أضحى في علوٍّ وبعضها في انحدار
لم يزل زارعاً بها حمل بغل رافعاً منه نصف حِمل حمار

ولقد تقدم بنا كيف أن الشاعر ترك الشعر إلى الجزارة، وذلك فيما أجاب به أبا الفضل بن حسداي، ثم أنه أدركته حرفة الأدب، وجعلته يدع الشعر إلى الجزارة تارة، ويعود إليه أخرى، لكنه يبين ما أدركه من نصب ووصب، فمن ذلك قوله يخاطب صاحب الأحكام

(1) المستدرك 11/ 14.
(2) المستدرك 9/ 1 ـ 2.
(3) المستدرك 4.

بسرقسطة[1]:

أقــل بنــيّات الخــصوم تهذّنــي وإن عنَّ نظم الشعر طبقتُ مِفصله

ويصور الشاعر اضطرابه بين القصابة والشعر، أدق تصوير وكيف أنه أدركه السغب فيهما ولم يستقر به المقام على واحدة منهما، حتى أصبح كالغراب الذي أضاع المشيتين[2]:

كـم بالقـصابة لا أنفـك في سـغب وفي المـدائح عـنها للفتـى حِـول
حتـى إذا حكت أثواب المديح، إذا بجـود لا بـسها قـولٌ ولا عمـل
لمـا بـدا لـي أن الـشعر مـسغبة وحـظُّ ناظمـه الحـرمان والـبخلُ
أو كالغـراب رأى في جـوّه حجـلاً فقـال: قـد بزّنـي في مـشيه الحجل

ويعزو أفول نجم شعره إلى دهره، يتناول ذلك بصريح العبارة ويقول[3]:

أشــقى لجــدك أن تكــون أديــباً أو أن يـرى فـيك الـورى تهذيـباً
فـإن اسـتقمت فـإن دهـرك كلُّـه عـوجٌ، وإن أخطـأت كـنت مصيباً

والـزاوية الأخـرى الـتي يطـل بهـا شـاعرنا علـى المجتمع الأندلسي، تبدو من خلال قـصيدته الـرائية الـتي رد بهـا علـى أبـي عامر أحمد بن غرسية، الذي كان من أبناء النصارى البـشكنس، ونـشأ في رعايـة مجاهد العامري، وقد ذاعت شهرة رسالته الشعرية التي فضل بها العجم على العرب.

ولم تكـن مـثل هـذه النـبرة، لتمـضي، دون تمحيص وتدقيق، فانبرى له أشهر كتاب الأنـدلس وردوا عليه، وعرفت في ذلك أربع رسائل، رسالة أبي يحيى بن مسعدة[4]، ورسالة

---

(1) المستدرك 6.
(2) ق 43/ 9، 11، 13، 21.
(3) المستدرك (1).
(4) نوادر المخطوطات 1/ 256 ـ 291.

أبـي جعفـر أحمـد بـن الـدودين البلنـسي[1]، الـذي ترجم له ابن بسام، والتقاه سنة 477هـ ورسـالة أبـي الطـيب بـن مـد الله الهـواري القيروانـي، المتوفـى سنة 493هـ[2] وهي أطول الرسـائل جميعاً، ورابعـة لابـن عـباس[3]، وقـد وردت الإشـارة إلى رسالة خامسة هي لأبي مـروان عـبد الملـك بـن أبـي عبد الله محمد بن أبي الخصال الأديب المشهور، كتبها في جمادى الآخرة سنة 528هـ، وكانت وفاته بعدها[4].

وكانـت رسـالة ابـن غرسـية مـوجهة إلى ابن الخراز، وفيها يعاتبه لتركه مدح مجاهد واقتـصاره علـى مـدائح ابـن صـمادح التجيبـي، ومن الغريب أن لا يرد ابن الخراز عليه، مـوافقاً أو مخالفـاً، وقـد وصـفها ابن بسام بقوله: "وهي رسالة ذميمة غَرَّب في تسطيرها، فلم يـسبق لكثـرة غلطه فيها وزللـه، إلى نظيرها، وذمّ فيها العرب، وفخر بقومه العجم، وأراد أن يعرب فأعجم .."[5].

وهـناك رأي آخـر يـزعم أن الرسـالة وجهـت إلى الـشاعر الأديـب أبي عبد الله بن الحداد[6].

ولأي مـنهما وجهـت، فـإن صـوت الـشعوبية في الأنـدلس لم يكـن قوياً، ولم تسفر الـشعوبية فـيها عـن وجههـا الـصريح، كمـا لم يكـن لها أنصار كثيرون على نحو ما كانت في المشرق، ولذلك لم يتجاوز صداها مدى بعيداً.

وعلـى كثـرة الـذين ردوا علـى أبـي عامـر بـن غرسـية، فإن جميعهم اختار أسلوب الرسـالة في الرد، وتفرد شاعرنا الجزار السرقسطي في الرد عليه شعراً، في قصيدة، وصل منها عشرة أبيات مطلعها[7]:

---

(1) نوادر المخطوطات 1/ 302 ـ 308، الأخيرة 3/ 715 ـ 722.

(2) سمـى رسـالته "حديقـة الـبلاغة ودوحة البراعة، المورقة أفنانها، بذكر المآثر العربية، ونشر المفاخر الإسلامية والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية" نوادر المخطوطات 1/ 310 ـ 330، الذخيرة 3/ 723 ـ 746.

(3) الذخيرة 3/ 746 ـ 755.

(4) التكملة 2/ 609 رقم 1700.

(5) الذخيرة 3/ 704، وفي المغرب 2/ 407، "ابن الجزار".

(6) نوادر المخطوطات 1/ 246.

(7) ق 44.

يـا مفتـياً بانـتقاص الشرع أعصاراً   أن كـنت ريحـاً فقد لاقيت إعصاراً

ولا يخـوض في تفـصيلات الحجـج الـتي يزعـم فيها ابن غرسية فضل الأعاجم على العـرب، علـى نحـو مـا جنحت له رسائل كتاب عصره الذين أغلظوا القول له وردوه بعنف وشـدة، بـل نجـد نـبرة الإبـاء والعـزة في أبياته، ويحرض الناس للنهوض في حماية الدين إزاء تبجح ابن غرسية:

كفاجـــرٍ مـــنهم في أرض دانـــيةٍ   قـد أظهـر الكفر فيها اليوم إظهارا
يـا للحنيفـي ممـا حـل مـا لكـم   لا تنكـرون خـلاف الـشرع إنكارا
هـذا ابـن غرسـيةٌ مـن لاردةٍ لهـج   بكـل كفـر صـريح يـورد الـنارا
فحـذروا الـناس من رومي مذهبه   ولا يـرى أحـدٌ مـنكم لـه جـارا
إنـا نـرى الآن هـذا الـدِّين نخذلـه   ونحـن كـنا لـه مـن قـبل أنـصارا

ونـتوقع أن تكـون القصيدة مبتورة وأنها جزء من قصيدة طويلة، وذلك لأن الشاعر كـان حـياً حين ألف ابن غرسية رسالته، فضج كتاب عصره بالرد عليها ـ كما رأينا ـ ونقض أفكارهـا، والـذي ينسجم مع سورة الغضب، وحدة المزاج التي طبع عليها الشاعر، أن تجيش قـريحة الـشاعر بقـصيدة طـويلة، تتـناول تفصيلات رسالة ابن غرسية بالمناقشة، لا سيما وأن ديوان الشاعر ينبئ عن نفس شعري طويل.

ونعـود إلى المحـور الثاني الذي دارت عليه أشعار الجزار في الإطار الاجتماعي، وهو شعر الآداب والأخلاق الإسلامية، فقد مضت في هذا الاتجاه عدة قصائد منها قصيدته البائية التي كتب بها إلى بعض إخوانه يصبره على ما دهاه فيقول:

عـوائد هـذه الدنـيا ضـروب   يُحمِّـل عـبأها الفَطِـنُ اللبـيبُ

وهـي ثمانـية أبـيات، وفـيها يقـرر حقـيقة تقلـب الأيـام، وتغيرهـا بأهلـها، وعـدم اسـتقرارها علـى حال، ويتضخم لديه هذا الشعور إلى أن يبلغ نبرةً تصور شكواه من الزمان

وخيبة أمله فيه بحيث يصفه بالشحّ، ويبدو أنه عاش ظروفاً سيئة حتى انتهى به الأمر إلى أن يتمنى الموت على الحياة ما دامَ العيش يقتضي ذُلَّ صاحبه[1]:

أرومُ الجـودَ مـن زمـن شـحيح | وصعبُ الـروم توقيف الجمـوح
زمـانٌ أقـصر الأيـام فـيه | كأطول ما حكوا عن عمر نُوحْ
يـشيب لهـوله الـولدان ذعـراً | ويحـسدُ حَيُّه مـن في الـضريح
فـزر يـا مـوت أو يـا نفس فيضي | وألا تعـتدي للمـوت روحـي

ولا يلبث أن يسلم أمره إلى قضاء الله سبحانه في عقيدة مؤمنة بالله، وطوية سليمة:

ومـا يأتـي القـضاء على قياس | فـيأس مـن صـلاح أو صلوح

ويتجلـى إيمانـه بقضاء الله وقدره، أجل تصوير، في قصيدة رائية قالها في رجل رحل مـن سرقـسطة فاراً منها حذاراً من العدو، وأظهر في فراره المسير إلى الحج، فلما أبصر البحر جـزع وانـصرف! وفـيها يـرى أن اجـتهاد الإنسان في النجاة لا يؤخر الأجل أو يقدمه، وأنّ ثـوب الخلـود عاريـة، ومـا نحـاذره أو نـرجوه يحـول بينه القضاء الجاري، والآمال القريبة لا تخـتلف عـن البعـيدة، فـربما لم يـدركها الإنـسان، لأن الحكـم النهائي لله سبحانه فالأولى أن يستسلم المرء إليه، يقول[2]:

يـا مـن يفـرّ مـن القضاء بنفسه | هـيهات مـن لمقـيّدٍ بفـرار
تبغي النجاة لها من الدنيا، وهل | يـنجو قنـيصٌ من مخالب ضار؟
أتفـرُّ مذعـوراً، كأنـك خالـدٌ | وكـأن ثـوب العمر، غير معارِ؟
مـن فـرّ مـن قدَر، فليس فراره | إلاّ إلى قـدر علـيه جـاري

---

(1) ق 45.

(2) ق 50، وينظر ما جاء آخر القصيدة في مناسبتها.

وتسيطر هذه الروح المؤمنة على قصائد أخرى للجزار، منها قصيدته الميمية التي يمدح بها الفقيه أبا الوليد، التي يستهلها، بمعاني التسليم لله، وقضائه وقدره[1]:

سبق القضاء بكل ما هو كائن ... فمن النهى التفويض والتسليم
قد قَسّمَ الأرزاق بين عباده ... ربٌ رؤوف بالعباد رحيمُ

وللقصيدة الرائية المتقدمة آنفاً، وجهان آخران، أحدهما: يسلط الضوء على طبيعة المعركة التي كانت محتدمة في القرن الخامس الهجري بين حكام الأندلس، وحكام اسبانية الشمالية، واتخذت أبعاداً منها، البعد العسكري، والبعد الفكري، فهي تصور نكبة المسلمين في الأندلس وضعف شوكتهم والصراع القائم بين الكفر والإيمان، بحيث دفع اضطراب الأمور والخطر المهدد أقواماً إلى الفرار والرحيل عن الأندلس، وصور ذلك ابن العسال (ت 487هـ)، أثر سقوط طليطلة، في أبياته المشهورة التي منها[2]:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلسٍ ... فما المقام بها إلا من الغلط

وأما الوجه الآخر: فيتمثل في صورة البحر المرعبة، التي ألقت في روع شعراء الأندلس، الخوف والذعر على نحو ما صوروه في أشعار كثيرة لهم[3]، مما دعا ذلك الشاعر إلى العودة عن الرحيل، وإيثار الموت في بلده مجاهداً عنه، فضلاً عما للجهاد من مكانة عند الله:

والبحر أصعبُ ميتةً لغريقه ... من ميتة بعواملٍ وشفار
وأحق من نالَ الشهادة مقصد ... بالمشرفية والقَنا الخطّار
أو ليس أفضل أن أموت مجاهداً ... من أن أموت لُقىً غريق بحارِ

ومن مقطعاته في شعر الآداب الإسلامية ما قاله في اللسان[4]:

---

(1) ق 51.
(2) نفح الطيب 4/ 352، وينظر بحث: ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي ص 528.
(3) ينظر بحث: البحر في شعر الأندلس والمغرب، ص 15؛ حوليات جامعة الكويت ـ الحولية السابعة 1986.
(4) المستدرك (5).

إيـاكَ مـن زلـل اللـسان فإنمـا | عقـل الفتـى في لفظـه المسموع
فالمـــرءُ يختـــبر الإنـــاء بنقـــره | لـيرى الصحيح به من المصدوع

ورسـالتها (بـادرة العـصر) تحفـل بهذا اللون من الشعر فمن ذلك قوله، في ضرورة اقتران الفهم والذكاء بطلب العلم[1]:

ودارس كـتب العلـم لا فهَم عنده | كـساعٍ بـلا جِـدٍ لإدراك مـأرب
يـنال مـن العلـم الذكـي نـصيبه | وإن هـو لم يعكـف علـيه ويـدأب
ومـا يـنفع المـرء الغـبيَّ دراسـةً | أينـتفع الأعمـى بكـل مجـرّب؟

وفي الرسالة ذاتها يقول في أدب التعامل مع العدو، وعدم الغفلة عنه أو مداراته[2]:

وإنّ العـــدو لكالحـــيَّةِ الـــتي | كمـــن الـــسمّ في ذاتهـــا
إذا اسـتمكنت لدغت واعتدتْ | ولم تنـــتفع بمـــداراتها

4- موضوعات أخرى:

أشـرنا فيما تقدم إلى أبرز موضوعات الجزار الشعرية، ولكي لا نحيف على الشاعر، ونخـل في التعريف بأشعاره، نقف وقفة قصيرة، عند موضوعاته الأخرى، التي كان مقلاً فيها، فمـن ذلـك مـا جاء في باب الخمرة والمجون، وهما يأتيان دائماً مقرونين بوصف الطبيعة، وفي ديـوانه ثـلاث قـصائد مـتجاورة في هـذا الاتجاه، وفي المستدرك رابعة، وأولى قصائده بائية في سبعة أبيات[3]:

وكـم ليلةٍ أحلى من الأمن بتُّها | نديمـيٌ بـدر والـرحيق رضـاب
سـريت إلـيها والـسماء كأنهـا | غديـرٌ لهـا زهـر النجوم حباب

(1) ق 7.
(2) ق 8، وتنظر ق 9، وق 48 وق 49.
(3) ق 40.

ويبلغ الوصف عنده مبلغ كبار الشعراء، فيصور لنا الليل ودخوله في الصباح وتلابسه:

وشهب الدراري تخفق الجوُّ والدجى ... كما اشتجرتْ يوم الهياج حراب
كأن طلوع الشِّعريين باثرها ... رقيبٌ بإحدى مقلتيه مصاب
وسلّتْ يدُ الإصباح مرهف فجره ... فذلّت رقاب الليل وهي صعاب

وثانية القصائد طائية يستهلها بالشوق والحنين إلى مدينة "شيقر" والذكريات التي أودعها فيها، وهي أطول قصائده في موضوعها بلغت نحو أربعين بيتاً، ومن آخرها نفهم أنها رسالة في الجواب على أحد أصدقائه[1]:

عسى وطن أودى بالفتنا شحطا ... يقرّبنا زلفى وينظمنا سِمطا
الا ليت شعري هل يُرى بعد ساعماً ... بعهد تصابٍ كنت في عقده وسطى
وهل يسعفني فيك يوماً بأوبةً ... يُضيءُ بها أرجاءَ "شيقرْ" والشطا

وعن مغامراته وفتكاته يحدثنا فيقول:

وكم فتكةٍ للراحِ جازت بنا المدى ... بحيث وشيجُ الحب والأثل والأرَطى
ومقصبةٍ تهفو الرياح فتنثني ... فتحسبها تحت الرياح قناً خَطّا.

وفي جمال الطبيعة، في وطنه الذي غادره، جدول الماء، والصَّبا، والبساتين يقول:

وجدول ماء كالمجرة أسبغت ... بحافاتها الأنواء من نسجها بسطا
صفا ماؤه حتى كأن انصبابه ... حسامٌ إذا يستل أو حيّة رقطا
كأن نثير النور تحت يد الصبا ... فصوص مها أو لؤلؤ أعوز السمطا

---

(1) ق 41.

بساتين بزَّت حُسن جنة مأرب لذيذ حلاها ليس أثلاً ولا خمطا

ويعود ثانيةً ليشير إلى الخمرة ومعاقرتها في تلك الطبيعة الساحرة في حوالي عشرة أبيات، ولا ينسى ساقيتهم، ونصيبها في الحسن المتجلي في جمال خدّيها وساقيها، وشعرها، ويبدو أن السن تقد تقدمت به حيث يختم قصيدته بالحديث عن مرضه الذي حار فيه الأطباء، ولازمه عاماً، فاقعده عن الكتابة، فضلاً عن شعوره بكبر السن والشيخوخة، واقتران ذكر الخمرة بالمرض، يدلنا على أنه ربما كان مدمناً عليها، وإلا فكيف ساغ له أن يرفع شكواه إلى الله، ويرجو السلامة وهو مقيم على معصيته سبحانه:

توالى عليّ السقم عاماً فحطني على رغم أنفي عن جدى صحتي حطا
إلى الله أشكو ما دهاني فقد عدا وأسال تعجيل بُرءٍ، فقد أبطا

وثالثة الأثافي في شعر الخمرة والمجون طائية كذلك، وهي أظهر في موضوعها وأجلى من سابقتيها تمثله في كبر سنه، وهي في سبعة أبيات فيقول[1]:

وعاطلةٍ حلّيتُ بالجد جيدها ونظمتُ من در الحباب لها سمطا
أدرت حمياها على الشرب والدجى بالجمه حال كزنجيةٍ شمطا
أقمت على اللذات فيها مباعداً ووفيت ريعان الشباب بها قِسطا

ويدركه السكر في كثرة معاقرتها، فيصور لنا ذلك بقوله:

أغني ولا أذنٌ تعي نغم الغنا وأسقى فلا أسطيع قبضاً ولا بسطا

وأما قصيدته التي ألحقناها بالديوان فهي في أربعة عشر بيتاً، يائية موصولة بالهاء، قالها يستهدي فيها مشروباً، وكانت قصائده الخمرية الثلاثة على وزن الطويل، لكنه اختار وزناً خفيفاً راقصاً يحكي رحلته الماجنة، هو بحر الخفيف، استمع إليه[2]:

---

(1) ق 42.
(2) المستدرك 11.

هاتهــا كوثـــرية عـــسجدية   بــنت كــرمٍ رحــيقة عطــرية
رب خمـــارة ســـريت إلـــيها   والدجـــى في ثـــيابه الـــزنجية
كـــم عقـــارٍ بذلـــته بُعقـــارِ   وثـــيابٍ صـــبغتها خمـــرية

ويختمها بقوله:

هـاك روضـاً مـن التأدب غضاً   بفـــصولٍ غـــريبة معـــنوية
مـن شـكورٍ أهـدى إلـيك ثناءً   حـين لم يـستطع سـواه هديـة

ومـن موضوعاته التي كان مقلاً فيها، شعر المجاوبات، وهو موضوع كثر النظم فيه في عصر الشاعر عصر ملوك الطوائف، وله فيه وقفتان ثنتان، أولاهما مع الوزير أبي الفضل بن حسداي الإسرائيلي الكاتب الشاعر، فقد رُوي أن الجزار دخل قصر سرقسطة مع الجزارين، في بعض أحوالهم، فأبصره الوزير أبو الفضل بن حسداي فاعترضه بهذا البيت[1]:

تـركت الـشعر من قلة الإصابه   وعـدت إلى التحـرف بالقصابه

فأجابـه أبو بكر بقصيدته على الوزن والقافية، في واحد وستين بيتاً، مناقضاً ومدافعاً عن القصابة:

تعـيبُ علـيّ مألـوف القـصابة   ومـن لم يـدرِ قـدرَ الشيء عابه
ولـو أحكمـتَ مـنها بعض فن   لمـا اسـتبدلت مـنها بالحجابـه

وقـد تقـدمت بعـض أبياتها خلال حديثنا عن شعره الاجتماعي الذي صور حرفته، تـصويراً سـاخراً ويحدثنا- في جواب أبي الفضل بن حسداي- عن أسباب عزوفه عن الشعر إلى مهـنة القـصابة، إذ لم يعـد الـشعر عـنده، بـاب حـياة ورزق، بعد أن شحّ بنو عصره على أصحابه:

---

(1) ق 36.

أبـا الفـضلْ الوزير أجب ندائي ... ففـضلك ضـامنٌ عنك الإجابه
لعمـرك مـا تركت الشعر حتى ... رأيـت الـبخل قد أمضى شهابه

وبلغ الأمر بالشاعر، أكبر من ذلك، حيث شعر بأنه كان ثقيلاً في زيارته أبا الفضل:

وظــن زيارتــي لطــلاب نـيلٍ ... فنافرنــي وغلّــظ لــي حِجابــه
وذو الهمــم العلـيّة مــن تجافـى ... وجـنَّب كـل مـن يبغي اجتنابه

وإزاء انفـلات الأمر من يديه، وعدم استطاعته التكسب بشعره تتشوه الصورة عنده فيمـسخ الـناس ذئابـاً مفترسـة، لا سـيما بخلاءهـم، ويوقـع بهم عن طريق مهنته، ويبدو أن الأبـيات العـشرة الـتي ختم بها قصيدته، وصارحه بما هو فيه من ضيق عيش وضنك حال لم تهـز مـنه كـريماً، ولم تـسعفه في حاجـته، ولذلك كتب إليه ثانية، يستنجزه، ويحثه، ويعنفه عن التأخر[1]:

أبـا ألفـضلْ لا تـرتبْ بفـضلك إنـني ... حفـزتُكَ والمـضطرّ يُعـذرَ في الحفـزِ
ولا بــد مـــن هـــزّ الكـــريمُ لأنـــني ... رأيت الحسام العضبَ أمضى لدى الهزّ
ولــو كــان يـستغنى الكــريم بطــبعه ... عـن الهـزُ لاسـتغنى الجـواد عن الهمز

فمـاذا يكون جواب ابن حسداي، بعد ما تقدم من الجزار، لقد أبدى إعجابه بشعره، ووعـده بالعطـاء، وكنـى عـن ذلـك، بفروٍ من الحمد يكسو به، ينتف منه طوراً، ويجزه طوراً آخر:

لعمـري لقـد طبقتُ في الشعر مفصلاً ... أتـيت بـه عفـواً، وأقللـت في الحـزُ
سـألطف في فـرو مـن الحمـد تكتسي ... بــه مقتــضى بالنــتف طـوراً وبالجـزُ

فراجعه الجزار ثانية يذكره بوعده، ويستنجزه، ويذكر ضيق السبل به[2]:

---

(1) ق 37.
(2) ق 38.

وإنـي لـذو بـزٍّ مـن الحمـد طـرزه		فمالـي أراك الـيوم تـزهد في بـزِّي[1]
فـيؤخذ مـن قـوم بعطـف تـوددٍ		ويـؤخذ مـن قـوم ان اعتاض بالزَّز[2]
ولم يـبق مـن يعتاضُ غيرك فاقض لي		علـيك فقـد أخلقت وجهي بالجمز[3]

ومن أشعاره في باب المجاوبات، ما ورد من أنه وعد شاعراً بشيء ومطله، فكتب إليه الشاعر ثلاثة أبيات يعاتبه[4]:

فإذا وعدت وقلت في شيء نَعمْ		لا تخلفـن فعـن خلافـك تُسال
يا صفوتي من أهل ودّي كلهم		مالـي أراك تقـول ما لا تفعل؟

فما كان من الجزار إلا أن أحسن التعليل، في جواب صاحبه فقال:

في سورة الشعراء عذري واضح		وكفـى بمـا نـص الكتاب المنزل
لكـن أراك إلى الملامـة جانحـاً		ولـربَّ عـذر واضـح لا يقـبل
تبغـي لـيفعل شـاعراً مـا قالـه		والله قـال: يقـول مـا لا يفعـلُ

وتأتـي قـصيدته البائية[5]، فـريدة في موضوع الرثاء، وهي ذات نفس طويل، وصل مـنها سـتة وثلاثون بيتاً يرثي بها الوزير أبا يونس بن أحمد، ويعزي ابنه أبا عمر، فيظهر عظم المصاب عليه، وجلله، ومطلعها:

ألمْ يـأن أن يغنـى العـزاء لبـيبُ		وأن يتـسلى عـن أسـاه كئـيب

وهـي في مفهـومها العـام تـدور في اتجـاه الـندب والـبكاء، وإظهار التفجع والأسى لفقدانه:

---

(1) البز: نوع من الثياب، وبز الثانية بمعنى الغلبة وفي المثل: "من عزّ بزّ".
(2) الزز: الصفع.
(3) الجمز: ضرب من العدو، وجمز الرجل في الأرض: ذهب.
(4) ق 46.
(5) ق 35.

أجـل إنهـا مـن فـتكةِ الدهر حالةٌ تقـضقض أضـلاع لهـا وجـنوبُ
فللدمـع مـا بـين الجفـون تدفـق وللـوجد مـا بـين الـضلوع دبيب
هو البث في قلب الهدى منه حسرةٌ وفي صـفحة العلـياء مـنه نـدوب
لـئن شـققت منه السحاب جيُوبها لقـد شُـققت مـنا علـيه قلـوب
ومـا هـو إلا حـادثٌ جـل خطـبه ففـاض شـجى منه وجاش وجيبُ

ويظهـر عظـم أسفه لفقده إياه، فقد خامر العقول الخبل، ولم يصدقوا برحيله، ينتقل إلى تأبينه، فيذكر خلاله ومحاسنه في ستة أبيات منها:

ليبك عليك العلم والحلم والحجى بأجفـان شـجو مـا لهـن غـروب
فتـى كـان يقـتاد الأبـيَّ فينـثني ويقـتاده داعـي الهـدى فينـيب
لـه سيفُ عـزم إن نضاحده مضى يفـل حـسام الخطـب وهو رسوب
أديـب أريـب قُلّـبُ القلـب حازم فتـىً المعـيُّ بالظـنون مـصيب

ويختم الشاعر قصيدته بتعزية ابنه أبي عمر، فيقول:

أبـا عمـرٌ إن تكتـئب فلمـثله وإن تحتـسبه فالجـزاء حـسيب
ومـثلك من يشجى فيرجع للتي هـي الأُخـر فـيما نابـه ويثوب

ويأتـي وصـف الطبـيعة، موضـوعاً رابعـاً في الموضوعات التي أقلَّ فيها الجزار، إذ لم يفـرد الطبـيعة بقـصائد، بـل جاء وصفه إياها مبثوثاً في موضوعاته الأخرى، وقد تقدمت لنا إشـارة في قـصيدته الميمـية التي مدح فيها أبا الأصبع بن الإمام، ومنهجه في الوصف لا يخرج عن منهج شعراء الطبيعة في الأندلس، الذين أثقلوا شعرهم بالتشبيهات، ومن أشعاره فيها ما جاء مقترناً بالغزل يقول[1]:

---

(1) 52/ 7 ـ 8.

سـرت ونواظـرُ الـرقباء رمـدُ | وعـين الدهـر ريـا بالمـنام
وقـد لبـست نجـوم الجـو بُـرداً | أجـادت صِـبغهُ أيـدي الظـلام

ويسترسل في ذلك مستهلاً أربعة عشر بيتاً بأداة التشبيه 'كأن'، وهو فيها يشبه الخضراء بالـروض تفـتح عـن بهـار في كمـام، والـبدر بأمير القوم، ونجومه بالجنود المبثوثين، فتقدمها الطلائـع، وهـي تكـشف أسـرار اللـيل، قـبل انـبلاج الـصبح، وهكـذا يمضي مع الفرقدين، وسـهيل، والـشعرى، وبـنات نعـش والسهى والحوت والجوزاء، في صور بديعة، وتشبيهات بلـيغة، وقـد لاحظـنا كيف مزج الشاعر وصف الطبيعة مع شعر الخمرة والمجون، على نحو ما تقدمت أبياته البائية والطائية[1].

ولـشعراء الأنـدلس وقفـة عـند الطبيعة الحية، أفردها زميلي الدكتور حازم عبد الله خـضر بدراسـة[2]، وأمـا الجزار فله مقطعة في ثلاثة أبيات، ارتجلها بعد أن أرقته البراغيث في ليلة باتها في حصن 'بيتول' من عمل سرقسطة ومنها قوله[3]:

لقـد بـتُّ فـيها لـيلة أي لـيلة | وبرغوثها حولي من الفرح يرقصُ
كـأن فراشـي تحت جنبيَّ طـاجن | وزريعـة الكـتان فـيه تحمّـص

وقـد تـردد هـذا المعنـى عـند شـاعرين أندلـسيين آخرين هما، أبو الحسن الحصري القيراونـي، وابـن حمـديس حـيث يتفقان على رقص البراغيث، لكنها عند الحصري، ترقص على غناء البعوض، حيث يصفها بعد حلوله بلنسية، فيقول[4]:

ضـاقت بلنـسية بـي | وذاد عـني غموضـي
رقـص الـبراغيث حولـي | علـى غـناء الـبعوض

(1) تنظر ق قم 40، 41.
(2) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، وزارة الإعلام ـ بغداد، 1987.
(3) ق 47.
(4) المطرب، 197.

ويرى ابن حمديس فيها ذئاباً مفترسة، بعد أن جعلت دمه خمراً تشربه، يقول[1]:

جعلـت دمي خمراً تداوم شربها ... مسترخـصاتٍ منه مالا يرخصُ
فـترى الـبعوض مغنـياً بـربابه ... والبق تشرب والبراغِث ترقصُ

السمات الفنية:

لاحظنا من الدراسة الموضوعية لأشعار أبي بكر الجزار، تنوعاً موضوعياً في أشعاره، فلـم يقصرها على موضوع واحد، وإن كانت أنصبتها متفاوتة، وكانت حصة المديح والهجاء مـتقدمة، تلـتها أشعاره التي صور فيها مجتمعه ومهنته، وفخره بالعروبة والإسلام، في معرض الـرد علـى نزعة الشعوبية، واشعاره الحكمية، في الآداب والأخلاق الإسلامية، وموضوعات أخرى كان مقلاً فيها، كشعر الخمرة والمجون وشعر المجاوبات، والرثاء وشعر الطبيعة.

لقـد أغفلت أكثر مصادر الأدب الأندلسي، ذكره، حتى أن أديباً أندلسياً وناقداً كبيراً مـثل ابـن بـسام ممن كان له سعة باع، في تتبع أشعار أهل عصره بالأندلس، جعل شاعرنا في جملة الشعراء المقلين، وكان ثالث ثلاثة ختم بهم سفره القيم الذي ترجم فيه للجانب الشرقي من الأندلس[2].

إن جامـع ديوان الجزار أنكر هذا الموقف على ابن بسام، وانتصف له- وهو الناقد- فاجتنى من الأيام أشعار الجزار وباهى به الزمان، وبلغ إعجابه به أن قال فيه: "لو أنشد الصم لـشق أسماعها وفتق، ولو تناولته البكم، لأجرى لسنها بالتكلم به وأنطق، أو لو افتخرت به الرواة، لكفاها فخراً، أو سمعته الخنساء لأنساها صخراً ..."[3] وقال عنه كذلك: "لما خص من الـشعر بخطـو وسـاع، ومـادة من قوة واتساع، وأغراض عذبة المساق، ومعان بديعة الانتظام والاتـساق، وألفـاظ مـصقولة الترائب، وأشعار محفوفة بالحكم والغرائب قد خلصت تخليص الإبريز ... فجاءت له حسن الوجوه الصباح، وتعلقت بالقلوب تعلق الأرواح بالأشباح"[4].

---

(1) ديوان ابن حمديس، ص 289.
(2) الذخيرة، 3/ 905 ـ 908.
(3) ديوانه 1/ ب.
(4) نفسه 1/ ب.

وممـن أبـدى إعجابـه بـشعر أبـي بكر الجزار الشاعر الكاتب الناقد، لسان الدين بن الخطـيب (ت776هــ) فقـال فيه: "أفصح عن السِّحر في مقاله واجتلى كالسيف غِبَّ صقاله، ولدّ واخترع، وفي كلتا الحالتين برع"[1].

لقـد بلـغ عمـر شاعرنا الشعري أربعين عاماً[2]، وعلى الرغم من أنه لم يكن متفرغاً لقـول الـشعر، كمـا أنـه لم يكـن متكسباً به، بشكل متصل، فإن هذا العمر الطويل ينتظر معه نِتاج خصب، إلا أن كثيراً من شعره فُقد، وما بقي من أشعاره يمثل جانباً، ونستطيع أن نلمح مما بين أيدينا من أشعاره الملامح التالية:

خـرج الجـزار على النهج التقليدي في استهلال القصيدة بالغزل، فقد لاحظنا أن النسبة الغالـبة مـن قصائده، لا تلتزم هذا النهج، لا سيما مدائحه[3]، وقد زاوج في أكثر من قصيدة بين وصف الطبيعة وموضوعات أخرى، كالشوق والحنين، والغزل، والخمرة.

كـان الـشاعر ذا ثـروة لغـوية كـبيرة، وقـد أعـرب ابن مطروح، جامع الديوان، عن أعجابـه بلغـة الـشاعر وأسـلوبه في الـنظم، فكان مما وصف به قصيدته البائية في جواب ابن حـسداي "وأقـول الآن أن قصيدته هذه أجاد سبكها وأحسن، وضمنها المثل الغريب، والمعنى المستحـسن، وبـز فـيها جمـيع الـبلغاء والفـصحاء، جمع فيها بين صحة المعنى، وعذوبة اللفظ المصقول"[4].

ومـا يعـرب عـن ثـروة الجـزار اللغـوية وثقافـته احـتجاجه في تـشبيه ممدوحه زهير العامـري بالفـتخاء، التي هي مؤنثة، إذ يصف بها مذكراً، وقد عرضنا لذلك في موضعه حين الحـديث عـن كـتابه (بـادرة العـصر)، فقـد أورد من الشواهد في كلام العرب وأشعارهم في تـشبيه الرجال بالحية الأنثى، إلا أنه مع ذلك آثر اليسر والسهولة في لغته وعدم التكلف، وقد حلا له أن يتلاعب بالألفاظ كما نلمح ذلك مجنساً بين كلمتي "فرّاء" و"فرّار" كما في قوله[5]:

---

(1) جيش التوشيح، 147.

(2) ديوانه 16/ ب.

(3) تنظر القصائد: 11، 39، 41، 51.

(4) ديوانه 10/ أ.

(5) ديوانه رقم (25).

وإنمـا قـيل: "فـراء" لـصانعكم		علـى المجاز، وكان الأصل "فرّار"

أو في قوله[1]:

سـلام يـا "أبـا حـسن"		علـيك سـلام إرضـاء
سـلام مـبدل المـيم		علـى فـوديك بالحـاء

وعلـى الـرغم مـن غنـى أبي بكر اللغوي، فإن لغته الشعرية بقيت تميل إلى السهولة والـسلاسة، لا سـيما في قصائده الطويلة التي تتسم بسمة العفوية، وعدم التكلف في الصناعة اللفظـية، وسنـستعرض بعـض أبـيات قـصيدته البائية التي أجاب بها أبا الفضل بن حسداي وهي في واحد وستين بيتاً، لم نجد فيها لفظة حوشية غريبة بل لحنا اللغة السهلة الواضحة[2]:

تعـيب علـيّ مألـوف القـصابه		ومـن لم يـدر قـدر الشيء عابه
لعمـرك لـو نظـرت إلـيّ فـيها		وحولـي مـن بـني كلبٍ عصابه
لهالـك مـا رأيـت وقلـت: هذا		هِزبـرٌ صـير الأوضـام غابـه

ويستخدم المحسنات البديعية باعتدال، فنلمح الجناس في قوله:

فتكـنا في بـني العنـزي فـتكاً		أقـر الذعـر فـيهم والمهابـة
أبـدنا شـيبهم ومتـى ظفـرنا		بغـرٍ شـب لم نـرحم شـبابه

وتبقـى لغـة الـشاعر محافظـة علـى سمـتها، حتى في موضوعاته التي تستدعي جزالة الألفـاظ ومتانـتها، ويـبدو ذلـك واضـحاً في قـصائده الثلاث التي وردت في الديوان في مدح الخليفة زهير العامري، والفقيهين أبي الأصبع بن الإمام، فمن الأولى قوله[3]:

---

(1) ديوانه رقم (10).
(2) ديوانه رقم 36/ 1، 3 ـ 4.
(3) ديوانه رقم 1/ 1 ـ 3.

اليوم حُلّيَ عاطلُ العلياء | اليوم جرَّ الدهر ذيل بهاءِ
اليوم توجت العلا وتبرجت | عند المنى في حلة السراء
أوفى الزمان بعهدهِ لزفافه | خيرَ النساء لسيدِ الخلفاء

ومن الثانية قوله(1):

إن الفقيه أبا الوليدْ المتقى | وزر كفيلٌ بالمراد زعيمُ
لولا سلوك يمينه سبل الندى | ُدرست ولم يُعلم لهن رسوم
يا أيها المحرومُ مأمولَ المنى | أجهلت أن عطاءه محتوم؟

ومن الثالثة قوله(2):

قدير همُّه صون المعاني | وبذل النفس في الهمم العظام
كلا يوميه في جود وبأس | حميد السعي مرضي المقامِ
يجود بماله جود الكرام | ويمنع عرضه منع اللئامِ

وتواتيه لغته السهلة في قصيدة الرثاء كذلك فمن ذلك ما جاء في بائيته التي يرثي فيها أبا يونس، ونلمح فيها استخدام المحسنات البديعية بشكل معتدل(3):

ألم تر شعب المجد كيف سطت به | وجزت شعوب الشمل فيه شعوب؟
دعته المنايا دعوة فأجابها | وبالكره ما تدعو بنا فنجيبُ
ولا زال ريحان الإله وروحه | ينم على أرواحه ويطيب
يهبن رضا منها ويسلبن عنوةً | وأغرب شيءٍ واهب وسلوبُ

(1) ديوانه رقم 51/ 12 ـ 14.
(2) ديوانه رقم 52/ 26، 28، 29.
(3) ديوانه رقم 35/ 9، 14، 28، 34، 35.

أبــا عمـــرٍ إن تكتـــبْ فلمـــثله وإن تحتـــسبه فالجـــزاء حـــسيبُ

وأما في مجال الصورة الفنية، فقد حالفه الحظ في تشبيهاته التي استخدمها في وصف الطبيعة وقد تقدم بنا بعضها حين عرضنا لشعره في الغزل والمجون، لا سيما بائيته التي يقول فيها(1):

وكـم ليلة أحلى من الأمن بتها نديمي بـدر والـرحيق رضـاب

ويصف انبلاج الصباح، وإدبار الليل بقوله(2):

وسـلت يد الإصباح مرهف فجره فـذلت رقـاب الليـل وهي صعاب

ويبلغ الذروة في التصوير في قصيدته الميمية التي نظمها في مدح ابن الإمام حين تأتي مثقلة بالتشبيهات، وقد استخدم فيها أداة التشبيه "كأن" في بداية أربعة عشر بيتاً، فالبدر أمير القوم، يقدم جيشه، والفرقدان حبيبان، استكانا للغرام، وسهيل مروع من ذي انتقام، وهو خافق القلب، كالمعنّى، وأما الشعرى فقد تبرجت فأشبهت خليع الفتيات، وهكذا يمضي في تشبيهاته مع بنات نعش، والسهى، والجوزاء .. فيقول(3):

كــأن الــبدر مــنه أمـير قــوم ســرى مــنهن في جــيش لهــام
كــأن الفــرقدين إذا اســتكنا حبيـــبان اســـتكانا للغـــرام
كــأن ســهيلها رجــل مــروع تــوجس خـيفة مـن ذي انـتقام
كــأن خفــوقه قلــب المعنــى تــشكى مـا يلاقـي مـن هـيام
كــأن تــبرج الــشعرى خلــيع مـن الفتـيات واضـعة اللـثام

---

(1) 40/ 1.
(2) 40/ 6.
(3) 52/ 10، 13 ـ 16.

ومن صوره الجميلة التي جاءت في قصيدة المديح قوله[1]:

لما رأيت سماء جودك زينت	بنجوم جود نوؤها مسجوم
أرسلت شيطان افتقاري سامعاً	فلعله بشهابها مرجوم

كذلك نجد صوره البارعة في قصيدة الرثاء، وهو يتحدث عن ألمه وفجيعته بالقدر[2]:

لئن شققت منه السحاب جيوبها	لقد شققت منا عليه قلوب
الا إنما الأقدار جيش خيوله	متون الليالي والسلاح خطوب

وتتكرر المعاني لدى الشاعر في بعض صوره، فمن ذلك إشارته إلى وسطى العقد تارة بعهد تصابيه، وأخرى بتوسط الشعري بين الكواكب، مكرراً لفظة القافية فيقول[3]:

الا ليت شعري هل يرى بعد سامحاً	بعهد تصابٍ كنت في عِقده وسُطى

ويقول كذلك[4]:

تخير من ذر الكواكب عقده	وخُص من الشعرى العبور له وسطى

ومما تكرر في القصيدتين آنفاً قوله[5]:

وعذراً لتأخير الجواب فإنني	ضعفت فلا قبضاً أطقت ولا بسطا

وقوله[6]:

---

(1) 51/ 37 ـ 38.

(2) 35/ 5، 11.

(3) 41/ 4.

(4) 42/ 3.

(5) 41/ 27.

(6) 42/ 7.

أغنّــي ولا أذن تعــي نغــم الغــنا وأمضي فلا أسطيع قبضاً ولا بسطا

وأمـا أوزان الجـزار وموسـيقاه الـتي اسـتخدمها في قـصائده، فـالملاحظ أنـه مال في قـصائده إلى الأوزان الطـويلة الهادئـة، بحـيث جـاءت أربع وخمسون قصيدة عليها، أي بنسبة 84٪ مـن مجمـوع شـعره، وأمـا الأوزان القصيرة المضطربة، فقد جاءت في عشر قصائد فقط بنـسبة 16٪، وقـد استطاع السرقسطي أن يحقق تنوعاً في بحوره التي استخدمها، فقد استخدم ثلثي البحور الشعرية وأهمل ستة بحور فقط.

ولا يفوتـنا أن نـشير إلى أن الـشاعر نظم في الموشحات وكان واحداً من أبرز شعراء عـصر المـرابطين في هـذا المجـال وقـد حفـظ لـنا ابـن الخطيب عشر موشحات[1] له ألحقناها بالديوان.

وأما النموذج الذي آثره الشاعر لقصائد ديوانه، من حيث بناء القصيدة، فقد لاحظنا أن أكثـر أشـعاره تمـيل إلى المقطعـات الشعرية، فقد جاء حوالي ثلثي ديوانه بصورة مقطعات شـعرية، وأمـا قـصائده الطـويلة، فـتؤلف حوالي ربع الديوان، وأما القصائد التي لا تتجاوز عـشرة أبـيات فهي أقل نصيباً إذ جاءت ست قصائد فقط على هذا النحو، وذلك يتضح من خلال الإحصائية المبسطة لقصائد الديوان وعدد أبياتها مع النسبة المئوية لها.

وبعد ...

فقد بسطت الحديث ممهداً .. في وصف مخطوط الديوان وقيمتها، وتحدثت عن جامع الديـوان ومـنهجه، ثم ألمت بإيجاز بحياة الشاعر، وقدمت دراسة متواضعة عن كتاب (بادرة العصر ..) الذي جاء ضمن ديوانه (روضة المحاسن ..) كما استعرضت أبرز موضوعات هذا الديوان ووقفت عند السمات الفنية المتميزة في شعره.

أرجـو أن أكـون قـد وفقت فيما أنا بسبيله ومن الله نستمد القوة والأيد، والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الكريم ..

---

(1) جيش التوشيح، ص 147 ـ 157.

الـــديـــوان

الورقة: ١ (أ) من ديوان الجزار السرقسطي

الورقة: ١ (ب) من ديوان الجزار السرقسطي

الورقة: ٦١ (أ) من الديوان

الورقة: ٦١ (ب) من الديوان

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيْمِ [١/ أ]

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ديوان الأديب أبي بكر الجزار

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم

ديوان الجزار السرقسطي

الحمد لله الذي بَرأ الإنسانَ وخلق، وأجرى اللسان بالبيان وأطلق، وجَبل على [1/أ] البلاغة من شاء، ومنحه الاختراعَ والإنشا، وصلى الله على سيدنا محمد، الذي اصطفاه واجتباه، وخصّه بجوامع الكَلِم وحباه، وأرسله بالبينات الواضحة، وأنقذه من المشكلات الفاضحة، وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار[1]، صلاةً متصلة بمدى[2] الليالي والأعمار، وبعد:

فإن الشعرَ لما كان ديوانَ العرب الذي به حفظت أسماءها وأحسابها، وحققتْ به انتماءها إلى الفضائل وانتسابها، وأدركت به ثأرها، وقيّدت به مساعيها الكريمة، وأنارت، وأبرأت به نُفاثةَ الصُّدور وشَفَت، واسترجَعَتْ به على الطلول التي دَرستْ وعَفَتْ[3] وغَدا مستَودع أخبارِها الأول، ومشتملاً على ما اتّفق في سالفِ الأيام والدّول، وانتظمَ على هذا النوع والمثال، وخُصَّ بالحِكَم الغريبة والأمثال، صار ضَالّة كلِّ إنسان، وحِليةَ كلِّ لسان، وعادَ مدرجةً للبيان، نافقاً عند السُّوقة[4] والأعيان، يُروَى، ويروي على مر الزمان، ويتشوق إليه تشوقَ الخائف إلى الأمان، فإن الأستاذ الشّاعر الباهر، والأديب الأريب الماهر، أبا بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي[5]- عفا الله عنه- لما خص من الشعر بخطو وساع، ومادة من قوة واتساع، وأغراضٍ عذبة المساق، ومعان بديعة الانتظام والاتساق[6]، وألفاظٍ مصقولةٍ

(1) الأصل: الخيار والتصحيح من الحاشية حيث كتبت الأخيار وفوقها كلمة صح.

(2) المدى كالفتى: الغاية، كالمدية بالضمة، والميداء بالكسر (ق).

(3) عطف تفسير، أن العفاء هو الدروس.

(4) السوقة بالضم، الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث أو قد يجمع سوقاً كعرد (ق).

(5) المعروف بابن عيسى السرقسطي.

(6) مصدر اتسق، يقال تلفقت الأشياء واتسقت وتنسقت انضم بعضها إلى بعض بمعنى.

التّرائب[1]، وأشعار محفوفة [1/ب] بالحكم والغَرائب، قد خَلُصتْ تخليصَ الإبريز، وأبرزتْ رائعةَ الحُلل والتَّطريز، فجاءتْ لها حسنُ الوجوه الصّباح، وتعلقتْ بالقلوب تعلقَ الأرواح بالأَشباح، وضمَّني وإياه الوطن وجَمع، ورأيتُ أشعاره تُتَمَنَّى أن تُروَى كلَّ حين وتُسمع، قُمتُ بذكره في الأنام مباهياً ومُفتخراً، وأصبحتُ لشعره مجتنياً من الأيام ومُدّخراً.

وأقول الآن على طريق الاختصار والإيجاز، وأصرّحُ على وجه الحقيقةِ لا المجاز، لو أنشدَ شعره الصُّمَّ لشقَ أسماعهَا وفتقَ، ولو تناولته البُكم لأجرى لسانُها بالتّكلم به وأنطقَ، أو لو افتخرت به الرُّواة لكفاها فخراً، أو لو سَمِعته الخَنساء لأنساها صَخراً، ولو رَآته حكمٌ[2] لازدرت أبا نواسها واستَقصرت، أو لو وَقفتْ عليه حَنيفةٌ لما رَضيت بالتختم من بدائع عَباسها[3] وأبصرت، أو لو اطّلعتْ عليه إياد ما استملحتْ قُسها بعكاظَ ولا استغربتْ، أو لو سَمعته خُزاعةُ لأمسكتْ عن ذِكر دِعبلها[4] وأضربت.

هذا ونشأ بالثغر الأعلى[5] وسكن، ولم يتّصل به إنسه ولا تمكّن، بل جاورَ العجمَ جلَّ حياته، ولم يُنصفه الدّهر على غريب بدائِعه وآياته، فكيف لو لحِق بالفصحاء السّراة، وشَربَ من ماءِ دجلةَ والفرات، وحطَّ بالعراق رَحله، وأمِن بها حرب الزّمان ومَحلَه، لعلا في البلاغة نبعُه، وازداد رقةً طبعُه، وابتليتَ منه العجب، ورأيتَ من أسرارِ البَديع ما احتَجب.

ولّما ظهرتْ بدائعه وغُرره، وانتَظمت بجيدِ الزمان دُرره. وانتشرت أشعاره ورَفَّ[6] نُورها، وكثرَ على الألسنة دَورها، التمستُها في كل محفلٍ وناد، فما ألفيتُ لها رواية صحيحةَ

(1) الأصل: القرائب، وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) القبيلة التي كان والد أبي نواس (ت198هـ) من موالي احد ولاتها: الجراح بن عبد الله الحكمي وكان والي خراسان في عهد عمر بن عبد العزيز.

(3) الإشارة إلى العباس بن الأحنف الشاعر العباسي المعروف (ت192هـ) وقبيلته حنيفة.

(4) الإشارة إلى دعبل بن علي الشاعر العباسي المعروف (ت335هـ) قبيلته خزاعة وديوانه معروف طبع أكثر من طبعة.

(5) المراد بالثغر الأعلى: ولاية سرقسطة وأعمالها.

(6) رفَّ رفاً ورفيفاً، ترف. ويحتمل أن يكون زف (بالزاي) بمعنى لمع أيضاً هذا على أن النون من نورها مضموم، وأما بالفتح فهو الزهر ويكون (زُفّ) مبنياً للمفعول ومعنى زف سرى وهو الأولى لبوازي (دورها)، وإن كان الأول أظهر من جهة المعنى.

الإنشاد، ولا ديواناً[1] مجموعاً، ولا تأليفاً مروياً عنه، ولا مَسموعاً، اللهم إلا نُبذاً يسيرة قَيدتها عن رجال ثقاتٍ، وجمعتُها في مددٍ طويلة وأوقات.

ولما رأيت الناس على قديم الدهور والأعصار، يفتخرون بمحاسن مِصرهم على سائر الأمصار، ضممتُ ما جمعتُ من تلك النُبذ ورتَّبت، وألّفتُ ما قيدتُ منها قديماً وكتبت، [2/أ] لكي يتحقق أنّ لأهل مِصرنا في كل نِضال رماءً[2]، وأنّ لهم انتساباً إلى المحاسن وانتماءً، وأنهم طُبعوا على العلوم وجُبلوا، وحُمدوا في كل فنٍ منها واستُنبلوا، وأينَ يقع هذا المجموع مما له من بديعِ النِّظام، وما صدَر عنه من القصائد المذهبات[3] العِظام، بل أين هو من أمداحِه في ملوكِ بني هودٍ على كثيرِ عَدَدهم، واتصال أزمانِهم ومُددهِم، إلى ماله في أعيان الفقهاء والوُزراء، وما انفردَ به من الأغراض دون سائر الشعراء.

وهل هذا المجموع إلا قطرةٌ من بحره المتلاطم الزّاخر، ونبذةٌ من بديعه الفَائق الفَاخر، وعلى هذا فكيفَ جعله ابن بسام من المقلّين في الذخيرة[4]، ولم يلحقه بفحول الشعراء المكثرين الخيرة، الذين بذوا في صناعة الشعر وسبقوا، وملؤوا بمحاسنهم الآفاق وطبَّقوا، وهل ذلك إلا غَلطٌ بيّن، أو شَطَط تلافيه مُعترض متعيّن.

وإلى الله أضرعُ في أن يوفّي كل ذي حقٍ حقّه، وأن لا يؤاخذ أحداً إلا بما استوجبَه واستحقّه، أو لعل ابن بسام لم يبلغه من شعره إلا ما أورد له في كتابه، فمن الواجب أن يتوقفَ عن عتابه، ويُقضَى على الوجه الذي أتى به. والآن لا غرو أن أثبتَ ما للمذكور في المجون من الأشعار، وأورد أبياتاً في مقطوعاته الخَمريات، ليطّلع على ماله في البلاغة والفَصاحة، من اتساع المجالِ وبُعد السّاحة، لا رَاغباً في شيءٍ من المَوصوفات التي وَصف في شِعره وذكَر.

---

(1) الأصل: صحيحة وإنشاء ديواناً، وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) [الرماء: مصدر رمى، يرامي].

(3) المذهبات: من أذهب وذهَّب: حلاهُ بالذّهب (ق) والشيء الردي هو الذي نميزه بالذهب، كالخرق والنجامر (كذا) والحديد، فليس هذا من أوصاف المدح بل من أبلغ أوصاف الذم. ويمكن أن يقال: أن هذا غلط من الناسخ، وأن نسخة المؤلف فيها ألقصائد الذهبيات.

(4) [يشير إلى كتاب ((الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)) من أشهر مصادر الأدب الأندلسي' وقد نشره محققاً د. احسان عباس -دار الثقافة بيروت 1976].

ولَرب جاهلٍ متعسفٍ رأى في هذا المجموع، فنَعى عليَّ ما أوردته من تلك الأبيات وأنكر، ولم يعلمْ أنّي إنما أوردتُ ذلك، حَاكياً له، ودَالّاً عليه، ليُوقف على حقيقةِ ما نُسبَ من البَراعة إليه، ولو كنتُ رأيتُ ذلك غيرَ سائغٍ في حُكم الأدب عند الجمهور، وجائزٍ إلى الأَبد، على قديم الأزمنة والدهور، لما أحدَثتُ لشيء من ذلك كلّه ذكراً، ولا اعملتُ في جَمعه خاطراً ولا فكراً، ومع أنه جائزٌ عند من تأخر من النُّفير[1] وتقدم، فإني معتقد أني ممن أشفى على خَطرٍ في ذلك وأقْدم، واللهَ عز وجل أسأله غفرانَ الجَرائم والجَرائر، [2/ ب] وأتوسل إليه في إصلاح الضَّمائر والسّرائر، بمنّه وبه أستظهر على ذلك كلّه وأستعين، فهو سبحانه المنجد المعين.

وهاك من تلك النُّبذ، ما تَتمنى إليها[2] الأَبصار والأسماع، وتنقطعُ دون معارضتها الآمال والأَطماع، فمن ذلك قصيدة كتب بها إلى الخليفة زهير[3] عند احتفاله في عُرسِه وابتنائه بعِرسِه، وهي هذا:

[1]

(من الكامل)

1	اليَومَ حُلّيَ عاطلُ العلياء	اليومَ جرٌ الدّهر ذيلَ بهاءِ
	اليومَ توجت العُلا وتبرّجت	عند المُنى في حُلةِ السَّراءِ[4]
	أوفى الزّمان بعَهده لزَفافِه	خيرَ النّساء لسيدِ الخُلفاءِ[5]
	لم تُسمعِ الآذانُ قبلَ هِدائِها	بحمامةٍ زُفتْ إلى فتخاءِ[6]

(1) النفير: بمعنى النفر، جماعة الأدباء.

(2) الأصل: إليهَ.

(3) أبو القاسم الصقلبي العامري حكم المرية بعد وفاة أخيه وصاحبها خيران سنة 419، وحكم مرسية وأوريولة، وامتد حكمه شرقاً حتى شاطبة، وشمالاً حتى بياسة وقرطبة، وكانت علاقاته طيبة مع جيرانه في مالقة وغرناطة، إلا أنه خرج إلى غرناطة غازياً، واشتبك مع قوات باديس وقتل سنة 429، وأدركت المرية على عهده تقدماً علمياً كبيرا. ينظر دول الطوائف 126، 160، 172، الذخيرة، 1/ 2/ 656، التبيان 34، البيان المغرب 3/ 169، الإحاطة 1/ 517.

(4) تبرجت: أظهرت زينتها.

(5) لزفافه: اهدائه أو هديه يقال زف العروس إلى زوجها زفاً وزفافاً هداها (ق).

(6) زفت: اهديت أو هديت.

أمثال حدٍ ما ترى أم أيكم   قد بُشرت بتآلف الأهواء[1]
ما إنها لسماتُ سَعدٍ بشرتْ   أطيارَها بسعادةٍ ونَماءِ
زُفتْ إلى بَدرِ العُلا شمسُ الضُحى   فتوسطا فَلكي سَناً وسناءِ [3/أ]
كِفآ عُلا وسيادة قد ألِفا   ومن السّعود تآلُفُ الأكفاء[2]
وتطابقا رُوحاهما فتمازَجا   مثل امتزاجِ الماءِ بالصَهْباء[3]
باليُمنِ والإقبال والسّراء   وسعادةٍ مَوصولةٍ بنَماء
طلَعتْ بأفلاكِ السُعود نجومُها   فالجابَ ليلُ الحُزن والغمّاء
لله عِرساً يا خَليفةُ إنها   لمسيرةٌ بمآتمِ الأعداء
صُنعٌ خلعتَ به على كلّ الوَرى   حُللاً من السّراءِ والنُعماء
لبِستْ به الأيّام بُردَ جَمالِها   وتبرّجتْ في حُلةِ الخُيلاء[4]
لما رَفعتَ مُؤججاً نارَ القِرى   فيه لِدانٍ وافدٍ ولِناءِ[5]
لبّاك، منثالين في عَددِ الدَّبى   زُمرٌ يضيقُ بهن كُلُّ فَضاءِ[6]
تسعى بهم قَدمُ المنى وتحثُّهم   حثَّ الظماءِ إلى وُرود الماءِ [3/ب]
حتى إذا حَلّوا الندى وأينعتْ   لهمُ رياضُ البشر والإدناء[7]
كرَعُوا لحوضِ المكرماتِ كأنما   فازوا بَعدْنِ قبلَ وقتِ جَزاءِ[8]
إن يكثروا عدَداً فقد أوسعتَهم   صَدراً تضيقُ له فلا البَيداءِ[9]

---

(1) الأيكم: جمع أكمة، وأصله أأكم. أبدلت الهمزة ياء وكان القياس إبدالها ألفاً كما في آدم.

(2) الأصل كفئا وهو خطأ في الرسم

(3) استخدام الشاعر لغة أكلوني البراغيث ...

(4) تبرجت: أظهرت زينتها، الأخيل والخيلاء، والخيل والخنلة والمخنلة: الكبر (ق).

(5) الأصل: ماججا وهو خطأ في الرسم.

(6) منثالين: من انثال إذا انصب (ق)، حال من زمر. والدبي: بالدال، أصفر الجراد والنمل (ق).

(7) الإدناء: القرب، أي ورياض الإدناء. وقد أثبت رواية أخرى: وأومات لهم رياض البشر بالإدناء.

(8) في الحاشية: جوزوا بعدن.

(9) فلا: جمع فلاة، الصحراء الواسعة (ق).

أمثـال حـدٍ مـا تـرى أم أيكـم   قـد بُـشرت بتـآلف الأهـواء(١)
مـا إنهـا لـسماتُ سَـعدٍ بـشرتْ   أطيارَهـا بـسعادةٍ ونَمـاءِ
زُفتْ إلى بَدرِ العُلا شمسُ الضُحى   فتوسطا فَلكي سَـناً وسـناءِ [٣/أ]
كِفـآ عُـلا وسـيادة قـد ألّفـا   ومـن الـسّعود تـآلفُ الأكفـاء(٢)
وتطابقـا رُوحَاهمـا فتمازَجـا   مثـل امتـزاجِ المـاءِ بالـصّهباء(٣)
بـاليُمنِ والإقبـالِ والـسرّاء   وسـعادةٍ مَوصـولةٍ بنَمـاء
طلَعـتْ بـأفلاكِ الـسُّعود نجومُهـا   فانجـابَ ليـلُ الحُـزن والغمّـاء
لله عِرسـاً يـا خَليفـةُ إنهـا   لـمسيرةٌ بمـآتمِ الأعـداء
صُنعٌ خلعتَ به علـى كـلّ الـوَرى   حُلـلاً مـن الـسّراءِ والنّعمـاء
لبـستْ بـه الأيـام بُـردَ جَمالِهـا   وتبرَّجـتْ في حُلـةِ الخُـيلاء(٤)

---

(١) الأيكم: جمع اكمة، وأصله آكم، أبدلت الهمزة ياء وكان القياس إبدالها ألفاً كما في آدم.

(٢) الأصل كفتاً وهو خطأ في الرسم.

(٣) استخدام الشاعر لغة أكلوني البراغيث ...

(٤) تبرجت: أظهرت زينتها، الأخيل والخيلاء، والخيل والختلة والمختلة: الكبر (ق).

لما رَفعتَ مُؤججاً نارَ القِرى ... فيه لِدانٍ وافدٍ ولِناءِ[1]
لبَّاك، منثالين في عَددِ الدَّبى ... زُمرٌ يضيقُ بهن كُلُّ فَضاءِ[2]
تسعى بهم قَدمُ المنى وتحثُّهم ... حثٌّ الظماءِ إلى وُرود الماءِ [٣/ ب]
حتى إذا حَلُّوا النَّدى وأينعتْ ... لهمُ رياضُ البشر والإدناء[3]
كرَعوا لحوضِ المكرماتِ كأنَّما ... فازوا بَعدْنٍ قبلَ وقتِ جَزاء[4]
إن يكثروا عدَداً فقد أوسعتَهم ... صَدراً تضيقُ له فلا البَيداءِ[5]

---

(١) الأصل: مأجحا وهو خطأ في الرسم.

(٢) منثالين: من انثال إذا انصب (ق)، حال من زمر، والدبي: بالدال، أصفر الجراد والنمل (ق).

(٣) الإدناء: القرب، أي ورياض الإدناء، وقد أثبت رواية أخرى: "وأومات لهم رياض البشر بالإدناء".

(٤) في الحاشية: "جوزوا بعدن".

(٥) فلا: جمع فلاة، الصحراء الواسعة (ق).

يا بهجةَ الدّنيا وزَهرة أهلها ... وسَواد مُقلةِ عَينها الحَوراءِ[1]
إنّ القِيادةَ خُطةٌ قد قُلِّدتْ ... بُعلاك عِقدَي سُؤددٍ وبَهاءِ
فاسحبْ ذُيولَ قيادةٍ وسيادةٍ ... كَسياك بُردي هَيبةٍ وعَلاء [5/ب]
أنتَ الذي أنعشتني بمَكارمٍ ... جلّت فواضِلُها عن الإِحصاءِ
وكسوتَني حُلَلَ المبرّة عندما ... كشَفتْنِي الدُّنيا فكنتَ غطائي[2]
فلأكسونّكَ من بَدائع مَنطقي ... حُللاً مطرّزةً بتبرِ ثناءِ
ولأشكرنّك ما تراختْ مدّتي ... شكرَ الرِّياض لواكفِ الأنواء

فلما كان بعد إتمام من إنشاده هذه القصيدة، وَصلهُ أنّ الفقيه أبا الحسن علي بن عبد الله البُرجي[3]، انتقدَ عليه بيتاً منها هو:

لم تسمعِ الآذانُ قبلَ هِدائِها ... بحمامةٍ زُفتْ إلى فتخاء[4]

وقال: إن الفتخاء مؤنثة ولا يوصف بها مذكر، فكتب إليه بهذه القصيدة يوبخه فيها، ويعاتبه بقوافيها وهي هذه:

[2]

(من الطويل)

تُريكَ مَضاءَ المُرهفاتِ المضَاربُ ... وتكشفُ أسرارَ الأنام التّجاربُ
بفكر الفتى، يَبدو له كلُّ غَامضٍ ... وتدنو من العقلِ الأمور العَوازبُ

---

(1) في الحاشية: الحسن بدل الدنيا.

(2) الأصل: غطاء، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري، ويعرف بالبرجي، بضم الباء نسبة إلى (برجة) من أعمال سرقسطة، سرقسطي، تلا بالسبع على ابن الوراق، وروى عن ابن ملحان وابن الخراز، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر التغلبي وأبو الحسن بن مسعود وأبو مروان بن الصيقل، وكان لغوياً أديباً، لم يكن شعره بالكثير وكان ذا حظ صالح من رواية الحديث، متقن الضبط، تصدر للإقراء بسرقسطة، تجول بأقطار الأندلس بعد ذلك واستقر أخيراً بوادي آشي، وتوفي فيها بحدود سنة خمس أو نيف وثلاثين وخمسمائة، ينظر في ترجمته (التكملة (مخطوطة) 3/ 59، الذيل والتكملة 5/ 1/ 237، صلة الصلة ص 88).

(4) وهو البيت الرابع من القصيدة المتقدمة آنفا.

ومن جَرَّبَ الأشياءَ يزددْ بَصيرةً وتظهرْ إليه كلُّ يومٍ غرائب [6/أ]
وكنْ بمراةِ الفِكرِ للعَقلِ ناظراً يَبِنْ لك، أنّ النّاس طُرّاً ثعالبُ[1]
يُعدّ شريفَ القَومِ ذو المال لا الذي قد اكْدى وإن كانتْ عُلاً ومناسِبُ[2]
وبالأصغرين المرءُ كانَ معظّماً وما أصغراه اليومَ إلا المكاسب[3]
فكنْ جامعاً للمالِ مُقتنياً له يكنْ لك ذكرٌ في العَلا ومَراتب
ومن طلبَ الدُّنيا بغيرِ دَراهمٍ ولا هِمةٍ تَبعدْ عليه المطالبُ
فهوّن عليكَ الهَول في جنبِ جَمعها فحيثُ يكونُ المالُ ثمَّ الرّغائبُ
ومن لم يخاطرْ في الجَسيم بنفسه يَعشْ مُكدياً، والفقرُ بئسَ المُصاحبُ[4]
فعِش مكدياً إن شئتَ أو عِش مُملكاً فليسَ بغيرِ المال تُدنو المآدبُ
ومن لم يكسِّبه الثُّواء ببلدةٍ ثراءً يكسبهُ النّوى والسّباسبُ
إذا بَعُدتْ هِمّات قَومٍ تغرَّبتْ مشارقُ أرضيه له والمَغاربُ [6/ب]
قرينُ الفَتى مَرآة مُضمره الذي ثرى ما طَواه فانتقدْ من تُصاحِبُ[5]
بأخدانه تُدرى خفيّاتُ أمره ألمْ ترَ أن الشّبهَ للشّبهِ جاذبُ[6]
فدعْ قُرناءَ السّوء لا تُدنينّهمْ فما قرناءُ السوءِ إلا نوائب
أخٌ كان لي قد كنتُ أحسبُ أنّه دِلاصي وسَيفي إن نَحاني طالب[7]
قَررتُ به عَيناً فلما بَلوتُه إذا هو يَبغي عَثرتي ويُراقب[8]

---

(1) خففت همزة مرآة لضرورة الوزن.
(2) أكدى: قلّ خيره.
(3) الأصغران هما القلب واللسان ونص المثل: إنما المرا باصغريه قلبه ولسانه. مجمع الأمثال 2/ 294 رقم (3982)، المستقصى 1/ 345 رقم (1483).
(4) الأصل: بيس بتسهيل الهمزة.
(5) مضمره: محل السر. والسر نفسه وانتقد: أي ميزه، واختبره.
(6) في البيت تضمين لمعنى بيت عدي بن زيد العبادي (ديوانه ص 106، ط وزارة الثقافة والإرشاد بغداد، 1965).

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(7) دلاص: الكساء أو الدرع الملساء اللينة (ق).
(8) تكررت كلمتا يبغي عثرتي لتوضيح الامحاء في المتن.

ومن مَحَصَ الإخوان بالخَبرْ تُنكَشِف   بخُبرهمْ منهم إليهِ عَجائبُ[1]
وإنّي لأستبقي صَديقي وإن جَفَا   وأرضى بما يأتي به وهو غاضِبُ
ولستُ على ما قد جَناه مُعاقباً   وإن غاظني، شرُّ الرّجال المعاقبُ
بلى، ربما أوليتُه عتبَ مشفقٍ   "وليس بمستبقيك من لا يُعاتِبُ"[2]
ومن لم يكن يُغضِي لخلٍّ على القذى   يعشْ دونَ خِلٍّ أو يمتْ وهو عَاتِبُ [7/أ]
تغيّرَ من أصفيتَه ماءَ خُلّتي   ولا ذنبَ إلا أنني فيه رَاغبُ
وما رَابه إلا الوَفاء بعهده   وحَملُ خِلالٍ كلّهن مَناقِبُ
وقد كان حقاً أن يُراعيَ وِدَّنا   ولكنَّ إخوانَ الزّمان عَقاربُ
"أبا حسنٍ" إنّ الحديثَ مَساقهُ   إليكَ، فما هذي الأمور العَجائبُ
أتبدِي إخاءً ثم تُضمر ضِدّه   وتظهرُ لي سِلماً وأنتَ مُحاربُ[3]
وأسقيك ماءَ الودِّ صَفواً من القَذى   وأنتَ له بالغِلِّ والحقدِ شَائِبُ
ويا عجباً ضِدان فيك تجمّعا   فؤادُك يُقصيني، وأنتَ تُعاقِبُ
أتنقدُ أشعاري وَترقبُ عَثرتي   وأقربُ من هذا إليك الكَواكِبُ؟
وتطلقُ في نادي ابن باقٍ بنقضِها   كأنّ ابن باقٍ في حبالك حَاطبُ[4]
ألمْ تستحقق يا "أخيرقُ" أنّه   عليكَ بإثباتِ الحَقائقِ وَاثِبُ [7/ب]
إذا رُمتَ إخفاءَ الحقوقِ بباطلٍ   تزخرفه فانظرْ به من تُخاطبُ
لقد جِئتها بَلقاءَ كالشّمس شُهرةً   تُشينُك ما خبَّتْ بِركبٍ ركائبُ

(1) محص أي التمحيص وهو الابتلاء والاختيار والأصل (الخير) بالياء المثناه والخبر بالباء المفردة أفصح وأبلغ.

(2) في البيت تضمين لقول النابغة (ديوانه 74، ط محمد أبو الفضل إبراهيم). الشعر والشعراء 1/ 105، فصل المقال 44، مجمع الأمثال 1/ 15:

ولست بمستبق اخا لا تلمه   على شعث اي الرجال المهذب

(3) اعيدت كلمة تضمر بقصد توضيحها

(4) لعل المقصود بابن باق: أبو الحسن باقي بن أحمد، الأديب الشاعر، الذي قدم على القاضي أبي أمية إبراهيم بن عصام، قاضي مرسية وقصر مدائحه فيه، وصحبه إلى العدوة، وجرت بينهما مراسلات، وكذلك بينه وبين الوزير أبي محمد بن القاسم، والفتح بن خاقان تنظر أخباره وأشعاره في قلائد العقيان: 342، 234، الخريدة 1/ 534، بغية الملتمس 251، المغرب 2/ 461، والأصل: جمالك خاطب وفيه تصحيف وتحريف.

كفاك اجتراءً أن نَقَدتَ فلم تُجِدْ ... هنالِك إلا من بسيفي يُضارِب
محاسنُ قولي رُمتُ إخفاءَ فضلِها ... فما أَبَتَ إلا وهي فيك معايبُ
وعندَ ثُبوتِ الحَق يزهقُ باطلٌ ... كما تُنجلي عند الصَّباح الغَياهِبُ
ومن رَام أن يُخفي مَحاسن غيره ... تلحْ من مساويه إليه عَجائب
إذا ما عَدا الإنسانُ في الشيء طَوره ... تُعدت إليه بالغُموز الحَواجِبُ
الا لَيت شِعري والظُنون كَثيرةٌ ... أخانك جَدٌّ منك أم أنتَ لاعب
أبتْ قِلةُ الإنصافِ إلا قَطيعةً ... ولو أن من يُبدى الخِلافَ أقاربُ
ومن نازعَ الإخوانَ يكثرْ عَدُوه ... بحقٍ وتستحوذ عليه المَثالبُ [8/أ]
متى لم يكنْ عقلُ الفتى هادياً له ... تُضيق في مساعيه عليه المَذاهب
ومن كان مُغتاباً صَديقاً فبُعدُه ... على كلّ حالٍ لا مَحالة وَاجب
يُريك "عليٌّ" عفةً ودماثةً ... وصفوَ ودادٍ جمرُ واريه ذائِب[1]
وذاكَ رياءٌ كلّه وتصنُّع ... تغذّى عليه لا طِباعٌ تُناسب
وقد يتحلّى ذو الرِّياء بعَادةٍ ... فتُحسبُ طَبعاً لكنِ الطّبع ذاهب
وكلُ اختلافٍ مُستحيلٌ وذاهبٌ ... يفارقُ أهليه وما الطّبع ذاهِب
ألمْ تدرِ أنّي يا "عليٌّ" مُهنّدٌ ... به من شَبا الهِنديّ تَفري المضَارب
وإنّ عفاريتَ القَصائدِ مُرَّدٌ ... لها أسهمٌ في كلّ غيبٍ صَوائِب
أميرُ القَوافي بين فكيّ آمرٌ ... إذا شِئت لم يَحجبه عنيَ حاجِب
فكيفَ على اللّيث اجترأتَ مخاطراً ... ألم تخشَ أن تُرديك منه مَخالبُ[8/ب]
أرادَ "عليٌّ" أن يجرِّب سيفَنا ... فهُزَّ عليه منه أبترُ قَاضب
أقول له والمقتُ يُزري بعُجبه ... متى ساجلتَ فيضَ البحورِ المزائبِ[2]
نقدتَ علينا التِّبر وهو مُسجَّرٌ ... قد أخلصَهُ من نارِ فِكريَ لاهب[3]

---

(1) الأصل: "جمرواديه" وهو تحريف.
(2) [المزائب: جمع ميزاب وهو المزراب]، الأصل: يرزي بعجبه وفيه تصحيف.
(3) [المسجر من اللؤلؤ: المنظوم المسترسل] وهمزة أخلصه للوصل لضرورة الوزن.

أيّــا صَــيرفيُّ الــشّعر هــذا نُــضارُنا ... وهذي عَذارانا فهل أنتَ خاطِب[1]
ويــا ابــنَ العمــيدِ المُتَـضِي سيفَ نقده ... إليك طُلى شِعري فهل أنت ضَارِب[2]
ويــا جَعــسويه احــسنُ الذي قد سقيتنا ... فمـثلك حــاسٍ مــا ســقاه وشَــارب
أإن صــحّ بــألفــتخاء تــشبيهُنا الفتــى ... زُهـيراً بَـدَت في النّقد منك غَرائِب
وطــارتْ طــيورُ العُجب حولك سُنّحاً ... وهـبّتْ عِــتاقٌ من هَواك شَوازِب[3]
وقُلــتَ لمــن حَــاداك مــن غــيرِ فِكــرةٍ ... لــتُوهمَ كــلاً: أنّ فهمَــك ثاقِــب[4]
أيعــزوه بــألفــتخاءِ وهــي بِــذاتها ... مؤنّــثة هــذا الثّــناء المُــثالب [9/أ]
ومــا أقــبحَ الإعجابَ في المرءِ والهَوى ... وأحــسنُ مــنه القــولُ لولا المُجاوب
فــياذا الــذي عــن قَــوس إعجابه رَمى ... فخابــتْ مراميه وذُو العُجبِ خائِب
طَغــى لــك إعجــاب هَوَى لك نَجمُه ... إلى هُــوةٍ في قعــرِها أنــتَ راســبُ
أصِــخْ لــشهودي، ثــم إن كــان مدفَــعٌ ... لــديك فغَالــبني فإنــي مُغالِــب
أتُنكــرُ مَعــروفاً هــو الأصــل عــندنا ... لقــد سَحِرت منك الظّنون الكَواذب
أمــا شُــبهتْ مــن قــبلُ ذاك بمــثلِ ذا ... فُحــولٌ بهالــيلٌ فكــيفَ الــصّقالب
وللعُــربِ مــن هــذا كــثيرٌ، وهــل لــنا ... بمــن نَقْتَدي في الشّعر إلا الأعارب؟
أمــا قــالَ للــنعمانِ شــاعر قــومه: ... لأنــك شمــسٌ والملــوكُ كواكبُ[5]؟
فــشبّهُ بالــشمسِ وهــي لــديهمُ ... مؤنّــثةٌ، هــل عَــاب ذلــك عَائــب؟
وهــل تُنــسب الأشــياء إلا لفعلــها ... وتعرفُ إلا بالمضاءِ القواضب؟[9/ ب]
إذا لم يكــن فهــمٌ فمــا الــدرس نافع ... ذويــه ومــا الأفهــام إلا مــواهب

(1) الصيرفي: ضراب الدراهم، الجمع صيارفة (ق). الأصل: عذارنا وهو خطا.

(2) انتضى السيف: سله، ويقال نضاه أيضاً (ق)، وفي البيت ورّى الشاعر بابن العميد الكاتب العباسي المعروف (ت360هـ) متهكماً.

(3) قال في القاموس: الشازب: الخشن، والضامر اليابس، الجمع: شزّب كركّع، وشوازب.

(4) [المحاداة: المنازعة والتحدي].

(5) يشير الشاعر إلى قول النابغة الذبياني (ديوانه رقم (6) ص 78) في مدح النعمان بن المنذر:

فإنــك شمــس والملــوك كــواكب ... إذا طلعــت لم يــبد مــنهن كــوكب

وإذ أنــت ذو نقــدٍ صـحيح ودربـةٍ … وتــرب لــنقاد الكــلام وصــاحب

فـردّ علـى مــن قَــال هــذا بحجـةٍ … لـيَعلم كُـلّ أنَّ خِطـرَك خاضِـب[1]

إذا كـنتَ لـي في مِـثل هــذا مخطّـئاً … فكـلّ صَـوابٍ وجهـه عـنكَ غَائـبُ

متـى رُمـت أنّ الـصبح ليلٌ فقد بدا … إلى كــلّ ذي عَيــنين أنّــك كــاذِب

الا رُبَّ أســـرارٍ بـــناديك خُلـــوةً … فلمــا أذيعــتْ مــرّرتها العَــواقب[2]

أخلـتَ انـتقادَ الـشّعر فَـرواً ممـزّقاً … مُــرقّعه ممـــن وَهَـــى مـــنه جَانـــب

رُويـدكَ يـا هَـذا فمـا الطّـيش معجـزٌ … ولا العِلم مغصوبٌ ولا الجَهل غاصِب

أمـــا أنّـــه لـــولا الحَـــياءُ وأنّـــني … بخيمـيَ عـن سـبل المـثالبِ ناكب[3]

لأرسـلتُ من شؤبوبِ نُطقي صَواعقاً … عليك بأفكاري لهن سَحائب [10/أ]

سِـهام قَـوافٍ لـو لـثهلانَ فـوّقَت … لهُـدّتْ بهـا مـنه الـذُّرى والمـناكِب

ولكـنني أغـضي حـياءً مـن العُـلا … وأصفوا وإنْ لم تُصفُ منك المَشارب

وإنـي لمـصدورٌ فـإن كـنتَ نافِـثاً … فعــذريَ بــادٍ والظَّلــوم المُطالــب

زرعـتَ وهـذا مـا حَصدتُ فلا تلُم … ولا تحــسبنّي إنــني لــك غَالــب

إذا قـادَك الإعجـاب بالقَول بالهَوى … فــلا تتعــرضْ مَــن علـيه يُحـارِب

بلـى هـو توبـيخٌ علـى ذَنبك الذي … يَقـومُ بـه عُـذري فهـل أنت تائب؟

وأقول الآن أن قصيدته هذه أجاد سبكها وأحسن، وضمنها المثل الغريب والمعنى المستحسن. وبز[4] فيها جميع البلغاء والفصحاء، وأطلعها رائعة المقاصد والأنحاء[5]، جمع فيها بين صحة المعنى، وعذوبة اللفظ المصقول، وغادرها آية لذوي الأفهام والعقول، واحتدَّ فيها

(1) [الخطر: نبات يختضب به].

(2) الأصل: مباديها وفيه تحريف صوابه ما أثبتناه.

(3) [الخيم: الطبيعة والأصل] وفي البيت تضمين لتعلق معناه بالبيت الذي يليه.

(4) بزّ: غلب.

(5) الأصل: الأنحا بقصر الاسم المدود.

[10/ب] ذهنه(1) واتَّقد، ونصر فيها بيته المنتَقَد(2)، حتى استُشعر لبراعته فيها اعظامه، وارتفع بها عن النقد نظامه.

قال أبو بكر الجزار في كتابه الذي ترجمه بـ (بادرة العَصر وفائدة المِصر) وهو كتاب ضمن فيه هذا القصيد والذي تقدم، وأجراه مجرى رسالةِ السيف والقلم(3)، ذكر فيه مثالب(4) الفرائين، ولذلك قاله له:

أخلتَ انتقادَ الشّعر فَرواً مُمَزّقاً(5)

يعرِّض له بالفراية التي كان أبوه يتجر فيها، ويذكر محاسنها على لسانه ويذكر محاسن القصابة مفتخراً بها على الفراية ويذكر مثالبها.

قال أبو بكر في الكتاب المذكور: فعندما وصل البُرجيّ هذا القصيد الذي أوله:

تُريك مِضاءَ المرهفات المضارب(6)

قام وقعد، وشمخ بأنفه ومَرد، واستعرَ(7) ثم خَمَد، وتراقى على بعض إخواني وإخوانه، فاستَحضرنا معا في دكّانه، فلما اطمأنّ بنا المجلس، وسكنت [11/أ] الأنفس وجَرى بيننا من المُخاطبة والمُراجعة، ما يَجري بين الأخوين الشقيقين من المقاطعة، وكثُر الارتياب مما وقَع فيه العِتاب، أقْسَم إليّ بأيمانٍ لا كفّارة لها، أن الّذي نُقِل إلي زُورٌ، واعتذرَ منه أكملَ عذرٍ، فقلت: معذورٌ فقد قِيل:

(1) بالذال المعجمة المكسورة، الفهم والعقل وحفظ القلب، والفطنة، وبالمهملة من الشجر ما يقتل به السباع (ق).

(2) المراد بالبيت المنتقد البيت رقم 4 من القصيدة رقم 1.

(3) لعله يعني رسالة ابن برد الأصغر، وهي من الرسائل المشهورة في الأندلس، الذخيرة 1/ 1/ 523.

(4) جمع مثلبة يقال: ثلبه إذا لامه وعابه (ق).

(5) هو صدر البيت الذي تقدم آنفاً 2/ 80. وفوق كلمة ممزقاً تعليق غير واضح.

(6) هو صدر البيت الذي تقدم آنفاً 2/ 1.

(7) يقال: استعرت النار إذا اتقدت (ق).

(من الطويل)

إذا اعـتذرَ الجاني مَحا العُذرُ ذَنبه[2]   وكـل امرئٍ لا يَقبل العذرَ مُذنبُ[1]

فما كان إلا عهدٌ يسير، وأخبرني خبير، أنّ الشيطان قد نفخَ في أنفه سَعيطَ[*] سخفه، ونفض بلاغم قحفِه[3]، وانبرى إلى الهجو، بضروب من اللغو وكان هذا الناقل غير موثوقٍ به في نقله، فقلت: هذا مُحرش علم استصلاحنا، مما شَجر بيننا، فيريد استفسادَنا ليضحك منا، وكيف ينكثُ عهده، وقد عهد أن لاينحل له عَقد إخاء، ولا يتغيّر له شِرب صفاءٍ، وأبعدتُ أن لا أصدقَ شيئاً من أنبائه، حتى اطلعت على رُقعةٍ بهجائه، بخطه ومَطّه [11/ب] ونَقطه وضَبطه، وهي هذه[4]:

(من الكامل)

1 أعلـيٌّ تعـتبُ شَـاعر الغَـوغاء   متعرضـاً جهـلاً لوسـمِ هجائـي؟

يـا خَاطـباً بِكـرَ الهِجـاء بلـومه   مـا إن أراك لهـا مـن الأكفـاءِ

في الهجْـو رفعـةُ كـلُّ مـرءٍ سَاقط   والغَـبن في سَـفَهٍ علـى السُفهاء

إن كـنتَ تُبغـي أن تُناسِـبني، اسـتَعرْ   نَـسَباً أجـبك فلـست لـي بكفـاء

---

(1) البيت جاء غير منسوب في العقد الفريد 2/ 143، بهجة المجالس 1/ 486، فصل المقال 75، الحماسة البصرية نقلاً عن الموسوعة الشعرية، وجاء في بهجة المجالس مسبوقاً بـ:

ومـا كـنت اخـشى أن تـرى لـي زلـة   ولكـن قـضاء الله مـا عـنه مهـرب

وفي الحماسة البصرية قول الشاعر:

إذا مـا امـرؤ مـن ذنـبه جـاء تائـباً   إلـيك فلـم تغفـر لـه فلـك الـذنب

(2) فصل المقال: الذنب عذره.

(*) [السعيط: مثل السعوط، الدواء يُصبّ في الأنف].

(3) جمع قحف بالكسر وهو العظم فوق الدماغ.

(4) واضح أن القصيدة تناقض قصيدة الجزار التي تقدمت آنفاً رقم (1).

أعليٌّ يا عيراً خصوصاً تجتري ... والأسد قد هابت كريهَ لِقائي[1]
يا ليتَ شعري ما الذي أغراك بي؟ ... ألمنتَ من بطشي ومن غَلوائي[2]
فرسانُ قولي تتَّقيها - إن عَدَتْ - ... فرسانَ كلُّ كتيبةٍ خضراء
أنى تفوتُ مخالبي في بلدةٍ ... أرضِي بها مَبسوطةٌ وسَمائي[3]
لي صَارمٌ ما شَامَه من غِمده ... أحَدٌ فأفلتَ وهو ذو سرَّاء [12/أ]
لو كنتَ تعقِل لم تُطِع كل امرئ ... مُتزنّم بنَميةٍ مشّاء[4]
كدَّرت صفوَ الود مني بعدَما ... أمحضته لكَ والوَفاءُ وَفائي
ورَأيتَ إسخاطي بقولةِ كاشحٍ ... قد كنتَ أجدرَ أن ترى إرضائي[5]
وأردتَ جحدَ فضائِلي فشهدتَ لي ... إذ صارَ ذمُّك شاهدَ الفُضلاء
أعراكَ جنٌّ أم غُشيت بنُورها ... فأردتَ سترَ شُموسها بِرداء؟
وزَعمت أنَّك في القَريض مُساجلي ... هل قِيست الدأماء بالاحساء[6]؟
إن القَريض لَحِطةٌ لا خُطةٌ ... قد صِرتَ يا يُحيى من الشُّعراء
إن القَوافي لو أردتَ مَلاكها ... ما صَارَتِ إلاَّ تحت ظِلِّ لوائي[7]
لكنَّني أرضى الكَفاف فلا أرى ... مُستجديَ الأمراء والوُزراء[8]
ليسَ الغِنى بالمالِ يَجمعه الفتى ... خيُر الغِنى عندي غِنى الحَوباء[9] [12/ب]

---

(1) الأصل: لقاء بدون ياء المتكلم.

(2) جاءت القوافي هجائي وغلوائي في الأصل بدون ياء المتكلم، وهو خطا.

(3) الأصل سماء بدون ياء المتكلم

(4) فيه اقتباس إشاري من القلم.

(5) الكاشح: مضمر العداوة.

(6) مساجلي: من ساجله، باراه وفاخره (ق). الدأماء: البحر. الاحساء: جمع حسي: بضم الحاء وكسرها، سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غلظ فوقه رمال. يجمع ماء المطر (ق) [والصواب كما في القاموس بفتح الحاء وكسرها لا بضم الحاء وكسرها].

(7) الأصل (لواء) بدون ياء المتكلم وهمزة (إلا) للوصل ليستقيم الوزن.

(8) مستجدي: سائل.

(9) النفس: جمعها حوباوات (ق).

إن كنتَ أعوزَت الثَّراء فإنَّ لي ... نفساً قَناعَتها أجلُّ ثَرَاء[1]
مالي سِوى أدبي غِنى وحَزامةٌ ... ترمي الخطوبَ بِفيلقٍ شَهباء[2]
أصْدى فلا أبدي لمرءٍ حاجةً ... والنَّار تنبعُ من حِمى المَعزاء[3]
إنِّي أعافُ غِنى يجرُّ مذلةً ... وأحبّ فَقراً جَالبَ العَلياء
وأرى مواردَ لو أشاءُ وَردتُها ... لكنَّ نفس الحُرّ ذاتُ ظِماء[4]
عَجَباً لِيَحيى أنْ يكونَ مُفاخري ... هل فاخرَ الديجورُ شمسَ ضُحاء؟
ما غرَّ ذا المسكين إلا أنَّه ... أجرى هَجين قريضِه بِخَلاء
أيكونُ في الآداب مثلُك سابقي ... وصَواهلي حازتْ رِهان عَلاء[5]
إن كانَ أخَّرني زَمانٌ جِئته ... بَدءُ التَّفكر آخرُ الإنساء
أو كنتَ تجهلُ ما أقول فعاذرٌ ... أن لا تراه بُمقلةٍ عَمياء؟ [13/أ]
يا فَرقداً يسموا لرُتبة فرقدٍ ... هَيهات منك كواكبُ الجَوزاء
إن الحَياء لَشيمةٌ محمودةٌ ... لكنَّ وَجهك ليس وَجهَ حَياء
تالله لولا أنَّني أبصرتُه ... لحَسِبتُهُ من صَخرةٍ صمَّاء
يا أقحوانيُّ الطِّباع لأيّما ... سَببٍ قَضَبتَ الحَبلَ حَبلَ إخائي[6]
وذمَّمتني من غيرِ ذنبٍ جئته ... فأفدتَ أن غيَّرت ماءَ صفائي[7]
من أجلِ أني قلتُ أنك مُخطئٌ ... فيما أتيتَ به من النكراء؟[8]
شَبهتَ ممدوحاً مدحتَ وعِرسه ... بحمامةٍ زُفَّتْ إلى فتخاء

---

(1) أعوزت: افتقرت. الثراء: منصوب على إلغاء الخافض أي إلى الثراء. تفسير الثراء جاء مطموساً فتعذر علينا قراءته.
(2) الحزم، والحزامة، والحزومة ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة (ق).
(3) أصدى: أعطش. صدي كرضي. [المعزاء مؤنث الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة].
(4) يقال ظمأ وظماً وظماً، وظماءة فهو ظميء وظمآن إذا عطش.
(5) رهان: المراهنة والرهان المخاطرة والمسابقة على الخيل (ق).
(6) الأقحوان: البابونج، كتبت قطعت فوق كلمة قضبت.
(7) الأصل: جاءت كلمتا القافية بدون ياء (إخاء وصفاء).
(8) الأصل: آمن جاء مع همزة الاستفهام ولا يستقيم معها الوزن. النكر بالضم وبضمتين: المنكر بالنكراء (ق).

ثــم احتجــبتَ تخــال قــولك مــثلَه ... بــــشبهِ ممدوحـــــه بـــــذكاء
وحــسبتَ أن ذُكــاء في مــدح بهــا ... في اللّفــظ مــثل اللّقــوة[1] الفــتخاء
هــل أنــثت شمــسُ الــنهار حقــيقةً ... بالطبع قلْ، إن كنتَ خِدن ذكاء[13/ ب]
بــالعلم لا بالـــسبِّ رُدَّ مقـــالتي ... فالـسبّ فعـلُ الدّعـي والـضعفاء
مــا يعــضدُ الإنــسانُ قــولاً قالــه ... بالـــسبِّ بـــل بالحُجــة البيــضاء
لــولا رقـــيبٌ للمـــروءةِ ممـــسكٌ ... لي عن هِجا من ليس من أكفائي[2]
لبعــثتُ مــن نطقــي إلــيك عقاربــاً ... لدّاغـــةً تعيـــى علـــى الـــرُقاء
وقطعــتُ فــاك بقــولةٍ تُرضــي الفـدا ... لُحقهـــا بالـــنفس والآبـــاء[3]
لكـــنّ قـــرآناً إلـــيك مُجاذبـــي ... وفــضيلةٌ شــهدتْ بهــا أعدائــي[4]
خُــذها إلــيك فإنهــا تُنــسي الــورى ... يــا عِـتبُ يــا ابـن الفعلـة اللّخناء[5]

قال أبو بكر الجزار: فلما تصفحت رقعته لأعلم فيما نزغته فإذا بها رقعةٌ رقيعة، حَشوها سرابٌ بقيعة[6]، لا تتخلص إلى مدحٍ ولا ذم، ولا تقابل ببنتٍ ولا أم، فعند ذلك، ذهبت إلى مقارضته [14/ أ] على قبح معارضته قاطعاً له: أبعد الله مثله:

(من البسيط)

ولم تــزلْ قِلّــة الإنــصاف قاطعــةً ... بــين الــرِّجال وإن كانوا ذوي رَحِمِ[7]

---

(1) [اللقوة: العقاب السريعة الاختطاف].

(2) الأصل (اكفاء) بدون ياء المتكلم. وفي البيت تضمين لتعلق معناه بالبيت الذي يليه.

(3) في الحاشية رواية أخرى هي الفداء لحتها

(4) الأصل (أعداء) بدون ياء المتكلم.

(5) العتب بكسر العين المعاتب (ق) ورجل ألخن وامرأة لخناء لم يختنا واللخن محركة قبح ريح الفرج والأرفاغ (ق) [والهاء في خذها تعود على القصيدة].

(6) جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام فيه اقتباس من قوله تعالى النور/ 39: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾

(7) جاء البيت منسوباً إلى المتنبي في الوساطة للجرجاني، ويتيمة الدهر للثعالبي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون والحماسة المغربية للجراوي، وبغير نسبة في أعيان العصر للصفدي، والعقود اللؤلؤية للخزرجي، تنظر الموسوعة الشعرية- قرص مدمج أو موقع الموسوعة على الإنترنت

وكنت أحسبه لدؤوبه على مطالعة الكتب، وملازمته لقراءة أشعار العرب أنه يفهم الأشعار، ولا يَجهل الإيراد والإصدار، فإذا به ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1]. فلما اضمحل من الخير فيه ما ظننته، وانحلَّ لي من عهده ما عَقدته، أنشدتُ مرتجلاً وقلت:

[3]

(من الوافر)

1	بلــــوتُ علــــياً الفــــرّاء فــــيما	تُعاطـــى مـــن مـــسابقة البَـــيان
	فقلت: لا تضربوا الأمثال بعد بها:ب	
2	وكـــنت أظـــنّه تِـــبراً تُـــضارا	زَكـــيٌ الخُـــبر عـــند الامـــتحان
3	فـــإذا أفـــرغتَه في نـــارِ خُـــبرٍ	طلـــبتُ فلـــم أجـــد غـــيرَ الـــدّخان

وما زلت أتعجب من بلادته، وأسترِيب من خَرق عادته [14/ب] وإذا بقائل: "يا أحمقَ من باقل"[2]:

[4]

(من البسيط)

1	لا تطلـــبنّ مـــن الفـــرّاء معـــرفةً	إن الـــدماغ مـــن الفـــرّاء مقلـــوبُ
2	إن جـئتَ تـسأله في حاجـة عرضتْ	ظـنّ الغـبي بـأن الجَـصّ مطلـوب

فقلت أحسن من هذا:

---

(1) اقتباس من قوله تعالى في وصف بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة/ 5.

(2) ينظر جمهرة الأمثال 1/ 385، 2/ 72، فرائد اللآل، 1/ 181، 2/ 36، حيث جمع بين مثلين هما أحمق من هبنقة وأعيا من باقل.

[5]

(من البسيط)

1- قالوا على جهة الإغباء: أغرب من عـنقاءَ شـكلاً، وهـذا غـير إغـباء[1]
2- فقلـت: لا تضربوا الأمثال بعدُ بها فــإنّ أغــرب مــنها عقــلُ فــرّاء

فقال: أحسن من هذا:

[6]

(من البسيط)

1- وإنّ طالِــــبَ فـــراءٍ بمعـــرفةٍ كـــباحثٍ طالـــبٍ في رَملـــة وشَـــلا
2- فـيه الـسخافة والبغـضاء لا جـرمٌ موجـــودتان وأمّـــا غـــير ذاك فـــلا[2]

والعلم بالفهم والحس، لا بكثرة الدرس، وفي ذلك أقول: [15/أ]

[7]

(من الطويل)

1- ودارسُ كُـتْبِ العلـم لا فَهـم عنده كـــساعٍ بـــلا جَـــدٍ لإدراك مـــأرَب
2- يـنالُ مـن العلـم الذكـيُّ نـصيبَه وإن هـــو لم يعكـــفْ علـــيه ويـــدأب
3- ومـا يـنفعُ المـرءَ الغـبيَّ دراسـةٌ أينـــتفعُ الأعمـــى بكـــل مجـــرّب؟

وكنت أبدلته من العتاب[3] بالإعتاب[4]، وأقلته من العِثار بالإيثار، فأبى إلا التمادي في غوايته، والإصرار على جنايته:

---

(1) ينظر فرائد اللآل 1/ 176 عنقاء مغرب.
(2) لا محالة، أو لا بد، أو حقاً.
(3) الملامة كالعتب، مصدر عتب يعتب ويعتب.
(4) مصدر أعتب إذا طلب إليه العتبى وهي الرضى (ق).

(من الطويل)

وليس عِتاب المرء للمرءِ نافعاً إذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه[1]

والعدو وإن أبدى مُصانعة، فإن العداوة كامنة فيه، وإنه كما قيل:

(من البسيط)

إنَّ العدوَّ وإن أبدى مُصانعةً إذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا[2]

أو كما قلت:

[8]

(من المتقارب)

1- وإن العدوَّ لكالحيةِ الـ ـلتي كمُنَ السمّ في ذاتها [15/ب]

2- إذا استمكنت لدَغتْ واعتدتْ ولم تنتفعْ بمداراتها

فينبغي للعاقل أن ينتهز الفرصة في عدوه قبل أن ينتهزها فيه، ولا يغتر بوده الذي يبديه، وقلت في ذلك:

[9]

(من الطويل)

1 إذا ما تأتتْ في عدوّك فرصةٌ فثبْ وانتهزها وثبةَ الضيغم الأشِر[3]

ولا تكُ مثل المرء أمهلَ لِصّهُ لينظرَ ما يقضي فنامَ وما شعَرْ

وخاضَ جميعَ الليل في بحر نومه ولم يتنبهْ حتى قضى لصه الوَطَر

---

(1) جاء البيت في بهجة المجالس 1/ 725، وفي فصل المقال ص 273 على أنه من قصيدة بشار بن برد 'إذا كنت في كل الأمور' وقد أخل الديوان به، ينظر الديوان 1/ 309.

(2) البيت لصالح بن عبد القدوس البصري (ت167هـ) من قصيدة في سبعة أبيات، ينظر صالح بن عبد القدوس، ص 136، رقم 37.

(3) ضرب البيت مطموس فلعل الصواب ما أثبتناه.

ومن أُنس الغلط، مسالة هذا النمط، ومن العجائب أن الشعر معرك لا يعلم حقائقه، إلا من اقتحم مضائقه، وأن أكون منذ أربعين عاماً أركبُ ذَلوله[1] وشارده، وأذوق سُخنه وبارده، ويقوم من غبِّ الحيزوم[2]، وغير مرتاش القيدوم، ويروم المطار في جوي[3] [16/أ] والاستقصار لشأوي[4]:

مثلَ من علم النكاح أباه بعد ما عمّ حاجبيه المشيبُ[5]

وأغرب ما جرى معه، أني استعجلت لقاءه لأعلم السبب الذي استوجب هجاءه:

[10]

(من مجزوء الوافر)

1	فلمّا أن تلاقينا	لـتـأنـيـبٍ وإغـضـاء[6]
	بدت في العين منّته	إلـيّ سـمـاتُ بـغـضـاء
	قلت له وقد غصّت	بـه نفسـي وأعضائي:[7]
	سلامٌ يا أبا حسنٍ	عليـك سـلامُ إرضـاء
5	سلامٌ مُبدل الميم	علـى فوديـك بالـحاء[8]

فازور جانبه إليّ، ولم يرد السلام عليّ، فقلت:

---

(1) الأصـل دلوله بالدال وهو تصحيف والذلول والشرود: الناقة إذا سهلت وانقادت، أو نفرت واستعصت ثم استعير المعنيان للقوافي.

(2) الحيزوم: الصدر ولعل المراد بغب الحيزوم، من لا شان له.

(3) جاءت بعد جدي كلمة وإلا ولا موضع لها في السياق.

(4) الأصل لشوي والصواب ما أثبتناه.

(5) لم نقف على قائل البيت فيما توفر لدينا من مصادر.

(6) وقع الشاعر في عيب التضمين وهو أن يعتمد آخر البيت الأول على مستهل البيت الذي يليه.

(7) الأصل أعضاء بدون ياء.

(8) حين تبدل ميم سلام حاء تصير سلاح.

[11]

(من مجزوء الكامل)

1 أعليُّ ما هذا الذي	قد غَار منك والجدا [16/ ب]
بعد المودة والصدا	قة صِرت من أعدى العِدا
أينَ ادعاؤك للوفا	ء وما عدا ممّا بدا

فقال: عدوك طوّرك، وتصريفك غورَّك، وانزالك نفسك في غير مكانها، وسلوكك بها سبيل هوانها، أحلك هذا المحل، وجرَّعك هذا الذل.

فقلت: "رَحِمَ الله من أهدى إلينا عيوبنا، وكشفَ غُيوبنا"(1) فكيف أنزلتُ نفسي في غير مكانها وسلكتُ بها سبيل هوانها.

فقال: بخطابك الذي تعجب به، وتذهبُ فيه غير مذهبه، وتحسب الهذيان شعراً، والبَعر دُراً، وتسمّي نفسَك بالشّاعر الماهر، ولكن شاعرٌ أنت إذ لا شاعر، كما قيل:

لعمرُ أبيك ما نُسبَ المعلى	إلى كَرمٍ وفي الدّنيا كريم [17/ أ]
ولكنّ البلادَ إذا اقشعرتْ	وصوّحَ نبتُها رُعيَ الهَشيم(2)

ولو كان شاعر في العصر، لم يعلُ شأنك، ولا عُلِم مكانك، قلنا له: فإنّ لكلّ زمان دولة، ولكل دولة صَولة، وهل ذُكرَ من كان قبلي، أساء أو أحسن، إلا إذا عُدِم الكُفء، وأنا إن كنتُ أذكر في هذا العصر- على زَعمك- فقد صِرت لا كفءَ لي فيه، وكفى بذلك شَرفاً لي وأهلي، فأطرق ساكتاً وطاطأ رأسه باهتاً.

(1) جاء القول منسوباً إلى عمر بن عبد العزيز عند أبي عبيد، وإلى عمر ابن الخطاب عند البكري وفيه روايات مختلفة، ينظر: فصل المقال 274 ـ 275، فرائد اللآل 1/ 262.

(2) البيتان لأبي علي البصير، ينظر أشعار أبي علي البصري رقم 47، مجلة المورد 1/ 3/ 149.

فقلتُ: أعجزٌ عن خطاب، أو فكرةٌ عن جواب؟

فقال: ومثلُك يُعجر يا رَبيَّ فَرث الكُروش، وغَذيّ دم الوحوش، عليك بالتّيوس أصحابك الذين نشأوا بين فَرثِ الأعفاج[1] ودماء الأَوداج، بين الأقذار والأَوضار، وآفات الليل والنهار، ندماء الكلاب ومساقط الذّباب، كلامكمْ حُباط[2]، وتسبيحكم ضُراط، [17/ب] تعكفون على الأَوضام[3]، عكوفَ الأَساقيف على الأَصنام، أقوياء الرؤوس ضعفاء النفوس:

[12]

(من الطويل)

1- وقد قلتُ: حقاً- والحقيقة مَهيع-[4] وهل لامرئٍ في قولةِ الحقّ مَدفعُ

2- فقلت له: أسمعتَ لو كنتَ مُنصفاً وأوجعتَ لكن ما ستسمع أوجعُ

وإذ كنت البادئَ فلا لوم، إذ نشرت مثالب القوم، فأبلغتَ وأمنعت ولكن قل ممن؟ وابن من أنت؟

فقال: أنا من قوم فضلهم مشهور لا يستر، وعفافهم معروف لا ينكر، لا يتظلم منهم أحد، ولا تَضيق لهم أرض ولا بلد، معروف ذلك فيهم ومروي عنهم، وما ظنك بقومٍ أنا فيهم ومنهم:

[13]

(من الطويل)

1 فإن قليلاً معشر لستُ فيهم وإن كثيراً من أُرى فيهم وحدي

2 وليس بمنكور على الله قدرةً تُريك جميعَ الفَضل في رجلٍ فَردِ

فقلت: من هذا الذي أنجبك فنعْم ما أدبك [18/أ].

---

(1) [الأعفاج، جمع العفج: المعى].

(2) [الحباط: وجع البطن من الانتفاخ، لكثرة الأكل].

(3) [الأوضام: جمع وضم وهو كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو نحو ذلك يوقى به من الأرض].

(4) [المهيع من الطرق: البين].

[14]

فقال:

(من الطويل)

1 أنا ابن الذي إن قال، صُدِّق قوله ولم يك بين الناس فيه خلاف
مهيب، مطاع القول، من غير خُطّة عفيف، وزين الفاضلين، عفاف
عليه ثيابٌ حشوهن دماثة حسان، تروق الناظرين نظاف
بأنمله ماضي الطّعان مثقفٌ خُطاه إلى الطّعن الرّكين خَفافُ
إذا ازدادَ طَعناً لاءمَ الدّهر سمتَه ويَطعنُ قَصداً والطّعان صِدافُ

فقلت: لقد شوقتني إلى هذا الشريف العفيف، فهل من سبيل إلى التأليف والتعريف.

فقال: هو الجميل السَّبلة والزّي، المعروف بعبد الله البرجي.

فقلت: ما شاء الله كان، ولعن الله الشّيطان، كنتُ أظنك من أبناء الوزراء السادة، أو السّراة [18/ب] القادة، فإذا بك ذُبابة سوق، ونُفالة سويق، وهذا الذي تعني من أعرف به مني؟ عهدي به والنحس قد سقف عليه ورفرف، وقرَّطه وشنف، يستأجره عمك بالفلس ويأمر فيه وينهى بالثمن البخس، لا يملك قطميراً، ولا يعدل نقيراً، وكأني والله، أنظر إليه، والجص قد عجى سباله[1]، وخضب وجهه وسرباله، رب وضيع ارتفع، ورفيع اتّضع، وإنك في تعييرك لنا بـفرث الأعفاج ودماء الأوداج لكما قال الله تعالى[2]: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ فهلا تذكرت فارعويت أو تفكّرت فاستحييت.

وأما قولك: نُدماء الكلاب ومساقيط الذُّباب.

فأقول: إن كلَّ حيوانٍ من ناطقٍ وصامت باحثٍ عن مصلحته (مستدفع لمضرته)[3] بالقوى الطبيعية التي ركبها الله فيه، فحيث وجد مصلحته مال إليها [19/أ] وأقام عليها،

(1) [عجى: أمال، السبال جمع سبلة وهو ما على الشارب من الشعر أو طرفه، أو طرف اللحية أو مقدمتها].
(2) يس آية / 78.
(3) الزيادة من الحاشية.

فقد جعلنا الله سبباً لمعاش أمم كثيرة، وجعلكم مشاركين مع الذباب والكلاب، بافتقاركم إلينا وطلاب معاشكم عندنا، فنحن أقوى أسباب هذا الرزق، لأكثر هذا الخلق:

[15]

(من الرجز)

فمنهم الكراش والسلاخ إليهم السبار والطباخ[1]
والصنع المألوف والجلاد ودابغ الجلود والحدّاد
إليهم الروّاس والبلاجي ثم الفتى المدعو بالسرّاج
ومنهم الفران والزقاق يليهم الرقاق والمواق
وبائع الأخفاف والخفاف وبعده الكبّار والدّفاف
ومنهم القرّان والخرّاز إليهم الغربال والشكاز[2]
وصانعُ الأوتار للعيدان بين مثالثٍ إلى مثاني [19/ب]
وصانع المُصحف والسّقاء ثم بغايا القِفّة الغراء[3]
ثم الكِلابُ الكُثر والذُّباب لامينَ في قولي ولا ارتياب

فهؤلاء أتباعنا، حاشى من لم نذكره، فمن أتباعكم يا بغاث الورى، وأضغاث الكرى، ثِفال رحى ونساء بِلحى؟

(1) وردت في القصيدة الإشارة إلى جملة من المهن والصناعات التي شاعت في عصر الشاعر وبعضها معروف في أيامنا، ولقد تكرم الدكتور حسين علي محفوظ مشكوراً فأفادني معاني ما لم اقف عليه في المعجم، فأما السبار: فالجراح الذي يسبر غور الجرح، وأما الرواس فالأصل فيه الراس: كشداد، بائع الرؤوس والرواس لحن منه ولعل البلاج: من البلجة، وهي نقاوة ما بين الحاجبين، والرقاق: صانع الرق: الجلد الرقيق يكتب فيه. الزقاق: السقاء، والمواق: صانع الموق، وهو خف غليظ يلبس فوق الخف، والأخفاف: جمع خف، والخفاف: صانعه، والكبار: صانع الكبر: نوع من الطبول، والقرّان: صانع القرون تصنع منه الدمالج والأسورة. والغربال والشكاز، صانع الغربال والشكر: نوع من الربع المجيب يتخذ للأغراض الفلكية قديماً.

(2) الأصل: الغرناق: وهو تحريف ما أثبتناه.

(3) الأصل: الفراء: وهو تحريف ما أثبتناه.

[16]

(من الطويل)

1- نساءٌ ولكن شَانَ أوجهها اللّحى فلا منة فيكم ولا مُتعة ترجى
2- فأنتم خَشاشُ الأرض في كل بلدةٍ فليس لمدحٍ تصلحون ولا هِجا[1]

[17]

(من مجزوء الرمل)

1 وسواءٌ أنتمُ في حالتي عُسرى ويُسرى
لؤماءٌ جبناءُ تسحبونَ البُخل تَجرا
3 فرجالٌ كنِساءٍ وغنىً يُشبه فَقرا

فقال: إنّ لكل مقام مقالاً، وإنّ لكلّ كلام جواباً، وإن نزغتَك هذه لسخيفة، وإن حُجتك لضَعيفة، لأنّ من الأشياء أشياءً يدعو [20/أ] الاضطرار إليها كالكَنيف الذي يؤتى للضّرورة، وأنتم وإن وقعتْ عليكم القَلانس والعَمائم، فذلك للاضطرار إليكم، لأنكم أهل الازديار على الاختيار، وأمّا نحن فتقصدنا[2] الأشراف وتجالسنا، وتأنسُ بنا وتؤانسنا، ولا نرى أحداً يزوركم إلا للضرورة التي أوضحنا والسّبب الذي شرحنا.

فأقول: إنما صار استهجان الناسِ للقصابين للشّهوات التي تحولُ بينهم وبين النظر بعين الحقيقة، في الجليلة والدقيقة، ولو كانت لك يا جاهل، مُسكةُ عقل، يفرق بين النور والظلمة، لاعترفتَ بإنعام الله تعالى عليك وعلى آلك بنا، إذ أنتم فرع نحن أصله:

[18]

(من المتقارب)

1 تُريدُ لتُطفِئ أنوارَنا وما يُدفعُ الحقّ بالباطل
وتطمعُ في غَمرِ أقداحِنا وذلك ما لستَ بالنّائل [20/ب]
3 كأكمهَ يَسخر من مُبصرٍ وحافٍ يشيرُ على ناعِلِ

---

(1) واضح أن الشاعر انتقل ـ على غير عادته ـ إلى أبيات أخرى بذات الموضوع.
(2) الأصل: تقصدنا بدون فاء وهو خطأ.

[19]

وقال:

(من الطويل)

1 وإنا وإياكم كمرءٍ مُعذبٍ بأبناءِ سوءٍ يُظهرون عقوقا
2 إذا رَام يَهديهم طَريق رشادهم أبوه وقالوا: لا نُراهُ طريقا

[20]

وقال:

(من الطويل)

1 وإنكمُ في نَشركم لعُيوبنا وطيّكمُ ما أنتمُ بسبيله
2 كأعمى اغتدى ممن به دَلّ سَاخراً فأعجِبْ بأعمى ساخراً بدليله

يا خُشارة[1] الآباء، وحشرات[2] البر والدأماء.

[21]

(من الطويل)

1 ألستم بتَدليس الفِراء عُرفتمُ وذلك ظلمٌ ليس يَعدله ظلمُ
تُبيعونها من جَاهلين بأمرها مُزوّقة محسومةً ما لها رَسم [21/أ]
تُقعقعُ مثل الشَنّ فوق جُسومهم فليس بها في البَرد ينتَفعُ الجسمُ
وتُمتد إمّا مسّها بعضُ نَدوة وإن مَسّها شيءٌ من الحرّ تُنضمّ[3]
5 فإن قَعدوا تُنفخ لهم في وُجوههم كأكيارِ حدّاد إذا اشتعلَ الفَحمُ
فهن إذا ما البَردُ صَالتْ جيوشه سواءٌ على من يَستترْ به والعدم[4]

---

(1) الخشارة (بالضم) الرديء من كل شيء وسفلة الناس (ق).
(2) على يمين الصفحة تعليق بكلمة (حسرات)، أمم الهوام والدواب الصغار، وليس يجمع كما يتوهم (ق).
(3) الأصل: ان مسها ولا يستقيم بها الوزن.
(4) الأصل بها والعدم وفيه تحريف صوابه ما أثبتناه.

تُبيعونها بالرِّبح نَقْداً وأنتمُ ... إلى أمَدٍ ابتَعتُموها وذا غُشم
ويَنفعُ بعضٌ بَعضكم في شِرائها ... وفاعلُ ذا بالشّيخِ إبليسَ يأتَمّ
وإنْ جازَ والمُضطر وافقَ غَالباً ... ويَقصرُ عن إدْرَاك غالٍ فَيَغتَمّ
10 فيَبتاع ما لا خيرَ فيه وقد رَأى ... لفرطِ اضطرارٍ أنّ ما ابتاعَه غُنْم
وماذا عَسى المُضطرّ يَصنعه وقد ... تُمعّر منه الوجهُ وانقَعر الجِسم[1]
مُزابنةٌ تُفضي إلى غَاية الرّبا ... وذلك ثلمٌ بالدّيانة بل خَرْم[21/ ب][2]
13 ومن يكُ ربحُ السّوء أسّاً لماله ... ويبنِ عليه فالّذي فَعل الهَدم

وهل أنتم بين هذا الخلق إلا كواو "عَمرو" أُقحمت للفرق[3]، أو كفاسِ نُحّاس يلمع ولا يَقطع، وأما نحن فأُسودٌ ضوارٍ، وسُيوف عوارٍ، لا يضامُ لنا جار ولا يدركُ فينا ثار، نُفوسٌ أبيّة، وحَميّةٌ جاهلية.

[22]

(من الطويل)

1- إذا كانَ منا واحدٌ في قَبيلة ... كفاها وإن ضَاق الخِناقُ حَماها
2- ولسنا كأنتم إن ألَمّت كريهةٌ ... جَزِعتم وقلتمْ من يَحلُّ عُراها

[23]

(من الطويل)

1 إذا ما غَزونا[4] أرضَ آل عنيزةٍ ... غَزَتْ معناً عُقبانها ونُسورُها

---

(1) [تعمر: تقبض وجهه وتغير غيظاً، ومعر النخلة: قطعها من أصلها].

(2) [الزبن: بيع كل ثمر على شجره بتمر كيلاً، أو هو بيع ما لا يعلم بمعلوم المقدار].

(3) أخذ المعنى من قول أبي نواس في أشجع السلمي:

إنمـا أنـت مـن سـليم كـواو ... الحقت في الهجاء ظلماً بعمرو

وقد وردت هذه العبارة في رسالة ابن زيدون الهزلية (ديوان ابن زيدون ورسائله 669).

(4) الأصل "غرونا" بالراء المهملة وهو تصحيف.

وإن نحن نازلنا الكتائب أدبرت وطارت ميامينا علينا طيورها
3 تقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيهم وفيها صدورها

لم يفطم لنا رضيع، إلا أرضع أخلافَ البأسِ الشديد، وعوضت [22/أ] راحتاه بالمُدى من النهود[1]:

[24]

(من الطويل)

1 فمنا أسودٌ ضاريات عوابس قُروم، كرام الراحتين، فحول
إذا نحن روينا الصوارم من دم فتلك دماءٌ ما لهن ذُحول
ولسنا نهابُ الجمع عند لقائه سواء كثير عندنا وقليل
وأسيافُنا تندى وما كل ساعة عليها النفوس الجامدات تسيل
5 مُعودةً أن لا تسيل نصالها فتعمدَ حتى تُستباح قبيل
إذا قَصرت في الحرب بالباسل الخُطا فإن خطانا في الحروب تطول

فأنتم ليت شعري لماذا خُلقتم، أو بأي شيء سوى النوك، والجبن، شهرتم؟ ألفتم الجبن حتى أنكم لفرط الجبن يفر الوالد من الابن:

[25]

(من البسيط)

1 وإنما قيل: فرّاءٌ لصَانِعكم على المجازِ وكان الأصل فرّارا[2]
إن دبّ ذرٌّ لديكم دُبتمُ فَرَقا ومتمُ جَزَعاً أن تُبصروا الفَارا [22/ب]
ونحنُ فتيةُ حربٍ سافكون دماً أسداً إذا نُشبت ناباً وأظفارا
نُروى المُدى من نجيعِ قانئٍ أبَداً وليس يُدرك فينا طالبٌ ثارا
5 بَني الفِراية لا خُلدتمُ فلقد خَلدتُم في الأنام الشَّين والعَارا

---

(1) طمست بقية السطر بمقدار خمس كلمات.
(2) الأصل فرارٌ مرفوعة على الحكاية.

[26]

(من مجزوء الوافر)

1- وكمْ للنّاس في الأمثا   لِ من حِكَم ومن عِبرِه
فإنْ أحببت أن تُروى   من السُّباقُ بالخِبره[1]
3- ومن أعلى يداً فانظرْ   إلى السّاطور والإبره[2]

نشدتكمُ الله معشرَ الفرائين[3]، ألستمْ فروعنا، منا تتغذون، وبنا تتنعَّمون، ألسنا رِياسكم، وبنا يقوم مَعاشكم، قالوا: بلى، قلت: فلأي شيءٍ استهواكم، ومِلتمُ مع هذا الذي أغواكم، ألم تُعلموا أنّ للحق ناصراً يَعضده، ورَبَّاً يَنصره ويؤيده، "فأقبل بعضكم على بعض [23/أ] يتلاومون"[4].

وقالوا: إنّا إذا لَجأنا[5] إلى اليَمين، فـ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾[6] وآن أن يُؤثر الصدق، لك الفضلُ والسَّبق، لله در الحق ما أحسنه وأوضحه، وقبّح الله الباطلَ ما ألعنه وأفضحه.

قلت: أفعجزتم؟

قالوا: لا مدفع، ولَلحق أحقّ أن يُتبع.

قلت: فإذا عجزتم، فلا بد أنْ أعقد عليكم بالفَلَج عَقداً، يكون بيني وبينكم سداً، ويكون لمن بعدي رُكنا، يَلجأ إليه، إن قام قائم عليه.

---

(1) الأصل "من السابق" ولا يستقيم به الوزن.

(2) هذه الأبيات الثلاثة جاءت مكتوبة كتابة نثرية.

(3) الأصل "الفراءين" وهو خطأ.

(4) اقتباس إشاري من القرآن الكريم، القلم/ 30 ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾.

(5) الأصل (لجائنا) وهو خطأ.

(6) اقتباس من القرآن الكريم، يوسف/ 52.

[27]

(من الطويل)

1 فقالوا: شَهدنا إنّك السّابق الذي بَراهِنُه، بالحقّ تُقضِي ونُشهد
عَجِزنا ولا دَفعٌ لنا في الذي به أتيت وقولِ الحقّ فرضٌ مؤكّد
وإن ّعليّاً جاء بالبَاطل الذي قد اخزاه[1] حتى قد عَراه التبلّد
4 ومن ينتحلْ ما ليسَ فيه بمُحسنٍ فذلك عند الامتحانِ المُفندُ [23/ب]

ثم عطف القوم على ّعليّ وقالوا له: انظرْ ماذا جَنيت علينا؟ وأيُّ خِزيٍ جلبتَ إلينا؟

فقال لهم: إن الهزائمَ مخلوقاتٌ، وإن المناظرةَ لها أوقات.

قالوا: نعم، ولكن نُرى أن نستصلحه، لندفع عنا مثالبه، ونأمن بذلك جانبه، فأقبل القوم إليّ.

وقالوا لي: الدنيا دول، ولن يَصلح لأحدٍ فيها عمل، ونرى من الصواب أن نعقِد بيننا وبينك عَقداً، نستوثقُ به ونأمنُ من تقلّبه.

فقلت: أما إذ أذعنتم هذا الإذعان[2]، وأعلنتم بالاستخزاء هذا الإعلان، فسيروا آمنين، يغفِر الله لي ولكم أجمعين.

ثم إن ّعلياً لما رأى ما في ذلك عليه من الخزي العظيم، والعار المقيم، قال للقوم: إنّ هذا الذي ذهبتم إليه ليس مُعوَّلي عليه.

قيل له: لم ذلك؟

قال: لأنه في الأدب [24/أ] يُجاريني ولا يدانيني.

قيل له: فماذا تريد؟

---

[1] همزة أخزى ّللوصل لضرورة الوزن.

[2] قسم الناسخ الكلمة جزأين في نهاية السطر واوله.

قال: أريد مناقشته ومناظرته، فإنه وإن كان على شعره رونق طبع، فباعه في الأدب قصير، وجناحه فيه كسير.

فقالوا: نرى أن تدعه فإن الحق معه، فقلت: وهذا من الباذنجان، فسمع هذا المقال فارتجل وقال:

[28]

(من الطويل)

1- أنا السّابق الرَّحب الخُطا في التّأدب	أنا المَاهر المشهورُ في كلّ مَذهبِ
2- نُروح بآدابي الرّكاب ونُغْتَدي	وقد شُهرتْ في كلّ شرقٍ ومَغربِ

فلما سمعت مقاله، راعني ما قاله.

وقلت: لا شك أنك عزمتَ على المناظرة، واستعددت بالتمثل والمحاضرة.

فقال: أجل.

فقلت: فأقول؟

قال: قل.

قلت: بأي شيء تعترض علينا في قولنا:

لم تسمعِ الآذانُ قبلَ هِدائها	بحمامةٍ زُفت إلى فَتخاء [24/ب]

فقال: لشيء لو علمتَه، ما أقررتَ بهذا البيت ولا قلته.

قلت: فما هو؟

قال: تشبيهك المذكر النّاطق، بالمؤنث الصَّامت، وتشبيهُ المذكر بالمؤنث فيه ما فيه، والفتخاء، منفعلة[1] بطبعها، ولا مذكر لها من لفظها ألا ترى، أنك لا تقول فتخاء مذكر كما تقول عُقاب أنثى.

---

(1) أفادني الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ مشكوراً بان المقصود بـمنفعلة أنها تقوم مقام الذكر والأنثى تفعل وتنفعل.

قلنا له: إن الفتخاء وإن كانت مؤنثة، فإن فعلها مذكر، وذلك الذي أردنا وكفى أنّها رئيس الطيور، وجميع الطيور مُذعنة لها كإذعان الناس إلى الملوك، وإنما شبّهنا بصَولتها لا بذاتها[1] على التمثيل، لا لأنه فتخاء ولا أن عِرْسَه حمامة، أو تريد أن يكون المشبه بالشيء ذلك الشيء بعينه؟

ولقد تذكرت لبعض المحدثين مِثل[2] هذا، وكان يعرف بابن ناصح[3]، وكان منتسباً إلى بغداد، وكأني [25/أ] أنظر إليه، وقد قام ينشد المظفر[4] رحمه الله قصيدة قافية، يصف في بعض فصولها الشاذروان فقال:

والماءُ فوقَ الشّاذروان كأنه ... ماءٌ يسيلُ على رقاب النّوق

فأضحك الحاضرين بقوله والماء كأنه ماء، ونحن إن شبهنا بالفتخاء، فلِذكرتها وصولتها على التمثيل، كما قلنا.

فقال: كم ذا تحيدُ عن السبيل، وتسري بغير دليل، وإنما نريد منك شاهداً من كلام العرب شُبِّه فيه مذكرٌ ناطق بمؤنث صامت؟

قلت: ذلك في كلام العرب موجود، وفي تشابيههم محدود، لو أحطتَ علماً بكلام العرب.

فقال: فهاته.

قلنا له: الحية، منفعلة بطبعها مؤنثة بلفظها[5] وقد شبه بها الفرسان الشجعان، وأكثر من ذلك المتقدمون والمتأخرون، على ما [25/ب] فيها من النتن وفظاعة المنظر ودمامته، وجعلوا ذلك غاية في المدح، فمن المتقدمين:

---

(1) الأصل (لابذالها) وهو تحريف.

(2) تكررت في الأصل كلمة مثل.

(3) لم نقف على ترجمة له فيما توفر بين أيدينا من مصادر.

(4) الغالب أن يكون المقصود به المظفر بن الأفطس محمد بن عبد الله حاكم بطليوس (437 ـ 461هـ)، وقد عرف بأنه كان شغوفاً بالشعر والأدب وهو صاحب الموسوعة الأدبية التاريخية المظفرى ينظر (البيان المغرب 3/ 236، المعجب 128، أعمال الأعلام 183).

(5) الأصل: بطبعها، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(من المتقارب)

فلو أنّهم قتلوا مالكاً   لكنت لهم حيةً راصده[1]

والأخطل[2]:

(من الطويل)

فما تَرَكتْ قومي لقَومك حيةً   تَغلّب في ثَجرٍ ولا بَلَدٍ قَفر[3]

والآخر:

(من الطويل)

إذا حَيةٌ أعيى الرُقاة دَواؤها   بَعثنا لها تحتَ الظَّلام ابنَ مُلجِم[4]

ومن المتأخرين أبو نواس قال:

(من الكامل)

ماذا عَسيتَ ومن وَرائك حيةٌ   تُعيي الأسود ومن ورائك عُلَّسُ[5]

وقال تميم:

---

(1) البيت لمالك بن عمرو العامري، في جمهرة الأمثال للعسكري برواية:

فأقسم لو قتلوا سِماكا   لكنت لهم حيةً راصدة

وكتب بصيغة نثرية خطأ، وجاء البيت في نهاية الأرب للنويري، كذلك.

(2) الأخطل، غياث بن غوث (ت90هـ) من بني تغلب، مدح بني أمية بالشام، نشأ على المسيحية في الحيرة اقترن اسمه بالنقائض، الأعلام 5/ 123.

(3) شعر الأخطل 1/ 188، الحيوان 4/ 240، المذكر والمؤنث 546 (برواية أخرى).

(4) سقطت همزة الوصل من (ابن)، وقد جاء البيت في الأمالي 2/ 256 منسوباً للنجاشي وهو قيس بن عمرو بن الحارث بن كهلان شاعر هجاء مخضرم، أصله من نجران وانتقل إلى الحجاز، واستقر في الكوفة توفى نحو سنة 40هـ ينظر الأعلام 5/ 207.

(5) البيت مما أخل به ديوان أبي نواس.

(من المتقارب)

هو الحيةُ الصِّلّ من نَفثِها تُميتُ وتقتلُ أصلالَها[1]

هذا إذا عنوا الحية الأنثى، فإذا عنوا الحية الذكر فسّروا.

قال عبد الرحمن:

(من البسيط)

إذا رأيتَ بوادٍ حيّةً ذكَرا فامرزْ ودعني أمارسْ حيّة الوادي[2] [26/أ]

وقال الحسن:

قَهوةٌ في الكَاسِ مُترعةٌ كلسانِ الحيّة الذّكر[3]

ولذلك إذا أرادوا الذّكر من الحيات قالوا: "هذه حية ذكرٌ" وإذا أرادوا الأنثى قالوا: "حية" بالإطلاق.

فجعل يطرق، وخرسَ لا يَنطق، كأنما ألقمتَه حجَراً، أو سَقط عليه خرا:

وابنُ اللّبون إذا ما لُزّ في قَرنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزلِ القَناعيس[4]

والآن فلنبدأ بتزييفِ[5] بهرَجك، وإذواءِ عَرفجك، أما بعد:

---

(1) ديوان تميم بن المعز، ص 318، وتميم بن المعز بن المنصور بن القائم الفاطمي أبو علي، أمير، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، فنشأ في الثراء، ومال إلى الأدب توفى بمصر سنة 374هـ (الأعلام 2/ 88).

(2) جاء البيت بغير عزو في الحيوان 4/ 235، ثمار القلوب 335، المخصص 16/ 101.

(3) البيتَ في قطب السرور، الرقيق القيرواني، الموسوعة الشعرية، قرص مدمج- المجمع الثقافي في أبو ظبي وروايته:

قَهوةٌ في الكَاسِ مُترعةٌ كلسانِ الحيّة الذّكر

(4) سقطت همزة الوصل من "ابن". البيت لجرير ينظر ديوانه ص 250.

(5) الأصل "بتزيف" بياء واحدة.

أيها الجامحُ في ميدان إعجابه بعُجابه، والطّامح بإغرابه، إلى ما أغرى به، والكودنُ[1] المُتعاطى قصبَ السّباق بمضمار العُقاق[2]، المنكوسُ بَندُ ادّعائه[3]، والمهزوم جند غلوائه[4]، فإنه وَردَتنا بكرك المباكرة بالجَفا، مستبدَلةً بالغَدَر من الوفا، مطوقةَ العُنق، بأغلاقِ الحُمق، وضِرْةَ [26/ب] الإهاب والجلباب، يتيمةَ الأنساب والأحساب، تسفرُ عن دميمٍ وَقاع، وتفتر عن ذي قلح[5] غير وضّاح، ذفرةَ الرّياح، كأنّما غُمست في السُّلاح، في صَحيفة سَخيفة، مملوءةٍ هَذياناً لا بَياناً، وبَعراً لا شِعْرَاً، قد حسرتْ لثامَ الحياء، عن مَعرى قليل الماء، فبرزتْ خالية الترائب، إلا من أعلاقِ المعائب، خاليةَ الرّسيم[6] إلا من العَار المقيم، فنَاهيك من جوهر، عَقلك صَدفُه، وجهلك بحره ونطفهُ، وإنْ كنت ـ أسخنَ الله عَينك، وأدنى حَينك ـ جادلتنا بالباطل، وأردت تحلية جِيدك العاطل، بلَدَدِك الذي حططت به عن وجه جهلك برقعه، وأوضحت شكله ومَهيعه، ولن يُغلب من كان الحق معه، ولستُ بأول من جادلتَ بزخارف مَحالك، وكاشفته بخزار[7] جدالك، هذه شِيمتك مع كل [27/أ] من لابسته، وسيرتك مع كل من حالفته، وجالسته، حتى ألحقت إخوانك بأعدائك، بسخافتك واعتدائك، ألمْ تعلم أنّ معاندةَ الناس من سمات الخساس، وأنّ رأس العَقل بعد الإيمان التودد إلى الناس، كما قال رسول الله ﷺ: "ألا أُنبئكم بشرالناس؟" قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "من أكل وحده، وظلم عبده، ومنع رفده، ألا أنبئكم بشرٍ من ذلكم، من يُبغض الناس، ويبغضونه"[8] وأنت قد قَضبتَ حبل أصادقِك، بدعواك ومَخارقك.

---

(1) [الكودن: الذي يثقل في مشيه ويبطئ].

(2) [العقاق: من العقة حفرة عميقة في الأرض].

(3) الأصل: "بندا دعائه" وهو خطأ من الناسخ، والبند هو الراية ونكوسها كناية عن الفشل والخسارة.

(4) قاح الجرح، يقيح، أفرز القيح.

(5) القلح: صفرة الأسنان.

(6) رسمت الناقة رسيما، أثرت في الأرض.

(7) [الخازر: الرجل الداهية، وخزر: تداهى وهرب].

(8) تكـرم الشيخ حمدي السلفي (جزاه الله خيراً) فخرج لي الحديث من حديث ابن عباس (رض)، وفي روايته اختلاف كذلك جـاء الحـديث في الترغـيب 6/ 143، مـشيراً إلى عدم صحته، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، برواية أخرى، ونـسبه إلى ابن عـساكر في تاريخه.

أترى عملك مبتدعاً من تلقائك، لم يطالعه أحد سواك، أو معمى لم يفكه غيرك، لقد استحوذ عليك العُجب، حتى أوهمك الجهل أنك نسيج وحدك، وفريد مِصرك، فجعلتَ تحمي جهلك، بخلقٍ دني، وفعل [27/ ب] سخيف غبي.

فهلا أضربت عن خُلق اللئام السّخاف، وتحلّيت بخُلق الكرام الظِّراف، الذين ينسبكون انسباكَ الذّهب في بُوَط[1] التظريف والأدب، وينخرطون في كل مخرطة، ويتطرقون إلى الطرب، من سير مِطرقة، دون كبرٍ، ولا مخرقة، ألم تعلم أن تُرَقبَّ عثرات الأنام من سمات الطعام؟

فما لك تتحلى بهذه الحُلي في كل ملأ، وخلأ؟ أبهذا تطمعُ أن تسود؟ كلا وربِّي، لا يُفلح مَن هذه طريقته، ولو بَدَتْ إلى العالم حَقيقته، ثم إنك تتحلى بحِلي النَّجدة والباس[2]، ولا تستحي من الله، ولا من الناس.

يا ليتَ شِعري ما هذه الخّنزُوانة؟[3] التي قامت ببابك فشَرَدت بها عن آلك، وأعمامك، وأخوالك، حتى ادّعيت من البَسالة ما جرَّ لك غمزاً، وعاد عليه هَمزاً ولَمزاً.

ألَمْ تعلم أنّ لكلّ [29/ أ] سَاقطةٍ لاقطةً[4]، ولكل جامحةٍ ضَابطة، فقل: كيف اتفق لك هذا السَّعد، حتى هابت صَولتك الأُسد.

حَنانَك[5] يا عمرو[6] حنانك، ويا زيدَ الخيل[7]، قَصِّرْ عِنانك، وإذا لحظك ذو الحسد الباغي ورَمق، فأكثِرْ من قراءة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ أو تعوذ من عيون الحاسدين، بآي "ص" وآي "يس"، فقد كُملت فيك الخصال، وما آفة البدر إلا الكمال، فَسِمْ نفسك بعيبٍ واحدٍ فهو

---

(1) البوط جمع بوطة، الذي يذيب فيه الصائغ.

(2) [بتسهيل الهمزة].

(3) [الخنزوانة: الكبر والتعالي].

(4) هذا المثل من قول أكثم بن صيفي في خطأ القول وهذره، معجم الأمثال 2/ 178، فصل المقال 23، مجمع الأمثال 2/ 94.

(5) اي تحنن عليَّ مرة بعد مرة، وحنانا بعد حنان، هذا معنى حنانيك (ق).

(6) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي الفارس العربي المشهور، (ت21هـ) بعد أن شهد اليرموك والقادسية جمع ديوانه هاشم الطعان، الأعلام 5/ 86.

(7) زيد الخيل، أبو مكنف بن مهلهل من أبطال الجاهلية وفد على النبي (ص)، وأسلم وسماه الرسول « زيد الخير » جمع شعره د. نوري حمودي القيسي (ت سنة 9هـ)، الأعلام 3/ 61.

أولى، فيقول الناس ما أكمل فلاناً لولا، فعساك توقّى بذلك شرهم، وتأمن بعون الله ضَرهم وخذ بقول الشاعر:

(من الكامل)

شَخص الأنام إلى كمالك فاستعذْ   من شر أعينهم بعيبٍ واحد[1]

وقال الآخر، وكأنه عناك بقوله:

قد كانَ قومك[3] يَحسبونك سيّداً   وأخالُ أنّك سيّد مَعيون[2] [29/ب]

فإذا خرَجت من دَارك فانفثْ ثلاثاً عن يَسارك، فبذلك تُفرق منك الجن، ويَنجلي الغمّ والحزن، فاجعلْ وصيتي نُصبَ عينيك، ودع من يقول:

هوّن عليك، فإني أخافُ، أن ترشقك سِهام العُيون، فتُرديك، وتُرمقك من كثبٍ[4] فتُودِيك، وتُضيقُ عليك الأوطانُ والأعطان، وتُنبتَّ بك الأسباب والأشطان، وخليفتي عليك الشّيطان، واعلمْ أني دبّرت لك "بَختجاً"[5] يَشفيك من داء الجنون، ويَقيك من سهام العيون، وهو من أفضل ما تُداوَى به المُتلخنون[6]، وأُفيد به الموسوسون، وقد أثنى عليه الأطباء المتقدمون، فقالوا: إنه ينقّي بطونَ الدّماغ، من فضول الفَراغ، ويَحدِر بلاغمَ القَمحدُوة[7] السّخيفة، ببُخاراته اللّطيفة، ويقوّي عَصَبها، [30/أ] الامتلاء من الطعام عند النوم، مركب لمزاجك، من خراج نتاجك[8]، قد جُرّبت في مثلك منفعته، وهذه نسخته:

---

(1) البيت للمتنبي في زهر الآداب، 85. وجاء في مصادر أخرى منسوباً إلى كشاجم، منها خمسة للثعالبي هي: الإعجاز والإيجاز والتمثيل والمحاضرة، وخاص الخاص، ولباب الآداب، ونثر النظم وحل الفقد، كذلك نهاية الأدب للنويرى، وأعيان العصر للصفدي، والكشكول للعاملي. وفي ديوان المعاني للعسكري بدون نسبة.

(2) البيت في شرح ديوان المتنبي للعكبري 4/ 165. وفي درّة الغوّاص للحريري بغير نسبة، وفي الأمالي للمرزوقي، جاء عجز البيت بغير نسبة كذلك، ونسب إلى العباس بن مرداس في المنمق في أخبار قريش لابن حبيب، والحيوان للجاحظ، والأغاني للأصفهاني، والحماسة البصرية للبصري. تنظر الموسوعة الشعرية.

(3) الأصل قوماً وهو تحريف ما أثبتناه.

(4) كثب: القرب.

(5) [يبدو أن البختج كلمة محلية تطلق على نوع من الدواء].

(6) المتلخنون: المترددون في الباطل.

(7) [في القاموس أن القمحدة، الهنة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال خلف الأذنين، ومؤخرة القذال].

(8) في الحاشية تعليق على الكلمة مطموس. ويبدو أنها محرفة عن نتاجك.

[29]

(من الطويل)

فخـذ أولاً بـسَفايج العقـلِ خَالـصاً ... مـن الـنُّوك[1] واجـرُدْ زُعـبه وتأنَّـق
وأنقعـه بعـدَ الـرَّض يـوماً ولـيلةً ... ليرطـبَ في مـاءِ الحَـياء المـروَّق[2]
وأحكِـمْ علـى مـاءِ النَّباهة طـبخَه ... قلـيلاً قلـيلاً، واحـذرِ العُنف وارفِق
وخـذْ من لَحَا إهليلج الفَهم والذّكا ... ومـن فِيتمون الفِطنة الأحمر النَّقي[3]
والـقِ علـى المـاءِ العَقـاقير كلّهـا ... غُـباراً وضَـرِّبه[4] بهـا يتـصفَّق
وزد فـيه مـن مَحمـودةِ العَقل دَانقاً ... لتَحذِر من كَيموس[5] نُوكِك ما بَقِي
وخُـذْ منه كَأسـاً كلَّ يومٍ على الطَّوى ... وداومْ علـى هـذا العِـلاج تُوفَّـق
وتُحـدِرك أخلاطَ الجُنون من اسفلٍ ... بـرفقٍ وتأمنْ كلَّ ما مِنه تتقي [30/ ب]
وإنْ شِـئتَ حـسمَ الدَّاء في مرّةٍ وأن ... يُقيـئك من أعلى فزِد جُزء خَربق[6]
وإن كـان مَعـدوماً وعَـزّ وجـودُه ... فخُـذْ بـدلاً من خَربقٍ بَذرَ سَرمَق[7]
وإنْ جـاءَ مُـرّاً في المَـذاق وعِفـته ... مخافـةَ قَيـىءٍ مُفـرطٍ أو تُـزلّق[8]
فخـذْ مـن خَـرا هِـرّ وكلـبٍ مُبرس ... مُـسنٍ بَهـيم اللّـون لـيسَ بأبلـقِ[9]
ومـن سَـلحِ مَجـذومٍ قَـديمٍ مزنجـرٍ ... موشّـى أعالـيه بأغـبرَ ازرقِ

(1) عروق في داخلها شيء كالفستق، بحموضة وحلاوة، نافع للمالينخوليا والجذام (ق)، النوك: بالضم والفتح، الحمق (ق).

(2) أمر مضارعه من أنقعَ، الرض: الفرى، الحياء: الحكمة، المروق: المصفى.

(3) الأهليلج: بفتح اللام الثانية وبكسرها، واحدته اهليلجة (ق) [وهو ثمر معروف منه أصفر ومنه أسود]. الفيتمون: فارسي.

(4) من ضرّبه بمعنى ضربه.

(5) الكيموس الخلط لغة سريانية (ق).

(6) الخربق: كجعفر نبات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود (ق).

(7) السرمق: كجعفر نبات القطف (ق).

(8) التزلق: الاضعاف.

(9) [تبربس: مشى مشية الكلب].

وصَـيرهُ في هـاوونِ جَعـسٍ مُفـتقاً؟ ... بقَـيءِ طِـريٍ أو بـبَول معـتّق[1]
فمهمـا رأيـتَ الكلَّ قد صَارَ واحداً ... فخُذ منه ما تُهوى على الرِّيق والعَق
ودَيـره أقراصـاً صِـغاراً وحلّهـا ... بـريقك وابلـعْ ثفْلـها وتمطّـق[2]
وإنْ عَرَضـت في الحَلـق منه خَوانقٌ ... تُغَرْغَـر بـه عـندَ الـرُّقادِ وبَقْـيق
ويحَّـر بـه في كـلِّ يَـومٍ ولـيلةٍ ... سِبالك تنا[3] الجنّ عنك وتُفرق [31/أ]
وحـكّ بـه أسـنانك الفُلـجِ إنـه ... متـى مـا بـه جلـوت[4] ثغـرك يبرق
ولا تـتّخذ حَـسواً سِـواه فإنـه ... مـن افْـضَلِ[5] شـيءٍ تُغتذيه وأوفق
وإيـاكَ لا تُـسئام وخـذْ بوصـيتي ... فإنـك إن تأخـذ بهـا لا توفـق
فهـذا الـذي يَـشفي جُـنونك عُـنوة ... علـى أنّـه صَـعبٌ مُعانـاة أحمـق

وهذه عروسك المجلوَّة، وبكرك المخبوة، قد كشفتْ سوآتها للناظرين، وأسمعت لكنتها الصّم والسّامعين، وإذ كنتَ البادي بانتقادِك علينا، وإفشاءِ سوءِ اعتقادك إلينا، فاسمع يا حَلاجَ قُطنِ المحَال، ببرقشة[6] الجِدال، وكيف يُسبّكُ الهذّيان بنارِ البيانِ، فتخرجَ في الدُّخان، الست القائل؟

أعليَّ تعتبُ شاعرَ الغوغاء مُتعرضاً ... جهلاً لوسم هجائي[7] [31/ب]

هذا بيت قد جمع من سوء الأدب، وقلةِ الاحتراس من الزَّلل، وركاكةِ النسج، ودناءَة الحَشو، ودمامةِ[8] اللّفظ، وانقلابِ ذمه إلى المدح ما يحكم به عليك الأدب، وتُشهد به العجَم والعَرب.

---

(1) الجعس: الرجيع المولد، أو اسم الموضع الذي يقع فيه (ق).
(2) تمطق: من التمطق وهو تصريف اللعاب (ق).
(3) السبال: جمع سبلة وهي الثياب (ق). الأصل: تناى، وهو خطأ.
(4) جلوت: صقلت (ق).
(5) همزة افضل للوصل لضرورة الوزن.
(6) البرقشة: الكلام المختلط.
(7) ينظر البيت ورقة 11/ب.
(8) الدمامة: بالدال المهمة القبح.

فأمّا قولناً أولاً: بسوءِ الأدب، فإقرارُك بالعَتب ومجازاتك عليه بالسَّب، وهذا من سُوء الأدب، فقد قيل(1):

"العِتاب حياةُ المودة، ومن لم يعاتبْ على الزَّلة فليس بحافظ للخلة"(2) وقيل(3):

"العِتاب يَجلو وجهَ الإخاء، ويُذهب بالشَّحناء". وقيل:

"من لم يعاتِب أخاه فقد عاداه".

وقد قيل:

إذا ذَهَب العِتاب فليسَ ودٌّ ويَبقى الوّدُّ ما بَقِيَ العِتاب(4)

ولو علمت الاحتراس من الزلل، ما أقررت بالعتاب الذي صار حجة عليك.

وأما قولنا: ركاكة النسج ودناءة الحشو، فقولك: "متعرضاً جهلاً" [32/ أ] لأنك أتيت بالحَال بعد الحال، وهو من حشو الكلام، زائد ليس فيه فائد، ألا ترى أنك إذا قلت: "متعرضاً لهجائي" أنه كلام تام، وصار قولك: "جهلاً" زائداً، مستغنى عنه، فإن قلت: إن ضرورة الوزن أوجبت ذلك.

قلنا: ليس الأمر كذلك لأن في الكلام مندوحة عن الضرورة إلى غيرها. فهلا قلت: "متعرضاً بالعتب، للإهجاء"، وربط القسم الأول بالعتب، ربطاً لا انحلال له، وسقط الحشو، على أن المعنى فاسد من جهة إقرارك بالعتب ولكنه أقل عيباً(5).

---

(1) جاء القول: "من لم يعاتب..." منسوباً إلى محمد بن داود في بهجة المجالس 1/ 725.

(2) الخلة (بضم الخاء): الصداقة المختصة التي لا خلل فيها (ق).

(3) هذان القولان لم نقف على قائلهما، وفي لباب الآداب ص 389 لأسامة بن منقذ أبيات في هذا المعنى، كذلك في بهجة المجالس 1/ 724 ـ 725 أقوال في هذا الباب.

(4) البيت لعلي بن الجهم كما في بهجة المجالس 1/ 726، وقد أخل به ديوانه المطبوع وقبله بيت يقول فيه:

أعاتب ذا المودة من صديق إذا ما رابني منه اجتناب

(5) الأصل "عيب" وهو خطا.

وقولك: "لوسم هجائي" كلام خَبِث، مع اختلال معناه، لأن الوسم هو العلامة فانقطع لنا من قولك: إنما تُعرضتَ لعلامة هجائك، لا لهجائك بعينه، كالرّامي الذي يرمي لغير غرض، والغرض نصب[1] عينيه.

وأما انقلاب ذمّه إلى المدح [32/ب] فقولك: "شاعر الغوغاء" لأنك أوجبت لنا الشعر، بندائِك علينا به، ولو نَفَيته عنا- إذ به شُهرنا وعليه فُطِرنا- لأصبت الغِرة، ولكن اخطأتْ استَك الحُفرة[2].

وأيضاً فلم تُرد بقولك: "شاعر الغَوغاء"، شاعر العامة، فهذه غاية في مدحنا، لأن القول في العامة، أوعر طريقاً، وأضيق مَسلكاً، وأبعد منه مرمى، في الخاصة، لأنّ العامة دون المدح، والذم فوقها، ولذلك قال القائل:

وممّا يقتُل الشُعراءَ غمّاً عَداوةُ من يَقِلّ عن الهجاءِ[3]

وبما في الخاصة من الخَلال المحمودة والفضائل الموجودة، صار القول فيها أسهل طريقاً، وأرحب مسلكاً، وأقرب مأخذاً.

كما قيل: "وجدَ جيراً وجصّاً فبنى"[4].

وليس لشاعر الخاصة فضلٌ في مدحها، [33/أ] أكثر من أنه يؤلف الكلام، ويقيم الوزن، لأنّ من حلاها يَستملي، فينسج ويُحلي:

[30]

(من المتقارب)

1 وإنك في نقدِ أشعارنا على جَرِّها ذَيلِ إكمالها

---

(1) قال القاموس: هذا الشيء نصب عيني بالضم والفتح أو الفتح لحن.

(2) من الأمثال التي تضرب لمن يطلب أمراً فيخطئه، وقد جاء في رسالة ابن زيدون الهزلية، ديوان ابن زيدون ورسائله ص671.

(3) لم نقف على قائله فيما لدينا من مصادر.

(4) لم نجده في كتب الأمثال، ولعله من الحكم التي لم تدون.

وتركِكَ أشعارَك المضحكا ... تِ أخبارُهن على حالِها
كمُرضعةٍ لبني غيرها ... وتُهمل إرضاع أطفالها
وإلا كآسٍ به مَحلةٌ[1] ... قد اعياهُ مؤلم أعضَالها
ويَزعم عند الوَرى أنّه ... يُعانيْ سِواه من أمثالِها

ويا عجباً كيف ادّعيت ما لا تحسن، وطمحت إلى ما لا يمكن:

[31]

(من المتقارب)

وحلّيت نفسَك بالشّعر زَعماً ... كشَفتَ به بعض سوءاتها
ووجهتَ منك قَوافٍ غدا ... ينم السُّلاح بلبّاتها [33/ب]
عدلتَ بها عن سواء الطريق ... إلى خافياتِ بنياتها[2]
فقلْ ليَ- باللهِ- إذ قلتها، ... خرِئت[3] على بعض أبياتها

وأما[4] إكثارك من قولك: "لست بكِفاء" و"لست من أكفائي" فأقول:

[32]

(من مجزوء الرمل)

لـــيت شـــعري بم ذا المفــــ ... ـخـــر يـــا نـــزر الحَـــياء[5]
أبـــــسيفٍ أم بجـــــودٍ ... أم بمَجـــــد أم سَـــــناء؟
قـــد تحلّـــيتَ بكـــبرٍ ... وبعُجـــبٍ وجَفـــاء

---

(1) [المحل: الشدة]، وهمزة أعياه للوصل لضروره الوزن.
(2) [بنيات الطريق: بالضم الترهات].
(3) في الأصل: حاشية نصها "حذف همزة الاستفهام والأصل أخرئت" وذلك لضرورة الوزن.
(4) الأصل: "وإنما" وهو تحريف.
(5) الأصل: "بماذا تفخر" وهو تحريف ما أثبتناه.

شِيمٌ ليست لعَمري ... شِيَماً للأدباء

أم من أبناءِ ملوكٍ ... أنتَ أم من وُزراء؟

أم من أبناء قُضاةٍ ... علماءٍ فُضَلاء؟

أم من أبناء حُماةٍ ... بالظُّبا يومَ اللّقاء؟ [34/أ]

أم من أبناء فِصاحٍ ... خُطباءٍ بلغاء؟[1]

أينَ من ذا الصِّنف تعتَدّ ... سخيفَ السُّخفاء؟

لستَ في ذا النَّحو من با ... ب ابتداءٍ وانتهاءِ

إنما بابُك بابَ النـ ... ـفي لا بابَ الجَزاء

ولهذا صِرت من نحـ ... ـوك في بابِ الهِجاء[2]

بمَ ذا تُكثر من قو ... لك لستم بكفاء؟[3]

أنتَ إلا نجل فرّا ... ءٍ تغدّى بشَقَاء[4]

وجَرى الدَّهر وراءَ الـ ... ـفَلس حرصاً لاقتناءِ

أيُّ فَخرٍ لُمغَدّى ... بقذاراتِ فِراء؟

قد نشا ما بين أشقا ... فِ دِباغ كالخراء [34/ب]

جَدُّك البُرجيُّ من بُر ... جةَ دار الأغبياء

من جُعاةٍ لا سُراة ... وحفاةٍ أشقياءِ[5]

فَدَع الفخرَ فليسَ الـ ... ـفخرُ سِيما العُقلاء

حُطّ عن مَنكبِ فحوا ... ك رُواء الكِبرياءِ

فارتفاعُ المَرء فوقَ الـ ... ـقدرِ سِيما الوُضعاءِ

[1] نصاح: جمع فصيح على غير قياس فالقياس فصحاء.

[2] ورّى الشاعر في الأبيات الثلاثة السابقة بالنحو والابتداء، والنفي والجزاء.

[3] الأصل: لَست ليّ والصواب ما أثبتناه.

[4] الأصل أنت إلاّ وهو تحريف.

[5] [الجعاة: الحمق].

وأما قولك:

ونطقتُ فيك بقَولةٍ تُرضى الفدا   لحقّهـــا بالـــنفس والآبـــاء[1]

فأقول:مناريا

[33]

(من المتقارب)

1 وأمــــا وعـــيدك بالقَـــولة الــــ   ــــتي نَـــسج الـــسخفُ سِـــربالَها
فــتلك الـــتي ضَـــربتْ مِـــصرَنا   -بهــــا في الـــسَّخافة- أمـــثالَها
وناهـــيك مـــن قَـــولةٍ جَـــرّرتْ   على كُنف[2] السَّلح أذيالها [35/أ]
صَـــفعتُ بـــصفعك مـــنها القَفـــا   وأوضـــحتُ للـــناس أشـــكالها
5 ولـــو كـــنتَ وفَّيـــتها حقّهـــا   خَـــرئتُ علـــى ذِقـــن مـــن قَالهـــا
فـــتُهني أعاديـــك أن قـــد رَأتْ   بـــنظمِكها فـــيك آمالهـــا
وأمّـــا عَقَاربـــك اللاســـعاتُ   بـــشَولةٍ[3] هَجـــوكَ مـــن طَالهـــا
فعِـــندي لهـــا رُقـــيةٌ مـــا وَعَـــتْ   مَـــسامِعُ مَخلـــوق أمـــثالها
تُمـــيت العَقـــارب مـــن حَيـــنها   وتُـــبرئُ مَلْـــسوعها يـــا لهـــا
10 ودِريـــاق مـــنظومةٍ، شـــربُها   يُـــذيب الـــسّموم وأغـــوالها[4]
11 فـــإنْ هـــي دَبّـــت إلى لـــسعها   وعـــادتْ إلى الغَـــيّ عُـــدنا لهـــا

وهكذا نقدَ قصيدته بيتاً بيتاً، وغادر ذكره في حلبة الشعراء ميتاً، ولم أُورد من انتقاده إلا هذا البَيت الأول، لأن [35/ ب] الغرضَ جمع شعره.

---

(1) البيت من قصيدة البرجي التي تقدمت رقمه 44 وقد ورد برواية أخرى: وقطعت فاك بقوله.

(2) كنف: جمع كنيف (ق).

(3) الشتولة: ما تشول العقرب من ذنبها (ق).

(4) الدرياق: الترياق (ق).

فلما كمل انتقادِه للقصيد، قال: وإذ فرغنا من انتقاد زَيفك، وفَللنا غَربَ سيفك، فلنُقارض صاعَك بأصواعٍ، ونكافِئ فَتْرك بأرحب بَاع، لتَعلم أنّ وعد الله حق، وأنّ الكذِب لا يمحوه إلا الصّدق، غير ملوم ولا مأثوم، ونسغفر الله، وهو الغفور الرحيم.

ثم جاوبه (عفا الله عنا وعنه) بقصيدة ضمن فيها من السّبّ والذم ما شاء وأودع، وأرغم بها أنف أعدائه وجَدع، لم يُسبق إلى مثلها في طريق الذم والهجاء، ولا خلّد نظيرها في جميع النواحي والأرجاء، أوردت منها ما غدا من الذم قبيحاً عارياً، وأضحى على طريق العتاب جارياً، وهي:

[34]

(من الكامل)

بَـرِحَ الخَفَـاءُ فـلاتَ حـين خفـاء ... فاجهرْ فبئس الثّوبُ ثوبُ رياءِ [36/ أ]

يــا سَــالحاً مــن نَــوكه في لُجــةٍ ... سُــجرتْ لــه بالـسّخف والخُــيلاء

إن تُجــزنا بالعَــتب ذمّــاً فاحِــشاً ... فــبما حَــواه رشــحُ كــلُّ إنــاء[1]

رؤيـا تـراءَى ضِـغثها لـك في الكَـرى ... فحــسبتَ نفــسك موضــعاً لهجــاءِ

لا نَنتحـيك بـسَم هجـوِ صـائبٍ ... مــا يــصنعُ العِــنّين بالعَــذراء[2]

الكلــبُ أقــذرُ خِلقــة وخَلــيقةً ... مــن أن يكــون مُبخّــراً بكُــباء[3]

ولِعلــةٍ عِفــتُ الهجــاء وربّمــا ... حَمــت المــواردَ كثــرةُ الأقــذاء

إنــي وهَجــوك يــا علــيٌّ لكالــذي ... باهــى كَنــيفاً مُترعــاً بفُــساء[4]

خـذ مهـرَ بكـرك لا أُحـب سِـفاحَها ... لــيس الــسّفاح بــشيمة الكــرماءِ

اغليــتُها مَهــراً ولم اكُ بــاخلاً ... وغــلاءُ مَهــر البكــر غــيرُ غَــلاء

مـن يخطـبِ الحـسناء يُغـلِ مهـرَها ... إن الحـسان فوارُكُ البُخلاء[5] [36/ ب]

إن كــانَ رِفعــةُ كــل مــرءٍ ســاقطٍ ... في هجــوه فهــناك جَــزل هجــاء

---

[1] في عجز البيت تضمين المثل العربي: كل إناء ينضح بما فيه مجمع الأمثال 2/ 162، رقم (3260) للميداني.

[2] في الأصل حاشية نصها أي اقصدك.

[3] بكباء: ككساء، عود البخور أو نوع منه (ق).

[4] مترعاً: مملوءاً [والأصل بناء، وهو تحريف].

[5] الأصل: يغلي، وهو خطا نحوي.

بِـمَ تعتلـي حتـى تقـولُ لـي: اسـتعزْ نـسَباً، أجـبك: فلـستَ لـي بكِفـاء
اخـسَأْ علـيَّ فلـيسَ كفـؤك غـيرَ مـا يَجـري مـن الأعفـاجِ والأمعـاءِ
ومـن العَجائـب، والعَجائـبُ جمّـة أنْ تـسخرَ القَـرعاء بالفـرعاء[1]

ومنها:

أتـسبّني مـن غـيرِ ذنـب جئـته إلا عِـتابَ مـودّةٍ وإخـاءِ
والعَـتبُ يَـشهدُ بالـوِداد لأهلـه في أكثـرِ الأشـياء والأنحـاء
فعـلامَ قارضـتَ العِـتاب بجَفـوة تدعـو إلى البَغـضاء والـشّحناء
وغـدوتَ مـن عَـتبي بـه مُـستبدلاً كمُعـوضٍ نـاراً مـن الرّمـضاء
إن تُـبدِ مـن عَـتبي علـيك تألمـاً فالعَير يضرطُ خيفة الكوّاء[2][37/أ]

ومنها:

عَهـدي بقـدرك في الحَـضيض مـبوأ ولقـد أراكَ طمحـتَ للعَلـياء
ووصـفتَ نَفـسك قـائلاً: ... والأسـدُ قـد هابـتْ كـريهَ لِقائـي[3]
وكفـاك ذمـاً مـدحُ نفـسِك بـالتي هـي مـن حِلـى الأمـلاك والـوُزراء
مـن كـانَ ممـدوحاً بغـيرِ صِـفاته آلَ المـديحُ بـه إلى اسـتهزاءِ
وعَطفـتَ تدعونـي بقَـولك مُفصحاً ألمنتَ من بطشي ومن غُلوائي؟
اللهَ يـا لـيثَ العَـرين المُتقـى اللهَ في دمِ فِتـيةٍ بُـرآء

---

(1) صدر البيت مأخوذ من صدر بيت أبي مروان الجزيري:

ومـن العجائـب والعجائـب جمـة أن يلـهج الأعمـى بعـيب الأعـور

(2) الأصل: المكواء، وهو تحريف.

(3) أسقط الشاعر تفعيلة العروض في سياق اعجاب المهجو بنفسه .. وذلك أبلغ في الدلالة على الاستخفاف بوصف البرجي نفسه .

خذْ من أساء بذنبه وبجُرمه ... لا تأخذِ الفُضلاءَ بالسّفهاء

هذي الرُّقاع رِقاعُ والدك التي ... طُرّتْ بطُرى قُمّلٍ وخِراء

هل رُمحك المهموز إلا إبرةٌ ... أمن الطّعين بها من الإدماء؟[37/ب]

لو أنّها في عين مرمودٍ لما ... مَنَعتْ ملاحِظَهُ من الإغضاء

أبإبرةٍ مِثل الهَباةِ كسيرةٍ ... تسطيع قلعَ الهضبة الصماء؟

ومنها:

وأراكَ يا عُصفورُ توعد بَازياً ... بمخالبٍ ليستْ بذاتِ مَضاءِ(1)

لو كنتَ مُنشئها بنَسج خَدَرنقٍ ... ضَعُفت على الإيهان والإنهاء(2)

ارعد وأبرق يا سخيف فما على ... آساد غيل من نباح جراء

وأرى سماءك يا عليُّ جعلتها ... مبسوطة مع أرضك البوغاء

أعلى المجاز وضعتها أم لم تكن ... بك قدرةٌ تدعو إلى الإعلاء؟

ما كان أولى أن تعمّك بلدةٌ ... تعتدُّ ذا أرضٍ بها وسماء

فرسان قولك خيلها منكبة ... تكبو(3) إذا ذهبت إلى التَّعداء[38/أ]

وتُرى جِراناً كلما همزت فما ... تخشى فجاءة غارةٍ شعواء

وحسامك العَضب الطريرُ المنتقى ... قد فلّه فالوذ حدٌ ذكاء(4)

أتقول لي: لو كنت تعقل لم تطع ... كل امرئٍ بنميمةٍ مشاء(5)

عذراً فلم أعلم بأن العقل مخـ ... ـصوص به كل امرئ فراء

---

(1) [من أوعد يوعد، مصدره الوعيد أي التهديد والتخويف].

(2) [الخدرنق: العنكبوت].

(3) الأصل تبكوا وهو خطأ صوابه ما أثبتناه.

(4) [الفالوذ كالفولاذ، ذكرة الحديد].

(5) يشير إلى قصيدة البرجي البيت (10).

وجَهلتَ ما ضربته من أمثالها ... فيكم قديماً عِترة الحكماء
عَجَباً لدَعواك الوفاءَ وإنه ... عَمري لأغربُ فيك من عَنقاء[1]
إني لأستحيي وايمُ الله من ... طول ادعائكهُ بلا استحياءِ
أوَ لم تكنْ عاقدتني أن لا ترى ... الطافنا ممزوجةً بجَفَاء
فنكثتَ ما شدّ الإخاءُ عُقوده ... ومزجتَ بالأقذاءِ ماءَ صَفاءِ
ولئنْ دَفعتَ مَقالتي وجَحَدتها ... فأبو محمدٍ أعدلُ الشُّهداء [38/ ب]
وأردتَ أن أرضيك والزّنديقُ في ... إرضائه إسخاطُ ذي الآلاء
هذي خِلالك قد نُشرت ملاءَها ... مشهورةَ الأسماءِ والأنباءِ
فعلامَ تزعم أنني بجُحودها ... مُغرىً أهذا منك حَقُّ جَزائي
لله تلك مَناقِباً ومآثراً ... فلقدْ أقرّت أعينَ الأعداءِ[2]
يا أيّها التّيس المجمَّر قلْ: متى ... حُزتَ السّباق بحلبةِ الفصُحاءِ؟
حتى تقولَ مصرّحاً وملجْلجاً: ... هل قِيست الدأماء بالأحساء[3]
إطفاءُ أنواري تَرومُ ودون ما ... قد رُمته، إطفاءُ نور ذُكاءِ
الشمسُ لا تخفى مَحاسنها وإن ... غطّى عليها برقعُ الأنواء
أبهرجٍ زُيفٍ تناقضُ عَسْجداً ... شتّان بينَ غَياهبٍ وضِياء
وتقول: لو شِئتَ القوافي لم تكن ... إلا مِلاكاً تحت ظل لوائي[4] [39/ أ]
أحسنتَ يا ربَّ اللواءِ المُرتقي ... بفخارهِ لمراتبِ الزُّعماء

ومنها:

---

(1) تضمين للمثل العربي وقد تقدم في القصيدة (5).
(2) الأصل: مباقياً وهو تصحيف.
(3) يشير إلى قول البرجي في البيت (15).
(4) يشير إلى قول البرجي في البيت (17).

61 نـزَّهتَ همَّتك الوضـيعةَ أنْ تُـرى ... مُـستجديَ الأمــراءِ والــوُزراء[1]
هـلْ أنـت [معـن] ابـن أوسٍ همـةً ... أم مــن تقدَّمــه مــن الـشعراءِ[2]
حتــى تُــرى مُتنــزهاً عــن سُــوقةٍ ... فـضلاً عــن الـوزراء والرؤسـاء
لم تُـــبدِ همــــةَ عـــزةٍ لكـــنما ... أعـــربتَ مُعتــزاً عـــن اســتخذاء
ولـو ابتليـتَ- وعـلّ ذلـك كـائنٌ- ... بالفقــر مــا عيِّــرت ذا اســتجداء
65 والأنبـــياءُ المرســـلون اســـتطعموا ... وبُلـــوا بـــداءِ الفَقــر كــلَّ بـــلاءِ
أو لـيس موسـى قـد توخّـى قـريةً ... مـــستطعماً فأبـــتْ بكـــلِّ إبـــاء
لا عــارَ يلحــقُ ســاعياً في عيــشه ... مـا لم يجيءْ في سعيه بخَناء [39/ ب]
لا تُغْتَــرر بــرُخاءِ بالِــك والغِنــي ... فالدهــــر يمـــزجُ شـــدّةً بـــرُخاء
69كـم مـن فتـى هـبَّت رُخاءَ ريحُه ... كانــــت عواقــــبُها إلى نكــــباء
70 لـيس الفتـى الـمُـضطرُ يملكُ عزةً ... قطَــع الــشُّقاءُ تعـــزّزَ الفُقـــراء
نـزعاتُ شِـعرك مـن محـالٍ كلُّهـا ... وكـذا المحــالُ خلائــقُ الــسُّفهاء
لـو كـنت تقـنعُ بالعَفـاف كمثلِ ما ... زخــرفتَ لم تعلــن بعــدم ثــراء
وأبــوك قــارونُ الغنَــى في خِفـــةٍ ... مــا أكفــرَ الإنــسانَ بالــنُّعماء[3]
وإذا حـوتْ يـدك الكفـافَ وتـشتكي ... عُـدماً فـأين إذاً غِنـى الحُـوباء؟[4]

ومنها:

75 أجــريتُ في مــلأٍ ســوابق منطقــي ... فـــشأوتُ في مـــلأٍ بهـــا وخـــلاء

---

(1) يشير إلى قول البرجي في البيت (18).
(2) زيـادة يقتضيها الـسياق ليـستقيم الوزن. وهمزة ابن للقطع للضرورة، معن بن أوس بن نصر المزني شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسـلام، لـه مـدائح في الصحابة. له أخبار مع عمر بن الخطاب واستحسن معاوية شعره، توفي بالمدينة سنة 64 هـ. الأعلام 7/ 273.
(3) [الخفة: الجهل].
(4) يشير إلى قول البرجي في البيت (19).

لا كالـذي قـد قُلـتَ إنـي بـالخلا ... أجريتُهُن ففزتُ بين بطاء[1] [40/أ]

زيّـنت مـا قـد عَابـه ابـن قميئةٍ ... ممـا نفـته شِـرعةُ الحُـنفاء

فجعلـتَ تُفـصح قـائلاً متـزندقاً: ... بـدءُ التُّفكـر آخـرُ الإنـساء[2]

وحكمـتَ أنـي جاهـلٌ مـا قلـته ... ونـسبتني لبـصيرةٍ عمـياء[3]

ولـو الـزمانُ جـرى بفهمـك أولاً ... مـا جـئتُ إلا آخـر الفُهمـاء

ورفعـتَ عـن وجهـي الحـياء وإنـه ... لملاءتـي بـين الـورى وردائـي

ولـو أن صـاعقةً هـوت مـا أثَّـرتْ ... في وَجهـك الجهـمِ القلـيلِ المـاء[4]

ومنها:

هـذا الثَّـناء فهـل سمعـتَ بمـثله؟ ... لقـد احـتويتَ فـضائلَ الظُّـرفاء

والله مـا أدري وإنـي حائـرٌ ... في أمـرك المـتخالفِ الأنحـاء

تنهـى عـن الـسّب الـذي قـد جئتَه ... وتراه فِعلَ الرُّعن والضُّعفاء[40/ب]

كمحـرمٍ مـا يـستحلّ لنفـسِه ... هـذا أدلُّ دلائـلِ الـسُّخفاءِ

أنـتَ الـضّعيف إذا عـلا مـا قلـتَه ... والأرعـنُ الآتـي بكـلِّ هُـذاء[5]

تـسمو إلى نقـد القَـريض ونقـضِه ... وأراكَ تخـبط فـيه كالعَـشواء

مـا فـيك مـن فهـمٍ يُـسرّ وإنمـا ... تهـذي علـيّ وتدعـي بـذكاء

إن كـان علمُـك مـثل عقلِك ذا فقد ... أخليتَ نفسَك من حُلى العُلماء

بيـضاءُ حجّـتُك الـتي أوضـحتَها ... جـاءتْ بكـلِّ مُـصيبة سـوداء

قـل يـا سـخيفُ: بم ادعـيتَ بـسالةً ... وجعلـتَ نفسكَ مُرتقـى الجَـوزاء؟

---

(1) يشير إلى البيت (26) [وبطاء جمع بطيء].

(2) يشير إلى البيت (28).

(3) يشير إلى البيت (29).

(4) يشير إلى البيت (31).

(5) الأصل "ما قد قلته". وفيه زيادة لا يستقيم بها الوزن.

وإذا عـدا في الـشّيء مـرةً طَـورَه ... فـبم ادعـاؤك عـزةَ القَعـساء؟
وإذا عـدا في الـشّيء مـرةً طَـورَه ... دبـتْ إلـيه عقـارب البَغـضاء
شـيئان مـا في الأرض أوجـع منهما ... ذُلُّ الـرَّفيع وعـزةُ الوضعاء [41/أ]
أشـهر حُـسامك يـا عليٌّ مكافحاً ... فـضحَ الـشّجاعُ ضـمائرَ الجبـناءِ
هــذا أوان الــشدِّ فابــرزْ مُقــدماً ... حتـى نُـرى مـن فـارسُ الهيـجاء؟

انتهى القصيد المجاوب به، وتركت أكثره لقبائح ذكرها فيه وضمنها في أكثر قوافيه عفا الله عنا وعنه- وهذا آخر ما في كتابه (بادرة العصر) من شعره.

[35]

(من الطويل)

وله رحمه الله، يرثي الوزير أبا يونس[1] عفا الله عنه- ويعزي ابنه فيه:

ألم يـأنِ أن يغنـى العـزاءَ لبـيبُ ... وأن يتـسلّى عـن أسـاه كئـيب
أجـل إنهـا مـن فـتكةِ الدهـر حالـةٌ ... تقَـضقَضُ أضـلاعٌ لهـا وجَـنوب[2]
فللدمـع مـا بـين الجُفـون تدفّـق ... وللـوجدِ مـا بـين الـضُلوع دبـيب
هـو الـبثُّ في قلـب الهـدى منه حسرةٌ ... وفي صفحة العلياء منه ندوبُ[41/ب]
لـئن شـقّقتْ منـه الـسحاب جـيوبَها ... لقـد شُـقّقَتْ مـنا علـيه قلـوبُ
وإن ظهـرتْ بالـشمس مـنه كآبـةٌ ... ففـي كـل وجـهٍ عِـبرة وشـحوبُ
ومـا هـو إلا حـادثٌ جـلَّ خطـبه ... ففـاض شـجىً منه وجـاش وجـيبُ
كفـرنا أيـادي الدّهـرِ مـنه فهـذه ... رزايـاه نُـترى حَـشوهنَّ حـروب
ألم تـرَ شـعب المجـد كـيف سـطتْ بـه ... وجـرَّت شعوبَ الشّمل منه شعوبُ؟
وكـيف اسـتباحتْ كفُّهـا حـرمةَ العـلا ... ومـن دونهـا حجـبٌ لهـا ودروب؟

---

(1) لم اقف على ترجمته فيما توفر لدي من مصادر.

(2) الأصل: تغضغض وهو تحريف، وقضق ضت العظام: صاتت عند كسرها.

الا إنما الأقدارُ جيشٌ خيوله	متونُ الليالي والسلاحُ خطوب
فطَعنٌ ولم يبرزْ له متنُ لَهذم	وضربٌ ولم يُستلّ منه قضيب
وإنْ امرءاً قد عاش بعد ابن احمدٍ	لجلدٌ على مضّ الزّمان صليب
دعته المنايا دعوةً فأجابها	وبالكره ما تدعو بنا فنُجيب [42/أ]
فلما نعى الناعي به طاشتْ النُهى	وخامرها خَبلٌ هناك عجيب
فكِدنا- ولم نملك عنان تشبثٍ-	نشك وقلنا غائبٌ سيؤوب
وإني به والمنتأى جِدُ نازحٍ	بعيدٌ على أنّ المزار قريب
ليبكِ عليه العلم والحِلم والحِجى	بأجفان شَجوٍ ماؤهن[1] غروب
فتى كان يقتادُ الأبيُّ فينثني	ويقتاده داعي الهدى فيُنيب
إذا ظلمات الخطب أبهمْنَ شابَها	برأي شباهُ في الخطوب خطيب
له سيفُ عزمٍ إن نضا حدُّه مضى	يفلُ حُسامَ الخطب وهو رسوب
اديبٌ اريبٌ قلّب القلبِ حازمٌ	فتىً، المعيُّ بالظنون مصيب[2]
فتىً يستخفُّ الدّهر وهو موقّرٌ	ويملأ افقَ الأرض وهو رَحيبُ
عزيزٌ علينا أن يحل بمستوى من	الأرض حيث المجد منه غريب [42/ب]
ويعتاضُ من لبس العلا لبسةَ	البلى وبردُ حَلاه بالثناء قَشيب
سَقى جدثاً قد حلّه وثوى به	حياً مستهلاً في رباه سَكوب
يخصُ به خِدن لدي معظمٌ	ويحيا به شخصٌ لديْ حبيبُ
ولا زال ريحانُ الإله ورَوحه	ينمُ على أرواحِه ويَطيب
أبا يونسٍ اجدبتَ معهدَ أنسنا	وعهدي به بالأمسِ وهو خَصيب
فكم مقلةٍ عَبرى عليك شجيةٍ	وكم كبدٍ حرّى عليك تذوب
أثابك بالحُسنى من الخير كلّه	[فالحُر] يجزى أهله ويثيب[3]
نعزّي بك الأعداءَ إذ ليس عندنا	لقلب وليٍ في العَزاء نصيب

---

(1) الأصل: "ما لهن" وهو تحريف ما أثبتناه، والغروب، عرق في العين يسقى لا ينقطع. ومسيل الدمع وانهلاله.

(2) [قلب القلب: البصير بتقليب الأمور].

(3) في أول عجز البيت كلمة مطموسة لعلها ما أثبتناه.

أما في الليالي عِبرة لذوي النُّهى   لها حسناتٌ عندنا وذُنوب
يَهبنَ رضاً منها ويسلُبنَ عنوةً   وأغربُ شيءٍ واهب وسلوب [43/أ]
أبا عمرٍ إن تكتئبْ فلمثلهِ   وإن تحتسبْه فالجزاءُ حسيبُ(1)
ومثلُك من يشجى فيرجع للتي   هي الدُّخرُ فيما نابه ويثوب

[36](2)

ذكر أن أبا بكر يحيى الجزار (عفا الله عنه) دخل قصر سرقسطة مع الجزارين في بعض أحوالهم، فأبصره الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي الاسرائيلي(3) فاعترضه بهذا البيت:

(من الوافر)

تركت الشّعر من قلة(5) الإصابه   وعُدت إلى التَّحرفِ(4) بالقصابه

فأجابه أبو بكر بهذه القصيدة:

---

(1) يبدو أن كنية المعزى ابن الوزير ابن يونس هي ابو عمر.

(2) هذه القصيدة مما تداولته المصادر الأندلسية، فاوردت بعض أبياتها ففي الذخيرة والمغرب ونفح الطيب: أن الحاجب ابن هود أمر الوزير أبا الفضل بن حسداي أن يوبخ يحيى هذا على رجوعه إلى الجزارة من بعد أدبه فخاطبه بأبيات، وفي زاد المسافر أن ابن حسداي كتب إليه بقصيدته فراجعه الجزار وفيما يلي تخريج القصيدة:
الذخيرة 3/ 2/ 905 ـ 906 أ ـ 4، 18، 15، 19، 26، 28، 54، 51، 59، 60.
زاد المسافر 140 ـ 141 أ ـ 4، 10، 15، 13، 11.
المغرب 2/ 445 أ ـ 4، 15، 19، 26 ـ 28.
نفح الطيب 4/ 152 ـ 153 أ، 2، 5، 3، 4، 6، 10، 15، 18، 19، 23، 24، 26 ـ 28.

(3) أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي، اسلم وعمل في بلاد المقتدر بن هود (438 ـ 474هـ) بسرقسطة، كان كاتباً شاعراً، أثنى على بلاغته، ابن خاقان وابن بسام، تتصل أخباره بالمستعين بالله سليمان بن هود (478هـ ـ 503 هـ)، جرت مراسلات بينه وبين ذي الوزارتين أبي عامر بن الفرج الذي كان وزيراً للمامون بن ذي النون في طليطلة (435 ـ 467هـ)، ينظر: القلائد 209 ـ 212، الذخيرة 3/ 457 ـ 494، الخريدة 2/ 480، المغرب 2/ 441، دول الطوائف 272، 285، أبو الحسن الحصري القيرواني 47.

(4) الذخيرة والمغرب: إلى الدناءه، النفح، وملت إلى، الزاد والنفح إلى التجارة.

(5) قلة بغير تضعيف ليستقيم الوزن وفي الذخيرة والمغرب من ضعف الزاد والنفح: من عدم.

تعـيب علــيَّ مألــوف القِــصابة ... ومــن لم يـدرِ قـدرَ الـشيء عابـه
ولـو أحكمـتَ مـنها بعـضَ فـنٍ ... لمـا اسـتبدلتَ مـنها بالحِجابـة
لعمــرُك لــو نظــرت إلــيَّ فــيها ... وحولي من بني كلبٍ عصابه[(1)] [43/ب]
لهالــكَ مـا رأيــتَ وقلــت: هــذا ... هزبــرٌ[(2)] صــيّر الأوضــامَ غابــه
ولــو تُـدري بهـا كَلفـى ووَجـدى ... علمـتَ عـلامَ تُحـتمل الـصَبابة[(3)]؟
لقــد شــهدتْ لــنا كلــبٌ وهــرٌ ... بــأن الجـد قـد حُـزنا لُـبابه[(4)]
إذا طلــع الولــيدَ لــنا رَضــيعاً ... رأيــتَ بــوجهه ســيما الــنُجابه
وإن بلــغَ الفِطــام فــذاك لــيثٌ ... هزبــر[(5)] كاســر للحــرب نابــه
إذا مــا نحــن نازَلــنا قبــيلاً ... رأيـت المـوتَ قـد أمـضى حـرابه
فتكــنا في بــني العَنــزيّ فــتكاً ... أقــرُّ الذعــرَ فــيهم والمهابــةَ
أبــدنا شِــيبهم ومتــى ظفِــرنا ... بغــرِ شــبٌ لم نــرحمْ شــبابه[(6)]
ولــولا نحــنُ لم تجـدِ المـنايا الـسـ ... ـبـيل[(7)] إلى بنــيها المُــستطابة
وهــل جمــلٌ بــدا إلا حَملْــنا ... عليه حملةً هتكتْ حجابه[(8)] [44/أ]
صــفعنا بالــشّفار قفــاه حتــى ... فَــريناه ومــزقنا إهابــه
ولم نقلــعْ عــن الــثوريّ حتــى ... مــزجنا بالــدّم القانــي لعابَــه

---

(1) الزاد: فانك بدل لعمرك وصدر البيت في الذخيرة والمغرب: أما ولو أطلعت علي يوماً وفي النفح: وإنك لو اطلعت علي يوماً.

(2) الزاد: منظري ولقلت. هزبر كسبحل ودرهم، الأسد الضخم (الجمع هزابر (ق)).

(3) الأصل: ولو تدري كلفى بها مع الإشارة إلى أن الصواب بها كلف وذلك بالحرفين (ق) أي قدم و(خ) أي أخر. النفح: احتمل الصبابه.

(4) النفح: وكم شهدت.

(5) هزبر تكرر شرحها: ضخم.

(6) الزاد: أبدنا شيخهم.

(7) الأصل: سبيلاً ولا يستقيم بها الوزن.

(8) الزاد: جمل يرى.

إذا ما لانَ عودُ الناس يوماً … وخرٌ فعُودنا فيه صلابه
نريقُ دماً ولا حَرجٌ علينا … ومن نقتله لا نخشى عِقابه
ويبرُز واحد منا لألفٍ … فيُفنيهم وتلك من الغرابه[1]
ومن يغترّ منهم بامتناعٍ … فإن إلى سَواطرنا إيابه[2]
بناءُ المجد لا شيد المباني … وجدّ السيف لا جد الكتابه[3]
ورثنا المجد عن قرمٍ فقرمٍ … فليس لغيرنا تُعزى نجابه
وحُزنا في الثقاوة كلَّ فنٍ … فليس بغيرنا تصبو ذُبابه[4]
أبا الفضل الوزير أجب ندائي … ففضلك[5] ضامنٌ عنك الإجابه[44/ ب]
وإصغاءً إلى شكوى شكورٍ … أطلتَ على قِصابته عِتابه[6]
جلاه الدهرُ بالأرجاء ظُلماً … وأنشبَ ظُفرَه فيه ونابه
لعمرُك ما تركتُ الشعر حتى … رأيت البُخلَ قد أمضى شهابه[7]
وحتى زرتُ مشتاقاً حميمي … فأظهرَ لي التجهُّم والكآبه[8]
وظن زيارتي لطِلاب نيلٍ … فنافرني وغلَّظ لي حِجابه[9]
وذو الهمم العليَّة من تجافي … وجنَّب كُلَّ من يبغي اجتنابه
لقد حجبَ الندى المألوف وجهاً … وحطّ اللؤم عن قصدٍ نِقابه
وصارَ الجودُ لفظاً دون معنى … وصِرنا بالمنى نرتادُ بابه
إذا ما قِيل هذا بحرُ جودٍ … وردتُ فلم أجد إلا سرابه

---

(1) النفح: فيغلبهم وذاك من الغرابه.
(2) الأصل: فإنا إلى وهو تحريف. وفي الذخيرة والمغرب والنفح: صوارمنا بدل سواطرنا.
(3) لعل الصواب وحد السيف.
(4) الأصل: (تصبوا) بإثبات الألف وهو خطا.
(5) النفح: وفضلك.
(6) النفح: على صناعته.
(7) الأصل: رأيت الشعر قد أورى شهابه. والتصحيح من الذخيرة، المغرب: قد أذكى شهابه النفح: قد أوصى صحابه.
(8) الذخيرة: حميماً المغرب: حبيباً النفح: خليلي الذخيرة والمغرب والنفح فابدى النفح لي التحيل.
(9) الذخيرة والمغرب وللنفح: لطلاب شيء. المغرب: وأغلظ لي.

وكـان الـشعر أحـسنُ مـا يحلّـى   بـه أهـل الـدّعارة والدُّعابـة [45/أ]
فـصار بـنوه عـند الـناس أدنـى   وأحقـرُ في العـيون مـن الـصُّوابه
إذا مـا شـئتَ أن تـشنأ فـنظِّم   قريـضاً والـتمس فـيه الإثابـه
ولمـا صـارَ أهـلُ الأرض طُـرًا   ذئابـاً صِـرتُ مفترسـاً ذئابـه[1]
فمـن لم أسـتمِله بالقـوافي   وكـان الـبخلُ بالمعـروض دابـه[2]
نـصبتَ للُـؤمه شَـرَكَ احتيالـي   وصِـدتُ لهـاه مـن بـاب القـصابه
ولا حـرجٌ علـى المـضطر في أن   يـصرِّف في تخلُّـصه خِلابـه
يـذلِّل لـي صـعابَ القـول طـبعٌ   جَعلـتُ إلى رياضـته انـتدابه
ويهتـز القَـريض إلـي عُجـباً   متـى أوجفـتُ في أحـدٍ ركابـه[3]
وهـل أحـدٌ بأمـضى فـيه مـني   وأنفـذَ سـهماً أو أقـوى إصـابه؟
متـى أمـدح أشِـدْ مجـداً أثـيلاً   يـد الأيام لا تُمضي خرابه [45/ب]
ولـو كـنتُ امـرأ بالـذّم يُغـرى   هَـرقتُ علـى مُـرقّقه صِـنابه
ولكنّـي شـئمتُ الـذّم حتـى   نَـضوت تكـرّماً عـني ثِـيابه
وربُّ الـشّعر مـا لم يـأسَ يـوماً   ويَجـرحْ لا تكـون لـه مَهابـه
وإذ أيقظـتني ونـدبتَ منـي   إلى قَـصد الـوَرى صَـعبَ الإنابـه[4]
فأنـتَ أحـق مُـسؤول بقَـصدي   وأفـضلُ مـن قَـرعت علـيه بَابـه
وقـد صـيَّرت مـا أشـكو كـتاباً   فـصيِّر مـا تجـود بـه جَـوابه
وإلا فُرضـةٌ مـنكم عَـسى أن   يقـال: لقـد مـلا يحيـى جِـرابه

[1] ذئاب في موضعيها بتسهيل الهمزة.

[2] دابة بتسهيل الهمزة.

[3] في البيت اقتباس من قوله تعالى، الحشر / 6 ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾.

[4] في البيت تضمين وهو أن يتعلق معناه بالبيت الذي يليه.

مـــن الأوشـــالِ لُـــجُّ البَحـــر طـــامٍ   وفـيضُ الـسيل[1] مـن نُقـط السّحابه
دعـــاكَ دعـــاءَ مُـــضطرِ غَـــريقٍ   ويـــــرجو أن دَعـــــوته مجابـــــه
إذا انـتُخبَ العظـيمُ لكَـشفِ جُلـى   وتبلـيغ المنـى كُـنت انـتخابه [46/أ]
ومـن تـكُ سَـهمَه الماضـي ويأمـلْ   بـك الغـرض الـذي يَهـوى، أصـابه
قـد اظلـمَ بالحَـوادث أفـقُ سَـعدي   فجـلٍّ بـشمس عـونِك لـي ضَـبابه[2]
وضـــاق بمـــا طـــواه الـــسّعد ذرعـــاً   فوسِّـــعْ بالـــذي أرجـــو جـــنابه
وصـــلْ رَحِـــم الـــتأدب بالأمَانـــي   فـــإن ذِمَامـــه أدنـــى قَـــرابه
تآلفـــنا علـــى نَـــسبٍ كَـــريم   فـــبابُ الـــشعر مـــن بـــابِ الكـــتابه
كتـــبتُ بـــه عَلـــيل الجـــسم نِـــضواً   وذو الأســـقام قـــد يعـــدو صَـــوابه
وموقـــفُ حـــشرِ نقـــدِ الـــشّعر صـــعبٌ   فيـــسِّرْ عـــند مـــوقفه حـــسابه[3]
وإغـــضاءً علـــيه فلـــيس صـــقرٌ   يجـــرُّ الـــصيدَ حـــيث يـــرى عِقابـــه

[37]

فلما دفع إليه هذه القصيدة كتب إليه يستنجزه:

(من الطويل)

أبا الفضلِ لا تُرتب بفضلك إنني   حفزتُك والمضطرُ يُعذر في الحَفز[46/ ب]
إذا كان للمرءِ التقدمُ رتبةً   ولا بد منه فالتّأخر عن عِجز
ولابد من هزٍّ الكريمِ لأنني   رأيت الحُسامَ العضبَ أمضى لدى الهز

---

(1) الذخيرة: "وفيض البحر".

(2) همزة اظلم للوصل لضرورة الوزن.

(3) في الذخيرة: "موقف حسن"، الأصل: "بعد الشعر".

4 ولو كان يستغني الكريمُ بطبعه عن الهزّ لاستغنى الجواد عن الهَمز

فكتب إليه أبو الفضل بن حسداي:

(من الطويل)

1 لعَمري لقد طبّقت في الشعر مِفصلاً أتيتُ به عَفواً وأقللت في الحز

سألطفُ في فروٍ من الحمد تُكتسي به يُقتضَى بالنتف طوراً وبالجزّ

3 فيؤخذُ من قوم بعطفٍ تودد ويؤخذ من قومٍ إن اعتاضَ بالزّزِ(1)

[38]

فكتب إليه أبو بكر الجزار يراجعه:

(من الطويل)

1 وإني لذو بزٍّ من الحمد طرزُه فمالي أراكَ اليوم تزهدُ في بَزّي

كأنك لم تكتبْ إليَّ مصرّحاً بلا لغزَ فيما خططت ولا رمز [47/أ]

سألطف في فَروٍ من الحَمد تكتَسي به يُقتضى بالنتف طَوراً وبالجَزْ

فيؤخذْ من قَومٍ بعَطفٍ تُودد ويؤخذْ من قوم إنْ اعتاض بالزز(2)

5 ولم يبقَ من يَعتاضُ غيرَك فاقضِ لي عليك فقد أخلقتُ وجهيَ بالجَمزِ(3)

وأقول الآن إن أبا بكر- رحمه الله- احتفل في قصيدته في القصابة وأبلغ، ووصل بها الغاية القصوى من الفصاحة وبلغ، ونزع فيها منزعاً رشيقاً نبيلاً، وسلك من الجد والهزل سبيلاً، ووصف فيها قِصابته، ومدح جماعته وعِصابته، ونعتهم بالبسالة والنّجابة، وفضل

---

(1) [الزز: الصفع].

(2) أعاد الجزار بيتي الوزير ابن حسداي اللذين جاءا في جوابه المتقدم آنفاً.

(3) [الجمز: ضرب من العدو، وجمز الرجل في الأرض، ذهب].

صناعتهم على الحجابة، فطوراً يمدحهم ويذمهم تارة، وآنة تصريحاً، وآونة إشارة، ففي بيت يصفهم بطهارة الجلباب [47/ب]، وفي آخر يجعلهم مقراً للذباب، وفي ثالث ينشر لهم محاسن في الناس، ويصفهم بالقذارة والأدناس.

وهذه نهاية البليغ المشحوذ الفكر، وغاية الأديب الكثير الذكر، أن يمدح ويذم معاً إذا شاء، ويجيد السبك والإنشاء، ويُنشي للكامل من النقصان صورة، ويدع المحاسن (على الخسيس)[1] موقوفة مقصورة.

وهذا أمرٌ عسير الاطراد، إلا على المهرة الأفراد.

[39]

وله- رحمه الله- إلى بعض إخوانه يصبره على ما دهاه:

(من الوافر)

1 عوائدُ هذه الدنيا ضُروب ... يحملُ عبأها الفَطِن اللبيب
وللأيام طبعٌ مستحيل ... فلا دعةٌ تدومُ ولا لغوبُ
فلا تفرحْ إذا دنتِ الأماني ... ولا تحزنْ إذا دَهتْ الخطوب [48/أ]
فغايةُ كلِّ عاصفةٍ سكونٌ ... وغايةُ كلِّ ساكنةٍ هبوب
5 ومن عَرفَ الزّمان يكنْ سواءً ... لديه القارُ والحلو الشّنيب
وما نبغيه من زمنٍ لئيم ... أخو الكرمِ الصريحِ به مَعيب
يصابُ لفضله ذو الفضل فيه ... فيُخفيه كما تُخفى العُيوب
8 يخلصكَ المهيمنُ من أذاه ... فلي مما دُهيت به نصيب

[40]

وله رحمه الله: (من الطويل)

1 وكم ليلةٍ أحلى من الأمن بتّها ... نديمي بدرٌ والرحيق رُضاب
سريتُ إليه والسّماء كأنها ... غديرٌ له زهر النجوم حَباب

---

[1] زيادة من الحاشية.

وشهبُ الدَّراري تخفِق الجو والدُّجى   كما اشتجرتْ يوم الهياج حِراب[1]
وقد مالت الجوزاءُ غرباً وأوجفتْ   لطعنِ الدجا خيلٌ وزُمَّ ركاب[48/ ب]
كأنَّ طُلوعَ الشّعريين بإثرها   رقيبٌ بإحدى مُقلتيه مصابُ
وسلتْ يد الإصباح مرهفَ فجره   فذلّت رقابُ اللّيل وهي صعاب
وقلصتْ الظلماءُ وارتاع سِربها   كما طارَ عن بيضٍ أكنَّ غراب

[41]

وله رحمه الله   (من الطويل)

عَسى وطن أودى بألفتنا شحَطا   يقرّبنا زُلفى ويَنظمنا سِمطا
لأسرعُ ما أمضى التّفرق سهمه   فأصمى فؤادَ القرب منا وما أخطأ
ووصلتُكم كانتْ من الدّهر مِنحةً   فما باله اليَوم استردّ الذي أعطى
الا ليتَ شِعري هل يُرى بعدُ ساعِاً   بعهدِ تصاب كنتُ في عِقده وُسطى
وهل يُسعِفني فيك يَوماً بأوبةٍ   يضيءُ بها أرجاءَ شيقرْ والشّطا[2]
أتذكر كَمْ من طيبةٍ أثر طِيبةٍ   سَحبنا لها في قُتنيط[3] العُلا مِرطا [49/ أ]
وكم فَتكةٍ للراحِ جازَتْ بنا المَدى   بحيثُ وشيجُ الحُبِّ والأثلِ والأرطى[4]
ومَقصبةٍ تهفو الرّياحُ فتنثنى   فتَحسبها تحتَ الرّياحُ قَنا خَطّا
وجدول ماءٍ كالمجرّةِ أسبغتْ   بحَافاتها الأنواءُ من نَسجها بَسطا
صَفا ماؤه حتى كأنَّ انصبابه   حسامٌ إذا يُستلّ أو حيّة رَقطا
كأنَّ نثيرَ النُّور تحت يَدِ الصّبا   فصوصُ مها أو لؤلؤٌ أعوز السّمطا[5]

---

(1) الأصل يوم الحراب هياج وهو وهم من الناسخ بتقديم وتأخير.

(2) شيقر نهر يخرج من ارض جليقية، تقوم عليه مدينة لاردة إحدى مدن الثغر الأعلى، ومنه تلتقط شذرات الذهب، الروض المعطار 507.

(3) الراجح فيها أنها اسم موضع في الأندلس، لم أقف عليه فيما توفر لدى من مصادر.

(4) الوشيج: شجر الرماح واشتباك القرابة، الأثل: شجر واحدته أثلة، الأرطى: شجر نوره كنور الخلاف، وثمره كالعناب مرّة تاكلها الإبل الواحدة أرطاة والألف للإلحاق (ق).

(5) [المها جمع مهاه وهي البلّورة].

إذا ما الرّياح الهُوج نثرنَ عِقدَه	ظَللنا نُفدّيه ونلقِطه لَقطاً(1)
فيالكَ مَرأى ما أسرَّ لناظر	ويالكَ فَرشاً ما أجدّ وما أوطا
بساتينُ بزّت حُسنَ جنةِ مأرب	لذيذٌ حلاها ليس أثلاً ولا خمطا(2)
وأربعُ عُرفٍ لم يُشنها بمنكرٍ	ولم تسمعِ الآذان منها بها لَغطا
لو أنّ امرأ القيس بن حجر يَحلُّها	لأقصرَ عن أن يذكر الجزعَ والسِّقطا(3)[49/ب]
وعذراءُ دنٍ بنتِ تسعين حِجة	بذلنا لها الأرواحَ في مَهرها شَرطاً
أقمنا بها سُوق التّصابي فما وَنَت	تُردّ البَنان الجَعد من يَومها سِبْطا
ومِلنا إلى خَلع العِذار فما وَنَت	أطافَ بها ذو العَذل فيها لنا ضَبطا
تطوف بها غُصينةُ القدِّ كاعبٌ	لها مقلةٌ كالخَمر سَطوةً أو أسْطى(4)
وخدٍ كمثل البدر ليلةَ تمه	تُخال سَواد الخال في صَفحه نُقطا
وساقٍ شكا الخِلخالَ ضيقاً كما شكت	معاصمُها شحّ السِّوار لها ضَغطا
وفرعٍ يغشّي المتنَ أسود فاحمٍ	تُضِل المُداريَ في غدائره مَشطا(5)
إلى مِثلها يَصبو الذي كانَ صَابياً	وإلا فما وفّى الصِّبا في الهَوى قِسطا
ودونَكها عَذراء أحكمتُ سَردها	وقلدتُ آذانَ القوافي بها قِرطا(6)
وإني وإن أهديتها بحترية	كمُهد إلى صنعاء من وشيها مِرطا [50/أ]
وعُذراً لتأخير الجَواب فإنني	ضَعفتُ فلا قَبضاً أطقتُ ولا بَسطا
تولى عليَّ السُّقم عاماً فحطّني	على رَغم أنفي عن جلى(7) صِحى حِطا

(1) الهوج: الشديدة.

(2) بزت: غلبت ومأرب: موضع باليمن. الخمط: المرّ من كل شيء وكل نبت أخذ طعماً من مرارة (ق).

(3) الجزع والسقط: اسم موضعين ذكرهما امرؤ القيس في شعره، [ديوانه 8، 88، 201].

(4) بتخفيف همزة أو الأصل: سطوة بالتاء ولا يستقيم بها الوزن.

(5) في صدر البيت تضمين لبيت امرئ القيس (ديوانه ص16) الذي عجزه: أثيث كقنو النخلة المتعثكل.

(6) الأصل: ودونها وهو تحريف صوابه ما أثبتناه.

(7) [الجدية، القطعة المحشوة تحت السرج والرجل].

وطالتْ مُعاناة الأساةِ وكلّهم   عَم خابطٌ عشواءَ في عِلّتي خَبطا
فهذا يَراها علةً دمويةً   وهذا يراها مرةً خالطتْ خِلْطا
يعانيك هذا ثم إن سِيلَ غيره   يقول- وإن كان المُصيب- لقد أخطا
فلو أبصرتْ عيناكَ لونيَ أغبراً   ورونَقَ وجهي قد تغيّرَ وانحطا[1]
ورَأسيَ قد شَابت ذوائبُ ليله   ولاحَ صباحُ الشّيب في جنحه وخطا
لأبصرتَ من مَرآيَ خلقاً مشوّهاً   وأنكرتَ من مرآيَ أنزعَ مُشمَطا
إلى اللهِ اشكوا ما دَهاني فقد عَدا   وأساله تعجيل بُرءٍ فقد أبطا
ولما تُراخى عَهدُ أُنسِ خِطابكم   ونكرتِ الدّنيا معارفَه شَحْطا[50/ ب]
تُطلعتُ من أفقي أشيمُ بُروقه   وذِبتُ اشتياقاً إن تجشّمَ لي خَطا
لعلك أن تُحيي به نفسَ شيّقٍ   كما أحيتِ الأمطار أرضاً بَدَتْ قَحطا

[42]

وله رحمه الله: (من الطويل)

وعاطلةٍ حَلّيتُ بالجدِ جِيدها   ونظّمتُ من دُرِّ الحَباب لها سِمطا
أدرتُ حُميّاها على الشّرب والدّجا   بأنجمِه حالٍ كزنجيةٍ شَمْطا
تخيّر من دُرّ الكَواكب عِقدَه   وخَصّ من الشّعْرى العَبور له وُسطى
ومالتْ إلى الغَرب الثّريا كأنّما   تُقلّدُ أذنَ اللّيل من شكلها قُرطا
أقمتُ على اللّذات فيها مُساعداً   ووفّيت ريعانَ الشّباب بها قِسطا
ودارتْ كؤوس الرّاح حتى تُركتني   غَريقاً ببحرِ السّكر لا أبصر الشّطا[51/أ]

(1) في البيت تضمين، وهو أن يتعلق معناه بالذي يليه، وقد صرف الممنوع من الصرف (اغبر) لضرورة الوزن.

أُغنّي ولا أُذُنٌ تعي نغمَ الغِنا   وأسقى فلا أسطيعُ قَبضاً ولا بَسطا

[43]

وله رحمه الله:

(من البسيط)

يا مجهدَ النّفس في نَيل المُنى طمعاً   الجدُّ يُجديك، ليس المالُ يا رجل
إني تلوّنت للدّنيا تلوّنها   واختلتُ دَهري فما أجدتني الحِيل
وليسَ يَحظى بسَعد المُشترى أبداً   من ليسَ مُنتقلاً عن بُرجه زُحل
ولا تُنال بغيرِ الجِد مَأربةٌ   لا يقطعُ السّيف ما لا يَسبقُ الأجل
في قِصّتي عَجَبٌ فاسمعْ إليّ فما   أتتْ بمثلِ حديثي الأعصر الأول
رأيتُ قَوماً بنظم الشّعر قد وَصلوا   إلى المُنى وأُنيلوا فوقَ ما سَألوا
فقلتُ: ما ليَ لم أسلك سبيلهم؟   أليسَ بي في القوافي يُضربُ المثل؟
لو أنّ نظمَ غريبِ الشّعر معركةٌ   ما كان غيريَ فيه الفارسُ البطل[51/ب]
كم بالقِصابة لا أنفكّ في سَغَبٍ   وفي المدائحِ عنها للفتى حِول
وسوّلت ليَ نفسي أن أقومَ بها   وطشتُ والطّيش مَقرونٌ به الزّلل
حتى إذا حكتُ أثوابَ المديح إذا   يجودُ لابسها قَولٌ ولا عمل
فقلتُ واليأس مستولٍ على أملي: ما كلّ ذي أملٍ يَصفو له الأمل
لما بدا لي أنّ الشّعر مَسغبةٌ   وحظُّ ناظمه الحِرمان والبُخل
عَدِلت عنه وقلت: الموتُ أيسر من   تسآل قوم إذا اما استُمنحوا بخلوا
حسبي القِصابة لا أبغي بها بدلاً   من قرّ بالشيء عَيناً عزّهُ البَدل
وكان عَهدي بها غَرّاءَ واصلةً   إذا بها فاركٌ تجفو ولا تصل
فكنتُ مثل المُباري زَوجه فركاً   وشرّ خيم الرّجال العُذر والمَلل
حتى إذا ما استبانتْ عنه واتّصلت   بغيره وبدا من رأيه الخطَل [52/أ]

أبدى إليها ضُروباً من محبَّتها   وفي جوانحها من بغضه جمل
فظلّ يُدمنُ قرعَ السن من ندمٍ   آيان لا ندم يُجدي ولا حِيل
أو كالغُراب رأى من جوه حَجلاً   فقال: قد بزّني في مشيه الحجَل
ثم انبرَى حسداً منه ليحكِيها   في المشي والطّبع شيء ليس ينتقل
لما تيقّن أن الأمرَ يعوزُه   وأن ذلك شيءٌ ما به قِبل
رأى الرجوعَ إلى معهود مِشيته   أولى به فإذا في مشيه خَبَل
فلا إلى مشيه المعهودِ عاد ولا   نال المرادَ وبانَ العجز والكسل
وإنني مثلُه وافقته سَفَهاً   في الراي لامَيْنَ في قولي ولا خَطَل
لا بالقِصابة استولي على أملي   ولا بشعري إلى نيلِ المنى أصل
مذبذبٌ غيرُ حاظٍ في سبيلهما   مثل النعامة لا طيرٌ ولا جمل[52/ ب]

[44]

وله رحمه الله يرد على ابن غرسية[1] في تفضيله العجم على العرب:

(من البسيط)

يا مفتياً بانتقاضِ الشَرع أعصاراً   إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا[2]
أو كنتَ سيلاً فقد لُقّيت ذا لُججٍ   مُغطمَطاً طامح الأمواج زخّارا[3]
إن رُمتَ وقعَ عِتابٍ منه منبثِقٍ   لاقيتَ من مدّه الوقّاع تيّارا

(1) ابن غرسية، هو أبو عامر احمد بن غرسية، قال الحجازي: من عجائب دهره، وغرائب عصره .. وهو من أبناء النصارى البشكنس، سبى صغيراً، وادبه مجاهد .. المغرب 2/ 406، وفي الرد على رسالته كتبت رسائل كثيرة، أورد له ابن بسام بعضها في ذخيرته 3/ 315، 722، 746، وكذلك أورد الرسالة، وجاءت في نوادر المخطوطات 1/ 234 وترجمت مع الردود إلى الإنكليزية، كليفورنيا 1970، وينظر كذلك المغرب 2/ 355، الذخيرة 3/ 704 هامش 4.

(2) في عجز البيت تضمين للمثل المشهور: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً المستقصى 1/ 373، والأعصار الأولى جمع عصر وهو الدهر.

(3) [الغطمطة: اضطراب موج البحر].

طُوفانه- إن طما- لم يُبقِ فائضه   من شيعةِ الكفر فوق الأرض ديّارا[1]
كفاجرٍ منهم في أرض دانيةٍ   قد أظهرَ الكفر فيها اليومَ إظهارا
يا للحنيفيّ ممّا حلّ ما لكم   لا تُنكرون خلاف الشّرع إنكارا
هذا ابن غرسيةٍ من لاردةٌ لِهجٌ   بكل كفرٍ صريحٍ يُوردِ النّارا[2]
ولا مقامَ على هذا لمحتسبٍ   يقوم لله إعلاناً وإسرارا [53/أ]
فحذروا الناس من روميٍّ مذهبه   ولا يُرى أحدٌ منكم له جارى
إنا نرى الآن هذا الدّين نخذِله   ولحنُ كنّا له من قبلُ أنصارا

[45]

وله رحمه الله:

(من الوافر)

أرومُ الجود من زمنٍ شحيحٍ   وصعبُ الروم توقيفُ الجموح[3]
وأطمحُ للمعالي واللّيالي   تقصّر باعَ همتي الطموح
وقد قصُرت خطا الخُطيِّ عما   أؤمله فكيف خطا المديح
زمانٌ أقصرَ الأيام فيه   كأطولِ ما حكوا عن عمرِ نُوحْ
يشيبُ لهوله الولدانُ ذعراً   ويحسد حيّهُ من في الضريح[4]
لقد شمل الأذى والذّعر حتى   يهز الطودَ منا كلّ ريح

---

(1) في البيت اقتباس إشاري من قوله تعالى في سورة نوح (22): ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.

(2) لاردة من قواعد الثغر الأعلى، وكانت عاصمته سرقسطة، وتقع لاردة إلى الشمال الشرقي من افراغة، وغربي ثغر برشلونة، على بعد 150كم، وقد بقيت بايدي المسلمين حتى سنة 544هـ، وتولاها يوسف ثم أخوه أحمد المقتدر، الروض المعطار 507، الآثار الأندلسية الباقية، عنان ص 114. وقد ابن غرسية جاء مصروفاً للضرورة الشعرية.

(3) الأصل: أاروم بهمزتين ولا يستقيم بها الوزن.

(4) في صدر البيت اقتباس إشاري من قوله تعالى (المزمل 17): ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ وفي العجز تضمين لمعنى الحديث الشريف (البخاري ـ الفتن 22، 25).

فما أشكو لمن أشكوه إلا   كما يشكو الصّحيح إلى الجريح[53/ ب]
ولا خَلَقٌ يقاسمني همومي   فأشكوهن شكوى مستريح
فزُرْ يا موتُ أو يا نفس فِيظي   والا تعتدي للموت روحي[1]
إذا ما العيشُ قادَ إليك ذلاً   فإنّ العزّ في الموت المريح
إلى كم أنتقي دررَ المعاني   أقلّدها تماثيلاً[2] بروحي
والقى كلّ مذموم المساعي   مريضَ العَقل بالأمل الصحيح
ولا جزعٌ وإن كَلُبتْ وعضّت   خطوبَ الدهر والزمنُ الجميح
فقد تأتي البوارحُ بالأماني   ويكذبُ زجرُ طائرها السنيح
وما يأتي القضاء على قياسٍ   فيبأسَ من صلاحٍ أو صلوح

ووعد شاعراً بشيء ومطله فكتب إليه الشاعر يعاتبه على مطله: [54/أ]

(من الكامل)

1 فإذا وعدتَ وقلت في شيء: نَعمْ   لا تُخلِفنّ فعن خلافك تُسأل
وإذا ذهبتَ إلى مخالفة فقل: لا أولاً، فمقال لائك أجملُ
3 يا صفوتي من أهل ودّي كلّهم   ما لي أراك تقول ما لا تفعل؟

[46]

فكتب إليه الجزار رحمه الله:

(من الكامل)

1 في سُورة الشعراء عُذري واضح   وكفى بما نصّ الكتاب المُنزل[1]

---

(1) فاظت نفسه: بالظاء يعني مات.

(2) صرف الشاعر الممنوع من الصرف (تماثيلاً) لضرورة الوزن.

لكنْ أراك إلى المَلامة جانحاً ... ولربَّ عذرٍ واضح لا يُقبل

3 تُبغي ليفعَلَ شاعرٌ ما قاله ... والله قال: يقول ما لا يَفعل

[47]

وبات ليلةً من الليالي بحصن (بيتُول)[2] من عمل سرقسطة فتألم طول ليله من كثرة البراغيث، وتوجع وما أغفى به ساعة واحدة ولا هجع فقال مرتجلاً: [54/ ب]

(من الطويل)

1 لحا الله بيتولَ الدّنية إنها ... بها يستزيد الحزن والفرح ينقص

لقد بتُّ فيها ليلةً أيَّ ليلةٍ ... وبرغوثها حولي من الفرح يرقص

3 كأن فراشي تحت جنبيَّ طاجنٍ ... وزَريعةُ الكتّان فيه تُحمص[3]

[48]

وله رحمه الله:

(من الكامل)

1 الناس فرعٌ من أروم واحدٍ ... فالفخرُ بالأحساب كالهَذيان

كم من حسيبٍ حطّ مجد جُدوده ... فوَهى وكان موطّد البُنيان

3 من لم يكنْ حسَبٌ له من نفسه ... فهو الوضيعُ وإن غدا ابنَ فلان

---

(1) يشير الشاعر إلى قوله تعالى (الشعراء 224 ـ 227): ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ... الآية﴾، وقد اورد جزءاً من الآية بغير نصه، في آخر البيت.

(2) لم أعثر في الكتب البلدانية المتوفرة على اسم هذا الحصن، ويبدو انه حصن صغير، غير ذي أهمية وفي المقتبس 434 لابن حيان ورد اسم حصن برتيل عاصم فلعلهما حصن واد، ورد ذكر هذا الحصن ضمن صائفة قام بها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 327 بدأ الصائفة من طليطلة واقتحم بعساكره أرض العدو فجال فيها أياماً من محله إلى أخرى إلى أن احتل على مدمة (كذا) .. ثم انتقل منها إلى حصن أشكر، ومنها إلى القصرين ومنها إلى المحلة، ومنها إلى حصن برتيل عاصم .. وفي المن بالإمامة ص 511 بنيول، إلا أنها ذكرت في أعمال بلنسية.

(3) [الطاجن كصاحب، المقلاة].

[49]

وله رحمه الله:

(من مجزوء الرمل)

نزِّه الحكمةَ عمن سمعهُ ليس يعيها
خيرُ ما يُجلب للأسـ ـواق ما ينفق فيها [55/أ]

[50]

وله رحمه الله:

(من الكامل)

المرء تحت تصرّف الأقدار لا يدفعُ المحذورَ طول حِذار
والناس أطوارٌ، وشتّى سعيُهم والكلّ بين مداريءٍ ومداري
والغدرُ من شيم الزّمان، وقلّما يُرجى وفاءُ الخائِن الغدّار
لم يحلُ، إلا أعقبتْ أيامُه من لذةِ الإحلاء بالإمرار
فصفاؤهُ كدِر، وحلوُ مذاقِه مرٌّ، وجرحُ يَديه غيرُ جُبار
ومن المحال مرامُ نقلِ طباعهِ لا يستحيل القطرُ صفوَ نُضار
والمبتغي منه الوفاءَ، كطالبٍ ماءاً قُراحاً في سرابِ قِفار
يا من يفرُّ من القضاء بنفسه هيهاتَ، من لمقيدٍ بفَرار
تبغي النجاةَ لها من الدنيا، وهل ينجو قنيصٌ، من مخالبِ ضاري[55/ب]
سر حيث شئتَ وكيف شئتَ فإنما تُطوى المراحلُ في يد الأقدار
اتفِرُّ مذعوراً، كأنّك خالدٌ وكأنّ ثوبَ العُمر، غيرُ معار
وتواصلُ الأمر البعيدَ كأن عُمـ ـرك نام عنه قاطِع الأعمار
من فرَّ من قدرٍ فليس فِراره إلا على قدر عليه جاري
أزمعتَ حجاً دونه لججٌ طمتْ وتركت حجّك عند باب الدار
وجعلتَ سعيك ظاهراً لله كي يَخفى وهل يخفى ضياءُ نهار

ويئست من فرجٍ وخير عاجل ... كالممتري في قُدرة الجبّار
فلئنْ حججتَ، فلابتغاء سلامةٍ ... تُنجيك، لا للواحد القهّار
هيهات سرُّك، عند من لا يَختفي ... عن علمه شيءٌ من الأسرار
لا أبتغي بعد المواطن عِيشة ... تركُ المواطن محنةُ الأحرار [56/أ]
والبحرُ أصعبُ ميتةً لغريقه ... من ميتةٍ بعواملٍ وشفار
وأحق من نال الشهادة مقصد ... بالمشرفية والقنا الخطار
أو ليس أفضلُ ان اموتَ مجاهداً ... من أنْ اموتَ لُقىً غريقَ بحار
لا تيأسنْ وإن تصعَّبت المنى ... فالصعب قد يُرتاضُ بعد نِفار
قد تصغرُ الأشياءُ وهي كبيرةٌ ... وتهونُ وهي عظيمةُ المقدار
ما كلُّ ما يُخشى ويرجى واقعٌ ... حال القضا بين السُّرى والسُّاري[1]
قد يفلتُ المقدامُ من شرَك الوغى ... وتفيظُ فيه مهجةُ الفرّار[2]
كم آملٍ أملاً قريباً نيلُه ... قطعَ الحِمام به عن الأوطار
ما كلُّ ذي أملٍ ينال مرادَه ... غلبَ القضاء إرادةَ المختار
قد خطّتْ الأقلام ما هو كائنٌ ... وجرى بما سبق، القضاءُ الجاري[56/ب]
والله يحكمُ لا مردّ لحكمه ... ومن المحال دفاعُ حكمُ الباري
ليس النعيمُ ولا الشقاء بدائمٍ ... لا بدَّ للإقبال من إدبار
الصبرُ أجملُ في الأمور عواقباً ... لا خيرَ في متخوّفٍ خوّار
سلِّم إلى الأقدارِ أمرَك تسترحْ ... ما كلُّ مطلوبٍ يُنال بثار
وارج الأمور إذا تناهى ضيقها ... إن التناهي أول الإقصار
كم من مخوفٍ لا قرار وراءه ... أفضى إلى أمنٍ وحُسن قرار

---

(1) الأصل: ألفضا وهو تصحيف القضا.

(2) بالأصل: وتفيض بالضاد وما أثبتناه أولى، وفاظت مهجته بالظاء: يعني مات.

قال هذه القصيدة في رجلٍ رحل من سرقسطة فاراً منها حذاراً من العدو، وأظهر في فراره المسير إلى الحج، فلما أبصر البحر جزع وانصرف.

[51]

وله رحمه الله يمدح الفقيه المشاور أبا الوليد[1] من أهل سرقسطة: [57/أ]

(من الكامل)

يَسعى الحريصُ ورزقه مقسومُ ... والحرصُ مرتعُه الخَصيب وخيمُ
لو نال بالحَزم أمرؤ حظّ الغنى ... ماتَ الفتى الكسلانُ وهو عَديم
سبقَ القَضاء بكلّ ما هو كائن ... فمن النّهى التفويضُ والتّسليم
قد قسّم الأرزاق بين عبادِهِ ... ربٌّ رؤوف بالعباد رحيم
حِرص الفتى سَببٌ إلى حِرمانه ... وطلابُه ما ليسَ يُدرك شُوم
ما بالُ دنياي الدّنية لم تُقِم ... أودي، أكلُّ مفوَّهٍ محروم
نُوديت واحدها ورُخمتِ المُنى ... بئسَ النّداء وراءَه الترخيم
قدَرٌ عن الآمال أصبحَ مُقعِدي ... ومن المقادرِ مُقعَدٌ ومقيم
لا تجزعي يا نفسُ إن خطبٌ عدا ... فالحرّ يعثرُ تارةً ويقوم
ليسَ العجيب بأن غيري راضعٌ ... ثدي المرادِ وأنني مفطومُ [57/ب]
فكذا الزّمان بأهله متقلّب ... لا البؤسُ فيه ولا النعيمُ يدوم
إن الفقيه أبا الوليدْ المنتقى ... وزرٌ كفيل بالمراد زعيم
لولا سلوكُ يمينه سُبلَ الندى ... درستْ ولم يُعلمْ لهن رسوم
يا أيها المحرومُ مأمولَ المنى ... أجهلتَ أن عطاءه مَحتوم

[1] في الذيل والتكملة 4/ 71 رقم 172 ترجمة لأبي الوليد سليمان بن عبد الله ابن محمد حفصيل الأسدي، سرقسطي من آل حفص بن سليمان القارئ، صاحب عاصم الكوفي، ولي قضاء بلده، بعد تغلب ا لروم عليه، وكان فقيهاً أديباً شاعراً فلعله هو الممدوح في القصيدة.

لا تُعدُّ لقياهُ وزُره مسلّماً ... فلقاؤه يكفيكَ والتّسليم
وأنِخْ بباب رِحابه بُدن[1] الرَّجا ... ءِ ولا تُخِم فالجُود فيه خِيم
أضفى الوَقار عليه حلّة هيبةٍ ... تطريزها التبجيل والتعظيم
متواضعٌ في رِفعة ذي همةٍ ... تسمو إلى كسبِ العَلا وتَهيم
هممٌ سمَت رُتبَ العلا حتى غدَتْ ... وكأنها فوق النُّجوم نُجوم
متوقدُ الآراء يقظانُ النُّهى ... طِبٌّ بأدواءِ الزّمان عليم [58/ ب]
حلوٌ ومرٌّ للمريب مذاقُه ... كالدّهر فيه شَقاوةٌ ونَعيم
شاد العُلا بيدِ العَطاء فمجده ... عالي البناءِ وغيره مهدوم[2]
من معشرٍ ما زالَ في أموالهم ... حقّ لمن يَرجوهم معلومُ
الفَضل فيه وفي ذويه لم يزلْ ... منه حديثٌ فيهمُ وقديم
لله منه أيُّ فارسُ مقول ... يَعنو له المنثورُ والمنظَوم
ماضٍ أقام منارَ كلّ فضيلةٍ ... وأسال سيلَ الجودِ وهو عَريم
وفقيهُ شورى إن تعرَّض مُشكلٌ ... جَلّى دُجى الإشكال وهو عديم
ضَافي الذّيول من السّكينة والتُّقى ... يقظانُ مأمونُ الجِهات سَليم
متبرّع ببلاغةٍ وفصاحةٍ ... تعنو إليها يعربٌ وتميم [58/ ب]
قد شدّ أزرَ المأثرات كما ترى ... شدُّ البناءِ الواهيَ التّدعيمُ
عَقِم الزّمان عن أن يجيء بمثله ... إن الزّمان بمثلِه لعقيم
يا من يُؤنبه على صِلةِ النّدى ... أعلمتَ من في المكرمات تَلوم
هيهاتَ نقلُ الصّخر أعسرُ مطلباً ... أن يَستحيل عن العَطاءِ كريم[3]
ليس ابتذالُ المالِ يُفنيه، ولا ... يُبقيه في كفّ اللّئيم اللّوم[4]

(1) الأصل بَذل محرفة والصواب ما أثبتناه.
(2) الأصل وَمجده مهدوم وهو تحريف ما أثبتناه.
(3) الأصل أن يستحل وهو تحريف.
(4) الأصل: يغنيه ولا وهو تحريف ما أثبتناه.

حَسب الكـريمِ مَحامدٌ تبقى لـه   وكفـى اللّئـيم بأنـه مَذمـوم
لما رأيـت سَـماءُ جـودك زُيِّـنت   جوم جودٍ بنجوم جود نوؤها مسجوم
أرسـلتُ شـيطانَ افـتقاري سـامعاً   فلعلـه بـشهابها مـرجوم

[52]

وله رحمه الله يمدح ذا الوزارتين (أبا الأصبغ ابن الإمام) رحمه الله تعالى: [59/أ]

(من الوافر)

ألمّ خـيالُ مَـيَّةَ عـن لِمـام   بـنارِ مُنـى فحـيّا بالـسَّلام
وذكّـرنا بجانـبِ ذي طُلـوحٍ   زمـانُ الوَصـل في تلـكَ الخِـيام
وأيامـا لـنا بِلـوى أريـك   نُعِمـنا في مراسِـمها الوُسـام
بكـلّ خَـريدةٍ حَـسناءَ رَودٍ   خلـوبِ اللحـظ مُـرهفة القُـوام
عَجِـبت لطـيفها أنـى تُهـدّى   إلـينا طاويـاً تلـك المَوَامـي(1)
وكـيف على السّرى اجترأتْ وعَهدي   بهـا تُـرتاعُ مـن ظِـلّ القُـوام
سَـرَت ونواظـر الـرُّقباء رُمـدٌ   وعـينُ الدّهـر ريّـا بالمَـنام
وقـد لَبِـستْ نُجـوم الجـو بُـرداً   أجـادت صِـبغه أيـدي الظّـلام
كـأنّ زبـرجدَ الخَـضراء روضٌ   تفـتّح عـن بَهـارٍ في كِمـامِ
كـأن الـبَدر فـيه أمـير قـومٍ   سرى منهن في جيشٍ لُهام [59/ب]
يـبثُّ جـنودَه شَـرقاً وغـرباً   وقـد بعـثَ الطّلائـع مـن أمـام
تكـشّف عـن ضَـمير اللّـيل سِـراً   سـيعجله الـصّباح عـن اكتـتام
كـأن الفَـرقدين إذا اسـتكنا   حَبيـبان اسـتكانا للغـرام
كـأن سُـهيلها رَجـلٌ مـروعٌ   تـوجّس خـيفةً مـن ذي انـتقام
كـأن خُفـوقه قلـبُ المُعنـى   تـشكّى مـا يلاقـى مـن هِـيام

---

(1) الأصل: المُوامَ بإسقاط الياء، والصواب إثباتها لعدم التنوين، وهي جمع موماة: الصحراء.

كأن تبرّج الشّعرى خليعٌ   من الفتيات واضعةُ اللّثام
كأن بناتِ نعشٍ إذ تبدّت   حوائمُ حول منهلِها ظوامي
كأن سُهى النجوم بها عليل   ينازعُ ما يبينُ من السّقام
كأن الحوتَ- حين بدا- غريقٌ   بآذيٍّ من الأمواجِ طَام
كأن كواكبَ الجَوزاء فيها   وشاحٌ فصلوه شذور شام [60/أ]
كأن النّجم عِقدٌ صارَ نثراً   فألف كي يعادَ إلى نظام
كأنّ الصّبح حين أظل مَلكٌ   أشارَ إلى عَدوٍ بالحسام
كأن مواكبَ الظّلماء سِرب   من الغِربانِ ينفرُ من حمام
كأن ذرورَ قِرن الشّمس حُسنا   وإشراقاً مُحيّا ابن الإمام
أخو الهِمم العليّة والخِلال السـ   ـسنية والسّجياتِ السّوامي(1)
قديرٌ همهُ صَون المعاني   وبذلُ النّفس في القُحم العظام
كريمُ الخِيم مَعسول السجايا   وريُّ الزّندِ ماضي الاعتزام
كِلا يوميه في جودٍ وبأسٍ   حميدُ السعي مرضيّ المقام
يجود بماله جُودَ الكرام   ويمنعُ عِرضَه منعَ اللئام
يرى حفظَ الذّمام عليه حقاً   وتضييعَ الذّمام من الحَرام [60/ ب]
ومن تكن الوزارة فيه ضَلّت   هَداهُ سَبيلها أهدى إمام
رآه المُستعين لها فوافى   به منها على أعلى السّنام
وملّكه أزمّتَها وألقى   إليه بالمقاودِ والخِطام
حوى قصبَ العُلا كسباً وارثاً   عن آباءٍ جَحاجِحةٍ كرام
غدَوا قطبَ الرّياسة منذ كانوا   وفرسانَ المنابرِ والكَلام
أباحوا من حِمى الأعداء قِدماً   حَريماً كان ممتنعَ المَرام

(1) آخوا بإثبات الألف، وهو خطأ. الأصل: السوام بحذف الياء.

وحلّوا من ذُرى سِطة المَعَالي   سماءَ الفَخر من أبناء سام[1]
ونالوا بالصّفائح والعَوالي   مَساميَ لا يُدانيها مُسامي
وهم رَفعوا بما وَضَعوا الأعادي   بناءَ قواعدِ المَلكِ الجُذام
إذا مولودهم وافَى رِضاعاً   سما للمجدِ من قَبل الفِطام [61/أ]
تساوَى الشّيب والشبان فيهم   عُلاً والكهلُ منهم بالغلام
مآثرُ لا نَقيصة تزدريها   ولا يغدو بها حالُ التمام
تقاصرت المساعي عن مداها   وطالت عن ملاءمة اللئام
فنافسَ في هواها كلُّ نفسٍ   وهام بهن كلّ فتى همام
وكم لك من يدٍ بيضاءَ فينا   بها طوّقتنا طوقَ الحَمام
أفضتَ على الجميعِ بها سماءً   فأضحوا رقّ أنعمك العِظام
حميت حِمى الجزيرةِ إذ أُبيحت   قواعدها وقلّ بها المحامي
وحُطْتَ ذِمارها لما تَداعى   بناءُ الدّين فيها بانهدام
وخُضتَ لنصرِ دينِ اللهِ فيها   بحاراً مَوجها طامي الجِمام
تُقاسي ساعةً فيها كيومٍ   ومن طول السُّرى شهراً كعام[2]

---

(1) [السطة: الوسط]، الأصل: أسماء سامٍ وهو تحريف ما أثبتناه.

(2) بهذا البيت الخمسين من القصيدة، ينتهي ديوان الجزار السرقسطي مبتوراً مع نهاية الورقة (61/أ) وتبدأ الورقة (61/ب) بأبيات من منظومة فقهية مجهولة المؤلف.

المستدرك

على ديــوان الــجــزار

قافية الباء

[1]

وقال الجزار[1]:

(من الكامل)

1 أشقى لجدّك أن تكون أديباً[2] ... أو أن يرى فيك الورى تهذيبا
فإن استقمتَ فإن دهرَك كلُّه[3] ... عوجٌ وإن أخطأتَ كنتَ مصيبا
3 كالفصّ ليس يبينُ معنى نقشه[4] ... حتى يكون بناؤه مقلوبا

[2][5]

ورفع بعض المستمنحين رقعة رديئة الخط واللفظ للوزير أبي عبد الله بن زرارة[6] بسرقسطة فوقّع على ظهرها:

(من الخفيف)

1 إنّ من يقصدُ الملوك ليُعطى ... بمداد مسطرٍ في كتابِ
دون نظمٍ ولا براعةِ لفظٍ ... رائعٌ حسنُه ذوي الألباب
3 لحقيقٌ بالمنعِ في كلّ وُجه ... وجديرٌ بالطّرد في كلّ باب

(1) جاءت الأبيات في الذخيرة 4/ 2/ 531، وشرح الشريشي لمقامات الحريري 5/ 127، منسوبة إلى أبي عبد الله بن قاضي ميلة، وفي الذخيرة 1/ 1/ 448، وديوان ابن رشيق القيرواني 37، والغيث المسجد 2/ 129 الغرر 99 منسوبة إلى ابن رشيق القيراوني، وهي في روحها وأسلوبها قريبة من أن تكون للجزار، على أن الوهم محتمل لصفوان في نسبة الأبيات إلى الجزار، لأنه ألف كتابه معولاً على الذاكرة دون الرجوع إلى المصادر.

(2) الشريشي والغرر: "أسعد بجدك لا تكون أديباً".

(3) الذخيرة بروايتين: "ما دمت مستوياً فدهرك كله".

(4) الذخيرة والشريشي: "كالنقش ليس يصح معنى ختمه".

(5) الذخيرة 3/ 2/ 908 "1 ـ 3".

(6) ترجم له ابن سعيد في المغرب 2/ 443، وذكر أنه من رؤساء سرقسطة وممن ساد بصحبه الملوك مع البيت القديم.

قافية الراء

[3][1]

(من الطويل)

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطي:

ثـناءُ الفتـى يبقـى ويَفنـى ثـراؤه   فـلا تكتسبْ بالمالِ شيئاً سوى الذكر
فقـد أبلـتِ الأيـام كعبـاً[2] وحاتمـاً   وذكـرهما غـضٌ جديـد إلى الحـشر

[4][3]

كـان والـده تقبل أرضاً للإحباس فضاع[4]، واجتمع عليه خراج الأرض، فكتب إلى العامل في ذلك:

(من الخفيف)

يـا أبـا جعفـرٍ لعـاً مـن عِـثار   وغـياثاً فمـا يُقـرُّ قـراري
سيدي اسمع لعبدكَ القنّ [يحيى]   خَبَـراً مُـضحكاً مـن الأخـبار
كـان لـي والـدٌ وكـان لعَمـري   في بـني العَـصر بالفِلاحـة داري
نـاقصَ الـرأي تاجـرَ البرِّ والبحـ   ـر وناهـيكَ فـارسٌ في الـتِجار
مـثل مـا سمـي اللّديـغ سـليماً   وأنـا بعـده علـى ذاك جـار
وكـذا يَـسلك النّجـيب ويقفـو   نهـجَ آبائـه علـى آثـار
لـو وَردتُ الـبحار أطلـب مـاءً   جـفّ قـبل الـورودِ مـاءُ الـبحار

---

(1) نفح الطيب 3/ 464.
(2) هو كعب بن مامة، جاهلي يضرب به المثل في الجود، الأعلام 5/ 229.
(3) الذخيرة 3/ 2/ 907 ـ 15، المغرب 2/ 445 ،7 10.
(4) لعل المقصود بالضياع، ضياع الأرض أي عدم استثمارها.

أو لمستُ العودَ النّضير بكفّي   لذوَي بعد نضرةٍ واخضرار
أو رمى بأسي النجومَ الدراري   لانزوى ضوؤها عن الإبصار
ولو انّي بعثتُ القَناديل يوماً   أُدغمَ اللّيل في ضِياء النّهار(1)

ومنها في كراء الأرض المذكورة:

إكتراها ولم يكنْ مستخيراً   وقتَ شؤمٍ بطالعِ الإدبار
جَدبةٌ بعضها من الشّؤم أضحى   في علوٍ وبعضُها في انحدار
لم يزلْ زارعاً بها جِملَ بغلٍ   رافعاً منه نصفَ حملِ حمار
ساءني ما أصبت فيها ولكن   سرّني منه خيبةُ العِشار
ما أبالي وقد غدا ليَ ركناً   صاحبُ الشرطة الكريم النُّجار

قافية العين

[5](2)

وله: (من الكامل)

1- إياكَ من زللِ اللّسان فإنما   عقلُ الفتى(3) في لفظه المسموع
2- والمرءُ يختبرُ الانـاء بنَقره   ليرى الصّحيح به من المصدوع(4)

(1) المغرب في بياض النهار.
(2) زاد المسافر: 140 أ ـ 2، لمح السحر (مخطوط) 23/ ب أ ـ 2، نفح الطيب 3/ 598، 4/ 63 أ ـ 2، وجاء في الموضع الثاني منسوباً إلى أبي الحسن علي بن الجعد القرموني (ترجمته في المغرب 1/ 300).
(3) النفح: فإنه قدر الفتى.
(4) النفح: فالمرء.

[6][1]

وأنشد ابن بسام من أبيات خاطب بها صاحب الأحكام بسرقسطة:

(من الطويل)

خَليلـي مـا أولى المكـاوى وبأسـها ... بـيافوخ مـن يبـتاع داراً مُطـبله

وصَـبحني خَـصمٌ ألـدُّ وإنـني ... وحقـك في أمـر الخـصام لـذو بلـه

أقـلّ بُنـياتِ الخُـصوم تُهدّنـي ... وإن عـنّ نظم الشعر طبّقت مفصله

ومالـي مـن شَـيء أدافِعـه بـه ... سـوى عُـسرةٍ بكـل حالـي مـوكّله

ولـي مَقعـدٌ خمـسون يَوماً مضتْ بما ... حَـوته يـدي في قَابـضاتٍ مُـسهّله

فكنْ باسطَ الشّورى بفَضلك قاضياً ... علـيّ ولـي إن القَـضاء لمعَدَلـه

ولم ألتـزمْ مَجهـول وقـتٍ لـوزنه ... وحـسبُك ذا رسمي بخطّ ابن حنظله

[7][2]

وكـان مولعاً بالتجنيس فوقف على حانوته بعض الطلبة، وهو يبيع لحم ضائنة فقال له:

(من المنسرح)

لحمُ إناث الأكباش[3] مهزول

فقال الجزار:

يقول للمشترين: مَهْ زولوا

وفي بدائع الصنائع، ونفح الطيّب، أن ابن عمّار دخل سرقسطة فبلّغه خبر يحيى القـصاب السرقـسطي فمـر علـيه، ولحـم خرفانه بين يديه، فأشار ابن عمار إلى اللحم وقال:

---

(1) الذخيرة 3/ 2/ 906 أ ـ 7.

(2) زاد المسافر 140 أ، بدائع البداله 70، نفح الطيب 3/ 404، 3/ 609.

(3) النفح: الكباش.

لحم سباطِ الخرفان مهزول
فقال: يقول، للمفلسين[1]: مه زولوا

قافية الميم

[8][2]

أنشدت له[3]: (من الوافر)

1 وبـدرٍ لاح مـن تحـت السَّلاهم[4] محاسـنه تقـول لمـن سـلا: هـم
لـئن خـشنتْ ملابـسه علـيه فـإن الـورد شـوكي الكمـائم
3 وإن القـارَ تلبـسه الحُمـيا[5] وإن المِـسك يجلـبُ في اللّطـائم

[9][6]

ورفعت طائفة من الرعية على خازن المتنانية إلى المستعين بالله بن هود فوقع لهم[7]: (من السريع)

1 نـسبتمْ الظّلـم لعمّـالكم[8] ونمـتمْ عـن قُـبحِ أعمـالكم

(1) النفح: "يا مشترين".
(2) زاد المسافر 141 "1"، رايات المبرزين "1 ـ 3"، تاج العروس (مادة سلهم): "1".
(3) في زاد المسافر: أنه كان مع أحد إخوانه جالساً فعن لهم شادن متنكر اللبسة فقال صاحبه: وبدر لاح من تحت السلاهم. فقال هو: محاسنه تقول لمن سلا: هم.
(4) السلاهم: جمع "سلهام" بالكسر، عامي مبتذل، وهو نوع من اللباس يستعمله الأندلسيون، كالبرنس. وسلاهم الثانية مؤلفة من فعلي "سلا" مضارعه يسلو و"هم" فعل أمر: مضارعه يهيم.
(5) الحميا: الخمرة يشير إلى دنانها المقيرة، واللطائم جمع لطيمة وهي وعاء المسك.
(6) الذخيرة 3/ 2/ 909 "1"، 3، زاد المسافر 141 "1 ـ 3" قال: وتشكى بعض الناس بالعمال فوقع على كتاب شكواهم.
(7) ميم الجمع والهاء الضمير لا يأتيان روياً، إلا إذا التزم حرف قبلها كما فعل الشاعر فالتزم اللام.
(8) الزاد: "نسبتم الجور" و"عن سوء".

لا تنسبوا الجَور إليهم فما   عُمّالكم إلا كأعمالكم

3 تالله لو حَكمتُمُ ساعة[1]   ما خطرَ العَدل على بالكم

قافية النون

[10][2]

ومما ينسب إليه: (من مجزوء الخفيف)

1- رُب ظَبيٍ لقيتُه   يتّمي للهوازِنة

2- قلت: ما أثقل الهوى   قال: ما للهوى زِنه

قافية الهاء

[11][3]

وله أبيات استهدى فيها مشروباً:   (من الخفيف)

1 هاتها كوثرية، عسجدية[4]   بنتَ كرمٍ رحيقةً عِطريه

كلّما شفّها النّحول تقوّت   فاعجبوا من ضعيفةٍ وقويّه

رُب خمارةٍ سَريت إليها   والدّجى في ثيابه الزّنجيه

وجيوشِ الصّبا تحثّ ركابي   وشياطينه تجدّد نِيّه

5 تمسح النوم عن جفون أماقٍ   ببنانٍ مخضّبٍ فِضيه[5]

(1) الزاد: لو ملكتم.

(2) زاد المسافر 141: 1 ـ 2.

(3) الذخيرة 3/ 2/ 907 ـ 908: 1 ـ 14، نفح الطيب 4/ 159: 1 ـ 3.

(4) النفح: عسجدية كوثرية.

(5) مخضب: ملون، بلون فضي.

قلت: هاتي التي بها يُستمال الـ   شادن الصّعبُ والنّفوس الأبيه
فأتتني بها تلألأ نوراً   في كؤوسٍ كأنها عَدَنيه
كم عَقارٍ بذلته بعُقار   وثيابٍ صبغتُها خَمريه
10 ودِنانٍ ثنانيَ السّكر عنها   مترعَ البطن قارعَ السُّبنيه[1]

ومنها:

هاك رَوضاً من التأدب غَضاً   بفصول غريبة معنويه
من شَكورٍ أهدى إليك ثناءً   حين لم يستطعْ سواه هديه
فتقارضْ عليه ماءً بماءٍ   لا تقلْ غدوةً ولا في العشيه
14 إن خيرَ البُيوع ما كان نقداً   ليسَ ما كانَ آجلاً بنسيّه

[12][2]

وأنشدت ليحيى السرقسطي المعروف بالجزار في رجل ساوم طبيباً:

(من المتقارب)

1- عجبت لذي سقمٍ معضل   يسوم الطبيب ويُكدي عليه[3]
2- يضنِ عليه بديناره   ويجعلُ مهجته في يديه

---

(1) السبنية، الثياب والأزر السود للنساء منسوبة إلى سبن، قرية في بغداد.

(2) الذخيرة 3/ 2/ 905، التكملة 2/ 493.

(3) رواية البيت في التكملة:

عجبت لذي وجع مؤلم   يسوء الطبيب وينكد عليه

الموشحات

[1]

ويــــحَ المــــستهامْ	صــار الجــسمُ فــيا
بأيــــدي الــــسُّقام	

(1)

لم يُــــبقِ الهـــوى	
مــن جــسمي ســوى	
هـــــباءً هـــــوى	فاعذِر الشجّيا
بطــــيفِ المــــنامْ	
وخــــل المــــلام	

(2)

وهــــمْ بافتــــضاحْ	
في الغــــيدِ المِــــلاحْ	
وقــــمْ لاصــــطباحْ	ثم اشربْ هَنيا
بكــــأسِ المــــدامْ	
واســــقِ الــــنّدامْ	

[1] جيش التوشيح 147، ديوان الموشحات الأندلسية 1/ 74، وقد وصف الموشح على أنه [مخمس: مشطر الدور، مزدوج القفل، أعرج، ساذج، من الرجز أو المقتضب].

(3)

بنفسِ التي
قلبي حلّتِ
فمِن خلّتي   ما لاحَ الثّريا
لا أسلُو الغرام
وغنّى الحَمام

(4)

فتاةٌ كَعاب
نعيمُ الشبابْ
عليها مُذاب   لها المسك رَيا
كروضِ الغمام
والدُّرّ ابتسامْ

(5)

فكيفَ السّبيل
أن يُشفى الغليل
إن ظلّت تقولْ
ممّا شُو الغُلام   لا بُد كلٌ دِيا
حلال وحرامْ

****

[2]

الـوَجد وَجدي ففيمَ العَذل　　　　يـــــــا مَـــــــذِلُ

(1)

قلبي الجَريحُ ودَمعي الجاري
فَلِـــم تلـــومُ بـــلا إقـــصارِ
مـن لـيس في اللّوم بالمختار　　　　يشتعل
فـــؤاده باهـــوى مـــشتغل

(2)

مَـن لـي بأزْهَرَ مثلِ البدرِ
منعَّم الرِّدْفِ طاوي الخصْرِ
مُغرى بطول الجفا والهَجْرِ　　　　والأجَلُ
وِصـــاله وجَفـــاهُ الأمـــلُ

(3)

وَجْــهٌ كــأنْ سَــناهُ الــبدر
ثغْــرٌ كــأنْ جَــناهُ الخمــرُ
تحمـيهِ مـن مُقْلتَيه السُّمرُ　　　　والأسَل
ففـي كِلا الحالَتيْن العَسَلُ

[2] جيش التوشيح 148، ديوان الموشحات الأندلسية 1/ 77 وهو: [مربع، مشطر، مذيل القفل ساذج، من البسيط].

(4)

وَجْـــدي بهجْـــرانه نـــامِ
دمعــي بــه مُــسْتَهل هــامِ
قلـبي بـسيفِ الجفـون دامِ　　ما الحيلُ
مالـي بحَمْـلِ الـتجنيّ قِبلُ

(5)

يـا تارِكي في الهوى مملوكاً
كم تُستطيلُ وكم أشْدوكا
غِـناء غَـيْداءَ هامـتْ فيكا　　أكان حلُ
أمـي تـنال أسمـر خـلُ

* * * *

[3]

بنَفـــسْي رشـــأ أهْـــيَفْ　　وَسْنانٌ غـريرْ
غـــزالٌ مـــن الإنـــسِ
مَحاســــــنهُ أنْـــــسي
نفـــيس سَـــبَى نفْـــسِي
إذا الــــتاحَ لِلــــشمس　　له والبُدورْ
فـشمسُ الضحى تُكْسَفُ

(3) الجيش 149، ديوان الموشحات 1/ 79، وهو:
[مخمس، مشطر الدور، مزدوج القفل ساذج، من الطويل].

(2)

أطعتُ الهوى إذْ لَجْ
بذي مَبْسِمٍ أفْلَجْ
به المسك قد أرّجْ
فهل رِيقُه يُمزَجْ — وريّا العبيرْ
بِنشْرِ شذا القَرْقفْ

(3)

سَلِ الوامِق المُدْنَفْ
هَوى الشادنِ الأوْطَفْ
بِمَلِكْ الوَرى يوسُفْ
بِمُلكٍ جلَّ أنْ يُوصَفْ — له أو نظيرْ
فهل مُشْبِهٍ يُعرفْ

(4)

صغيرٌ لدى السِّنْ
كبيرٌ لدى المَنْ
فكفاه مِن مُزْن
ومَرآه مِن حُسْن — طِباعاً وخيرْ
فقُلْ فيه ما أشْرَفْ

(5)

ولمّـــا اعتلـــى سَـــمْكا
والبَـــــــسَه المُلْكـــــا
إذ لم يَـــــزل مَلْكـــــا
شـــدا مَـــن غـــدا مِلكـــا   فنعْمَ الأميرْ
قُومـــوا بايعـــوا يوســـفْ

****

[4]

عـــنِ التأنـــيبِ   وَيْـــكَ عَـــرِّجِ
مـــا نُهـــى الناهِـــي   لـــي بمُـــزْعِجِ

(1)

أنـــا عـــن حـــبي   لـــيس لـــي انتقالْ
أرضَـــى في الحُـــبِّ   أنْ أرى خـــيالْ
كئـــيبَ القلـــبِ   أرْتجـــي مَـــنالْ
وللكئـــــــيب   حـــينَ يَرتجـــى
بـــابُ الإكـــراهِ   غـــيرُ مُـــرْتَجِ

(2)

غـــزالٌ ســـاحرْ   يَفْـــتنُ البَـــشرْ
ذو حُـــسْنٍ باهِـــرْ   قـــيَّد البـــصرْ
أوقَعْـــتُ الناظِـــرْ   مـــنه إذ نَظَـــرْ

---

[4] الجيش 150، ديوان الموشحات 1/ 81، وهي: [مخمس، مشطر مجرد مرصع، من بحر المشتبه].

علـى تـــرغيبِ لم يُبهـــــــــرَجِ
مـــن خـّــدٍ زاهِ بالـتـــــــضرُّجِ

(3)

عاطـــر يـــوجد حامـــداً هـــواه
ثنائـــي أحمـــدْ ريحُـــه شـــذاهْ
وخـــيلانُ الـــنَّدْ هُـنْ مِـن حُـلاهْ
فـــايُّ طِـــيب مـــــــــتأرّجِ
يُغْنِـــي اللاّهِـــي عـــن بنَفْـــسَجِ

(4)

أراحَ الأنـــــسا إذ ثمَـــــــنَّعا
ثـــيّاهُ ألـــسنَى الـــصبر مُـــولَعا
فـــنادى النّفْـــسا والحَـــشا مَعـــا
يـــا نفْـــس ذوبِـــي يـا حَـشا ابْهجِـى
علــــى ثـــيّاهِ عَـــذّبَ الـــشّجِى

(5)

قَلْبِـي مِن جسمهْ رَهْـــنُ راحتـــيهْ
لكِـن مِـن ظُلمـهْ اشـــتكي إلـــيه
وادعـــو باسمـــهْ مُقْـــسِماً علـــيهْ
احمـــدْ محبوبِـــي بِالنَّبِـــي يتجـــى
جِنـــى بـــاللهِ جِـي حبـيبي جي

* * * *

[3]

سَهْمُ الفُتور من الأجفانِ   رمى فاقْصَدْ
أنا القاتلُ به والعانِي   أنا المُسهَّدْ

(1)

أصاب سهمُ فتورِ الطَّرْفِ
قلبي على أنه ذو ضَعْفِ
مِن شادنٍ ذي جفون وُطْفِ
جَنَى على غيرِ عَمْدٍ حتفي
أنا أبرَّئ ذاك الجانِي   مِما تَعمَّدْ
وإنْ تيقَّنتُ أنيٌ فإن   أدرِجتُ مُلْحَدْ

(2)

أصبحتُ بالرشأِ المَخزومِي
والفِه المُزدَرِي بالرِّيمِ
حَيرانَ بين حشا مكلوم
ومدمَعٍ سائلٍ مَسجومِ   فالدمع أزيد
فإنْ أقُلْ أنا في طُوفان   فالوجدُ أوقَدْ
وإنْ أقُل أنا في بُركانِ

[3] جيش التوشيح 151، وديوان الموشحات 1/ 84 وهو:
[مسدس، مشطر، مذيل القفل ساذج من البسيط].

(3)

ظَبْيانِ مـا فـيهما مـن شَـينِ
هُمـا جمـيعاً بـروضِ الحـسنِ
ففـيَم يَـسرَحُ مـنه جَفْنـي
في الـوردِ يَعـبَقُ أم في الغـصنِ
فقَـدُّ ذا غُـصُنٌ مـن بـانِ لَدنْ تأوّدْ
وخـدُّ ذا الـوردُ في الـسُّوسانِ وقد تَنَضَّدْ

(4)

مُـصبَّغ الوجنَـتين حمْـر
كفـضّةٍ سـال فـيها تـبرُ
وذاك بعـضُ حُـلا الثغرُ
والشاربُ الرّيقُ المُخضَرُّ أم من زَبَرْجدْ
فهـل تُجَسّد من رَيْحان لـمّا تُجَسَّدْ
علـى فَمِ الدُّرِّ والمَرْجانِ

(5)

سُـبحان مُـبْدِيهما للحَـدَقِ
مـن حُمْـرةٍ في بـياضٍ يقَـقِ
مـتوَّجينْ بـتاجِ الغَـسقِ
في اللمَّتـيْن وتـاجِ الـشَفقِ فيها من النَدْ
فهـلْ جـرى ذائـبُ العِقْـيانِ منها تولَّدْ
حتـى اغـتدتْ نُقَـطُ خيلانِ

(6)

احْسِنْ باغْيدَ يَهْوَى اغْيَدْ
سِيّان في القَدّ او قُلْ في الخَدْ
ومَنْ كعَمْرو ومَنْ كاحمدْ
لِذاك انْشَدَ مَنْ قد انْشَدْ — عشقاً تأكّدْ
ياوَىْ مليحٌ ونعشَقْ ثاني — بل يتجدّدْ
لا يستحيلُ مَدى الأزمانِ

[6]

جادَ بالمُنَى طيفُها الطارقْ
وأتى على موعدٍ صادقْ — وما جَنَبْ

(1)

مرحباً وإنْ زادني وَجْداً
بخيالِ مَنْ كَرمتْ عَهْداً
بَعثْته يستوجِبُ الوُدّا
سافِراً عن المَنطِقِ الرائقْ — سَنا الكوكبْ
فجَلا مِن الدُجَى الغاسِقْ

(2)

أيُّها الرّشا الأحْورُ الألْمَى
هَبْكَ أنْ لحظي قد أدْمَى

[6] جيش التوشيح 152، ديوان الموشحات 1/ 88، وهو:
[مخمس، مشطر، مذيل القفل، أعرج، ساذج، من المقتضب].

صـفحةٌ جـلا نُـورُها الظُّلْمـا
لِـمْ صفَحتَ عَن لحْظِيَ الرامقْ وما أذنبْ
وانـتقمْتَ مـن قلـبِيَ الخافِـقْ

(3)

حـبّذا المُـدامُ مِـن مَـسْلَى
فاغتـنِمْ بها عيشَك الأحْلى
في وِدادِ سـيدِنا الأعلـى
مَلِـكٌ بـشأوِ العُـلا سـابقْ ولا يَقْربْ
لا يُـرَى سـواهُ بهـا لاحِـقْ

(4)

لِجلالِـه ينتهـي الفخـرُ
وبفـضلهِ يَـشْهدُ الدهـرُ
بـارعٌ لـه الـشِّيمُ الغـرُ
بـصفاتِ تلـك الخلائِـقْ إذ تُكْتبْ
تزدَهِـي بهـنّ المَهـارِقْ

(5)

يـا أبـا سـعيدٍ جَـرى السعدُ
بعُــلاك واستبــشَرَ الجـدُ
وَلَــرُبَّ غانــيةٍ تــشدو
خُذْ حديثي عن طَيفي الناطقْ وليس يكذبْ
هـو يقول لك الفؤاد عاشِقْ

[7]

(1)

أمـا والهَـوى إنـني مُدْنَـفْ
بحُـبّ رشـأ قلّمـا يُنْـصِفُ
أطاوعُـه وهـو لـي مُخْلِـفُ
فعَمـا قلـيلٍ بـه أتْلَـف
وواعدني السُّقْم حتى انتهكْ
فـؤادي فـيا وَيحتا قـد هلكْ

(2)

غـزالٌ لـه مُقْلـةٌ سـاحرة
وأنجُمُـه النجـمَ زاهـرة
ولُمّـته لِمـةٌ عاطـرة
وكـلُّ العـيونِ لـه ناظـرة
وجـسمٌ أذاهُ لِـباسُ الفَـنَكْ
كمِثلِ اللُّجينِ إذا ما أنسبكْ

(3)

هـو الـشمسُ لكـنه أجمـلُ
هـو الـبدرُ لكـنه أكمـلُ

---

[7] جيش التوشيح 153، ديوان الموشحات 1/ 91، وهو:
[مسدس، مشطر، مجرد، ساذج، من المتقارب]

هــو الــصبحُ لكــنه أفــضلُ
فليس على الأرضِ من يَعْدلُ
هـلالٌ بدا من كُمون الفَلَكْ
يَـصيدُ القلـوبَ بغـيرِ شَـركْ

(4)

تحيّــر في نُــوره كــلُّ نُــورْ
وذلــتْ لــه نيِّــراتُ الـبُدورْ
وحـنّتْ لحسنِ سَناه الخُدورْ
ففـيه الأسـى وفـيه السرورْ
فكـم فَتْكةٍ في الهى قد فَتَكْ

(5)

ألـيس مـن الظُّلـم أنْ يُـبْعدَا
كئـيبٌ من الشوق قد أجْهدا
تعــبّده الحــسنُ فاسْــتُعبدا
وكلّفــه الــشوقُ أنْ يُنْــشدا
مَلكْتَ فكنْ خيرَ من قد ملكْ
يـا مَـولى الملاحِ يا عبد الملكْ

[8]

مُقْلتَــــــي	هــــلِ الــشُّئونُ	نــار الوجــيب
تُــــــشْعِلُ	أم مـــــن أوارِى	يُزْجى سَكِيبْ

---

[8] جيش التوشيح 154، ديوان الموشحات 1/ 91، وهو:
[مخمس، مشطر، مجرد، مرصع، من المتئد].

(1)

عاذِلي   كم ذا تلومُ   بادي الضّنى
قاتِلي   فيه أهيمُ   وإنْ أنى
ليس لِي   ممّا أرومُ   إلّا العَنا
أيّ شيءْ   مثلي يكونُ   غير وَجيبْ
ينزلُ   وما شعاري   ألّا شُحوبْ

(2)

بي رَشا   مالِي سِواهُ   ما أعطرا
والحَشا   أخفَقَى هواهُ   فأظهَرا
إن فَشَا   فكم طواهُ   أن يُنْشَرا
أيْ طَيْ   ولا مُعينْ   إلّا غُروبْ
تُهمِلُ   ولا انتصاري   سِوى لحبيبْ

(3)

والمُنَى   طب العريكِ   أن يستنال
...نا   .. كِ.   .. لْ.
...نا   .. كِ.   .. لْ.
ما عَلَيْ   هذِي الشجونْ   يا مُستنيبْ
تعقلُ   عقلَ الشّعارِ   على الضّريبْ

(4)

مُشتهى   عَيني تمُرُّ   مِن الرُّبض
عَلّها   يوماً تقرُّ   أو تغتمِضْ

هَـبْ لهـا　　حِيـناً تُـسرُّ　　أولا فغـــضْ
يـا رُشَـىْ　　تلك الجفونْ　　بِـذِي القلـوبْ
تَفعــــلُ　　فِعْـلُ الشِفارِ　　لَدَى الـحروبْ

(5)

بِـئْس مـا　　رام الـــرقيبُ　　ومــا سَــعَى
كُلمَـــا　　يَـبْدو الحبيبُ　　بــــدا مَعــا
طالمـــا　　أشـدو أجيبُ　　مــَن ودّعـــا
كـَـضَمَىْ　　فلـيول الـــين　　إذلْ أمــــيبْ
كـــرْذِلُ　　ذميت بطاري　　شُـــو الـرقِيبْ

[9]

في جَـــرِّ أذيــالِ مختـالِ　　عَلِمتُ من يَرمي بسَهْم

(1)

لِلـــه مُمْـــتَنٌ لَوْحَـــيَا
يَـشْقَى بـه الغصنُ ويَغْيَى　　يُفَـضُّ باللــثمِ عـن خـتم
بــوجه الحسنُ مـا أحْـيا
ثغــــرٌ كَجِـــرْيالِ زُلالِ

(2)

الـلَّذْ مــا عـندي غرامي　　الا بقاجسمي بالسُّقْم

---

[9] جيش التوشيح 155، ديوان الموشحات 1/ 97، وهو:
[مربع، مشطر الدور، مزدوج القفل، مرصع، من البسيط].

رغِـبْتُ في مُهـدِي سَلامي
وكـان مـن وَعْدِي سَقامِي
فقُـلْ لعُذّالـي حاشـالي

(3)

جـوانحُ الهـائمْ تُفْـديكا
فـيا أبـا القاسـمْ نُكْفـيكا
قـد جُلّـى الخـاتمْ عن فِيكا   يُعْزَى إلى حُكْمِي بالوَهمِ
ضَـيعْتُ آمالِـي فـيما لِـي

(4)

أوَحشْتَ آماقِي من قربكْ
فـإنّ أشـفاقِي مـن قلـبكْ
حكّمـتُ اشواقي في حُبكْ   وتدْعِى ظُلْمِي في الحكمِ
ضَـمَّنْتُ أوْجالـي بإجمـالِ

(5)

أمـا علـى شُـكرْ مَـن مَـنّا
إذْ مـال بالـسُّكْرِ وعَـنَّا
وجـاد بالـشّعْر وغَنَّـى   فقـال في فمـي يا عمّى
قُبَـيلَه في الخـالِ يـا خالـي

[10]

خَدتْ ذوارفُ دمعي خدِّي   فالعــــــيْنُ تَـــــسهرْ
وفي الجــوانحِ نــارُ الــوَجدِ   ظلَــــتْ تَــــسعَّرْ

(1)

يــا مــن يَبيــتُ خِلــيَّ القَلْــبِ
اكفُـفْ فبـى من ذواتِ القُلْبِ
هَـــيْفاءُ ســـلبتْني لُبِّـــى
وَقطّعــتْ مُهْجــتِي بالعَــتْبِ   ظُلما وتنْفرْ
أهـوَى الوصالَ وتهوى صَدِّى   فكيف أصْبرْ
منِّــي وتُخلفُــني في الــوَعْدِ

(2)

كـم لـيلةٍ بـت مُن بلواء
أهيمُ تحت دُجَى الظّلْماءِ
مُـراقباً الْجُـمَ الجـوْزاءِ
يَـدِي علـى كـبدٍ حَـرّاءِ   لولا تُحذّرْ
ولم أكُـنْ لِجَـواىَ مُـبْدِ   إذا تُنثَّرْ
لـي أدمـعٌ مِـثْلُ العِقْـدِ

---

[10] جيش التوشيح 157، ديوان الموشحات 1/ 100، وهو:
[مسدس، مشطر، مذيل القفل، ساذج، من البسيط].

(3)

بِمَـنْ حَـباكِ بلـينِ العِطْـفِ
مُنَـى علـى دَنِـفٍ بالقَطْـفِ
كانـــت منيَّـــتهُ بالطَّـــرْفِ
مـا ضرَّ لو نال حُلْوَ الرَّشْفِ — للحظ خِنْجَرْ
كما شاءَ يرْوى ودون الورْدِ — واللثْمُ جَمْرُ
حتـى استباحَ رِيـاضَ الخدِّ

(4)

بـــاللهِ يـــا مُنْـــيةَ العُـــشّاقِ
وطلْعـةَ الـبدرِ في الإشـراقِ
جُـودِي علي دائم الأشواقِ
برشـفِ ذاك اللمَّى الدِّرياقِ — من ثغر جَوهرْ
ريـــقٌ يُبَـــردُ نـــارَ الـــوَقْدِ — مازَجهُ سُكَّرْ
الخمـــرُ فـــيها وَعْـــرف الـــندِّ

(5)

وظَبْـــيةٍ مـــن ظِـــباء الإنـــسِ
حديـــثُها جالـــبٌ للأُنـــسِ
أعـارت الحسنَ ضوءُ الشمسِ
تدعـــو صـــبياً لهـــا أن يمـــسي — ذا اليومَ تُفْطِرْ
أمـا تجـى يـا صَـبيُّ عِـندي — ولا تُقصِّرْ
نُوفِيك جَمالي ونُهدِيك نُهدِي

انتهى ديوان الجزار السرقسطي بحمد الله وتوفيقه مشتملاً على مستدرك بأشعاره التي لم ترد في الديوان وموشحاته، وكان الفراغ منه في مدينة الموصل بالعراق في غرة شهر رجب الأصم سنة 1405هـ الموافق للثاني والعشرين من آذار- مارس 1985م، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1- ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ..﴾	يوسف	52	93
2- ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً..﴾	النور	39	80
3- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ﴾	يس	78	87
4- ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾	الجمعة	5	81
5- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾	القلم	30	93
6- ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ..﴾	الغاشية	15	69

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
ألا أنبئكم بشر الناس..	99

فهرس الأمثال والحكم

فهرس الأشعار مرتباً على حروف الهجاء(*)

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
			الهمزة				
1ـ	قالوا	أغباء	ر	2	ب	5	82
2ـ	فلما	واغضاء	ر	5	و/م	10	84
3ـ	اليوم	بهاء	ر	61	ك	1	66
4ـ	برح	رياء	ر	97	ك	34	109
5ـ	ليت	الحياء	ر	22	خ/م	32	106
			الباء				
6ـ	أشقى	تهذيبا	ر	3	ك	1	141
7ـ	تعيب	عابه	ر	71	و	36	118
8ـ	ألم يأن	كئيب	ر	36	ط	35	115
9ـ	وكم ليلة	رضاب	ر	17	ط	40	123
10ـ	تريك	التجارب	ك	89	ط	2	70
11ـ	لا تطلبن	مقلوب	ر	2	ب	4	81
12ـ	عوائد	اللبيب	ر	8	و	39	123
13ـ	ودارس	مأرب	ك	3	ط	7	82
14ـ	أنا السابق	مذهب	ك	2	ط	28	95

(*) الرموز المستخدمة:

(1) يشير الشرطة (-) التي توضع فوق الرقم إلى أن القصيدة في المستدرك على الديوان.

(2) اعتمدنا المختصرات في الإشارة إلى بحور القصائد على النحو الآتي:

الطويل ط، مديد م، بسيط ي، وافر و، كامل ك الرجز ز، هزج هـ رمل ر، سريع س، منسرح ح، خفيف خ، مضارع ع، مقتضب ض، مجتث ث، متقارب ق، متدارك د. وحرف (م) المردف بالبحر يشير إلى أن البحر مجزوء.

(3) أنواع القافية على النحو الآتي:

المتواتر ر، المتدارك ك، المتراكب ب .

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
15ـ	أنا من	كتاب	ر	3	خ	(2)	141
			التاء				
16ـ	وإن العدو	ذاتها	ك	2	ق	8	83
17-	وحيلت	سوءاتها	ك	4	ق	31	106
			الحاء				
18ـ	أروم	الجموح	ر	15	و	45	129
			الخاء				
19ـ	فمنهم	الطباخ	ر	8	ز	15	88
			الدال				
20ـ	أعلي	والنجدا	ك	3	ك	11	85
21ـ	فقالوا	ونشهد	ك	4	ط	27	94
22ـ	فإن قليلاً	وجدي	ر	5	ط	13	86
			الراء				
23ـ	إذا ما	الأشر	ك	3	ط	9	83
24ـ	يا مفيتا	إعصاراً	ك	10	ب	44	128
25ـ	وإنما	فراراً	ر	5	ب	25	20
26ـ	وكم للناس	وعبره	ر	3	و	26	93
27ـ	وسواء	ويسرى	ر	3	ر/م	17	89
28ـ	إذا ما	ونسورها	ك	5	ط	23	91
29ـ	ثناء الفتى	الذكر	ر	2	ط	(3)	142
30ـ	المرء	حذار	ر	35	ك	50	132
31-	يا أبا	قراري	ر	15	خ	(4)	142
			الزاي				
32ـ	أبا الفضل	الحفز	ر	4	ط	37	121

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
33ـ	وإني لذو	بز	ر	5	ط	38	122
الصاد							
34ـ	لحا الله	ينقص	ك	3	ط	47	131
الطاء							
35ـ	عسى	سمطا	ر	38	ط	41	124
36ـ	وعاطلة	سمطا	ر	7	ط	42	126
العين							
37ـ	وقد قلت	أوجع	ك	2	ط	12	86
38ـ	إياك	المسموع	ر	2	ك	(5)	143
الفاء							
39ـ	أنا ابن	خلاف	ر	5	ط	14	87
القاف							
40ـ	وأناوياكم	عقوقاً	ر	2	ط	19	90
41ـ	فخذ أولا	وتأنق	ك	23	ط	29	102
اللام							
42ـ	خليلي	مطلبه	ك	7	ط	(6)	144
43ـ	وإن طالب	وشلا	ب	2	ب	6	82
44ـ	وأما وعيدك	سرباها	ك	11	ق	33	108
45ـ	فمنها أسود	فحول	ر	6	ط	24	92
46ـ	يا مجهد النفس	يا رجل	ب	28	ب	43	127
47ـ	في سورة	المنزل	ك	3	ك	46	130
48ـ	لحم إناث	مهزول	ر	1	ح	(7)	144
49ـ	وإنكم في	بسبيله	ك	2	ط	20	90
50-	تريد	بالباطل	ك	3	ق	18	89

ت	المطلع	القافية	نوعها	الأبيات	البحر	رقمها	الصفحة
51ـ	وإنك في	إكمالها	ك	5	ق	30	105
			الميم				
52ـ	وبدر لاح	لهم	ر	3	و	(8)	145
53ـ	نسبتم الجور	أعمالكم	ك	3	س	(9)	145
54ـ	الستم	ظلم	ر	13	ط	21	90
55ـ	يسعى	وخيم	ر	38	ك	51	134
56ـ	ألم خيال	بالسلام	ر	50	و	52	136
			النون				
57ـ	رب	للهوازنة	ك	2	خ/م	(10)	146
58ـ	بلوت عليا	البيان	ر	3	و	3	81
59ـ	الناس	كالهذيان	ر	3	ك	48	131
			الهاء				
60ـ	هاتها	عطرية	ر	14	خ	(11)	146
61ـ	إذا كان	حماها	ر	2	ط	22	91
62ـ	نزه	يعيها	ر	2	ر	49	132
63ـ	عجبت لذي	عليه الألف المقصورة	ر	2	ق	(12)	147
64ـ	نساء	ترجى	ر	2	ق	16	89

فهرس الموشحات

فهرس أشعار الشعراء الآخرين في الديوان

فهرس الأعلام

فهرس الأمكنة والمدن والقبائل

فهرس الأنواء والأجرام السماوية

المصادر والمراجع

1- ابن بسام الشنتريني، دراسة أدبية تاريخية، نزهة جعفر الموسوى، رسالة ماجستير جامعة بغداد سنة 1975م.

2- أبو الحسن الحصري القيرواني، محمد المرزوقي، الجيلاني بن يحيى، مكتبة المنار، تونس سنة 1963م.

3- الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، في عهدي ملوك الطوائف والمراطبين، د.منجد مصطفى بهجت مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1986م.

4- الإحاطة في أخبار ملوك غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) جـ 1ـ4 تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي- القاهرة 73- 1978.

5- الأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن العباس القباج، جزءان في مجلد ط1 الرباط 1929 وأعادت طبعه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية- المغرب 1979.

6- أشعار أبي علي البصير، تحقيق، د.يونس السامرائي، مجلة المورد المجلد (1) العدد 3 بغداد سنة 1973.

7- الأعلام، خير الدين الزركلي حـ1ـ8، ط4، الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية- بيروت 1979م.

8- أعمال الإعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، ابن الخطيب (ت776هـ)،دار المكشوف بيروت: 1956م.

9- الأمالي، أبو علي القالي (ت356) تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتب التجاري، بيروت د.ت.

10- البحر في شعر الأندلس والمغرب، د.منجد مصطفى بهجت، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت الرسالة الأربعون الكويت ـ1986.

11- بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، ابن عميرة الضبي (ت599هـ) دار الكتاب العربي 1967م، المكتبة الأندلسية رقم (6).

12- بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ) حـ1ـ2 تحقيق د.محمد مرسى الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1969م.

13- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي (ت712هـ) حـ1 ـ 4 تحقيق، كولان وليفي برفنسال ود. إحسان عباس باريس1929م بيروت 1967م.
14- التكلمة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (ت 659هـ) ط العطار القاهرة، سنة 1955م. كذلك ط محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر سنة 1965م.
15- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (توفي بعد سنة 400هـ) حـ 1ـ 4 سنة 1965م تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش ط المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة 1964م.
16- جيش التوشيح، ابن الخطيب (ت 776هـ) تحقيق هلال ناجي، ط المنار ـ تونس 1967م.
17- الحيوان ـ أبو عثمان الجاحظ (ت 225هـ) جـ 1 ـ 7 ط 2 مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1949.
18- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الاصفهاني (ت 597هـ) جـ 1 ـ 3، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي، والجيلاني ابن الحاج يحيى ط2 الدار التونسية للنشر 1973.
19- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ـ محمد عبد الله عنان ط1 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1960م.
20- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت سنة 1960م.
21- ديوان ابي الطيب المتني بشرح ابي البقاء العكبري (ت 616هـ) المسمى بالتبيان في شرح الديوان جـ1 ـ 4، تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت 1978م.
22- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط3 دار المعارف بمصر 1969م.
23- ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور جـ1 ـ 4 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1950م.
24- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1957م.

25- ديوان جرير.......... دار صادر بيروت 1960م .
26- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري ط وزارة الاعلام، بغداد سنة 1968م.
27- ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك ط2 لجنة التراث العربي، بيروت د.ت.
28- ديوان الموشحات الأندلسية جـ1ـ2 تحقيق د. سيد غازي ط المعارف الاسكندرية 1979.
29- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت (ت244هـ) تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق 1968م.
30- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (ت542هـ)، تحقيق د. احسان عباس. جـ1ـ8 ط دار الثقافة ـ بيروت 1796.
31- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ) السفر الاول بقسمين تحقيق د. محمد بن شريفة دار الثقافة بيروت د.ت بقية السفر الرابع، السفر الخامس بقسمين، السفر السادس، تحقيق د. احسان عباس دار الثقافة، بيروت 1975،1965،1964.
32- رايات المبرزين وغايات المميزين، لابن سعيد الاندلسي (ت685هـ) تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة1973.
33- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله الحميري (ت727هـ) تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت سنة 1975.
34- زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر، أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي (ت597هـ) تحقيق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت 1980م.
35- الزاهر، أبو بكر الانباري (ت328هـ) جـ1ـ2 تحقيق الدكتور حاتم الضامن، وزارة الاعلام بغداد د.ت.
36- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الاصفهاني جـ1 تحقيق د. ابراهيم السامرائي ود. نوري حمودي القيسي ط2 مكتبة المنار سنة 1985.

37- زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني (ت435هـ) جـ1ـ2 تحقيق علي محمد البجاوي ط2 دار احياء الكتب العربية، القاهرة سنة 1953 م.
38- شعر الأخطل، صنعة السكرى تحقيق د. فخر الدين قباوة ط دار الأصمعي ـ حلب د.ت.
39- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، اشراف د. احسان عباس ود. محمد يوسف نجم، ط دار الثقافة ـ بيروت، 1969م.
40- صالح بن عبد القدوس البصري، تحقيق عبد الله الخطيب دار منشورات البصري، بغداد 1967م.
41- صلة الصلة، ابن الزبير (ت708) تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة خياط ـ بيروت د.ت.
42- فرائد اللآل، الشيخ ابراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي الحنفي (ت1308هـ) بيروت د.ت.
43- فصل المقال في شرح كتاب الامثال، لابي عبيد البكري (ت478هـ) حققه وقدم له وعلق عليه د. احسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة بيروت 1971 م.
44- فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بمصر، منير محمد المدني، مراجعة د. محمد مرسي الخولي القاهرة، 1980م.
45- قلائد العقيان، الفتح بن خاقان (ت528هـ) نشر محمد العنابي ط1 المكتبة العتيقة- تونس 1966.
46- لباب الاداب، أسامة بن منقد، تحقيق أحمد محمد شاكر ط الرحمانية، القاهرة 1935م.
47- لمح السحر من روح الشعر ودوح الشجر، أبو عثمان سعيد بن ليون التجيبي (ت 750هـ) مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم (11627ز).
48- مجمع الامثال، الميداني (ت518هـ) جـ 1ـ 2 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط3 دار الفكر بيروت 1972.
49- المذكر المؤنث، أبو بكر الانباري (ت 328هـ) تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ط1 وزارة الاوقاف ـ بغداد 1978.

50- مذكرات الأمير عبد الله بن زيري (ت483هـ) المسماة بـ "كتاب التبيان" تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر 1955م.
51- المستقصى من امثال العرب، جار الله الزمخشري (ت538هـ) تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط العثمانية، حيدر آباد الهند 1962م.
52- المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق د. مصطفى عوض الكريم، ط جامعة الخرطوم 1957.
53- المعجم الكبير، الطبراني (ت360هـ)، تحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي سلسلة احياء التراث الاسلامي (31)، وزارة الأوقاف ـ بغداد.
54- المغرب في حلي المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت685هـ) جـ1 ـ2 تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر 1964م.
55- المقتبس من انباء أهل الاندلس، ابن حيان الاندلسي (ت456هـ) جـ5 تحقيق د. شالميتان، كورنيطي م. صبح ط المعهد الاسباني العربي للثقافة مدريد 1979 بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط.
56- ملامح من النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الاندلسي على عهد الطوائف، د. منجد مصطفى بهجت، بحث في مجلة آداب الرافدين العدد12 جامعة الموصل سنة 1980.
57- النثر الاندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، د. حازم عبد الله خضر دار الرشيد للنشر ـ بغداد سنة 1981م.
58- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ابو العباس المقري (ت1041هـ) جـ1ـ 8 تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م.
59- نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون. المجلد الأول ـ المجموعة الثالثة ط2 مصطفى البابي الحلبي بمصر القاهرة 1973.

المؤلف في سطور

- د. منجد مصطفى بهجت، أستاذ الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.
- ولد في كركوك العراق، 1947، حصل على البكالوريوس ـ جامعة بغداد 1968، والماجستير ـ جامعة الأزهر 1973، والدكتوراه ـ جامعة الأزهر 1982، ودرجة الأستاذية ـ جامعة الموصل 1990.
- عمل في جامعة الموصل 1976 ـ 1992، وفي جامعة صنعاء 1992 ـ 1994، وفي الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا منذ 1994 ولما يزل.
- نشر حوالي ثلاثين بحثاً في المجلات العلمية في جامعة الموصل، والجامعة المستنصرية، ومجلة المورد ببغداد، واتحاد الجامعات العربية بعمّان، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومعهد المخطوطات العربية بالكويت، ودراسات أندلسية بتونس، ودعوة الحق بالمغرب، وكلية الإنسانيات بقطر، ومجلة الأدب الإسلامي بالرياض.
- شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية والنقدية في جامعة بغداد والمستنصرية واليرموك والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

مؤلفاته:

1. الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
2. البحر في شعر الأندلس والمغرب، حوليات جامعة الكويت، 1986.
3. روضة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من بادرة العصر وفائدة المصر، الجزار السرقسطي، ط1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988.
4. الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط1، دار الكتب، جامعة الموصل، 1988.
5. ديوان ابن الجنان الأنصاري، جمع وتحقيق ودراسة، ط1، التعليم العالي، الموصل، 1990.
6. ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي وما وصل إلينا من نثره، دار الرفاعي، الرياض، 1990.
7. تراجم مختارة للأدباء الإسلاميين في القرن العشرين (بالاشتراك)، ط1، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.
8. ديوان ابن اللبانة الأندلسي، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2001.
9. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي (654هـ)، ج6، بالاشتراك مع د. ناظم رشيد (قيد الطبع).
10. عقود الجنان، ذيل وفيات الأعيان، بدر الدين الزركشي (794 هـ)، ط 2، تقديم وتحقيق (قيد الطبع).